

إبراهيم عبد المجيد

# قَطَط العام القائت

رواية

مكتبة  
عائش

الدار المصرية اللبنانية

إبراهيم عبدالمجيد

# قَطَط العام القائت

---

رواية

---

الدار المصرية اللبنانية

## إهداء

إلى مدينة «لاروشيل» الفرنسية التي أمضيت بها شهري ديسمبر  
ويناير الماضيين بين سحر موانئها ومياها ومدارسها ومتاحفها  
وأهلها حيث كتبت المسودة الأولى لهذه الرواية .

والى "Centre Intermondes" المركز الفني والثقافي الرفيع الذي  
استضافني.

والى كل العاملين فيه الذين أخصهم جميعًا بالشكر، وأهدي لهم  
ولكل من أمضت معه وقتًا جميلًا هذه الرواية في صورتها الأخيرة .

في بلد يسمى «لاوند» قامت ثورة في اليوم نفسه التي حدثت فيه  
الثورة في «مصر ايم».. هنا ما جرى في «لاوند»، وأي تشابه مع  
الواقع غير مقصود.



# 1

ابتم الحاكم في دهشة وهو يرى أن أصابعه تمتد إلى الأمام. راح ينظر إليها وهو يقف في صالة قصره وقد اتسعت عيناه. قال لنفسه إنه خيال، أصابعي في مكانها. لكنه وجدها تمتد وتطول وتنزل إلى الأرض. راحت تمشي أمامه إلى كل أرجاء الصالة، ونصعد المقاعد التاريخية التي تركها الملوك القدامى للسلطة الجديدة التي انقلبت عليهم منذ عشرات السنين. رآها تتفرق على الجدران الأربعة البعيدة تمشي فوق لوحات الفنانين الكبار من أوربا التي لم يبقَ منها إلا صور مقلدة. لقد قررت زوجته أن لا تترك صورًا حقيقية خلفهم إذا انقلب عليهم أحد من الجيش، كما انقلب زوجها على الحاكم قبله، أو إذا ثار عليهم الشعب.

كان يرى أصابعه تمشي حمراء وتسلق الجدران كأنما تعانينها أو تباركها، وهو يضحك غير مصدق. قال في نفسه، مصيبة لو خرجت منها حيوانات تجري أمامه.

انتبه إلى أن مدير المحن والأزمات «مُر» تخرج من أصابعه الشعاعين. لا يعرف ذلك عنه إلا من حذبهم، وحين يقولون ذلك

يعتبرونهم مجانين، بينما هو على يقين مما يقولون. الحاكم وكل رجاله لم يكونوا يعرفون أن اختصار المحن والأزمات هو «ما» وليس «مُز»، وحين أوضح له أحد الكتاب الكبار هذا الخطأ اللغوي في أحد اللقاءات، قال له وما لها «مُز» على الأقل حاجة حلوة تمز فيها! ومن يومها صارت «مُز» هي الحقيقة.

بدأت أصابعه تعود شيئًا فشيئًا وتنكمش من جديد. أحس بالم شديد في أطرافه. رآها تتنخخ ويزداد الألم. في اللحظة التي كاد فيها بصرخ، انفجرت أصابعه وقفزت منها طيور بيضاء نزلت إلى الأرض تلتقط الحبوب التي ملأت الصالة الواسعة التي يقف فيها في قصره. راح يضم أصابعه إلى صدره من الألم. لقد عادت أصابعه إلى حالها وطولها الطبيعي. لكنه يسمع صوت الطيور ترف أجنتها وهي تحاول الطيران ولا تستطيع. نادى بصوت مرعوب:

- ساء. يا ساء.

دخل الخادم العجوز بجلبابه الأبيض وفي وسطه حزام من القماش الأزرق. انحنى وهو يقول:

- تحت أمرك يا مولاي.

قال الحاكم متزعجًا:

- من أنت؟ وكيف وصلت إلى هنا؟

قال الخادم وهو ينظر إلى الأرض:

- أنا خادمتك يا سيدي منذ خمسين سنة.

- خمسون سنة؟! هل مرت عليّ خمسون سنة هنا؟

- بطول عمرك يا سيدي وسوف تمر خمسون أخرى.

تردد الحاكم لحظة، ثم قال:

- اقصد كيف وصلت أمامي. ألم ترّ الطيور على الأرض؟

تلقت الخادم وقال مندهشًا:

- لا توجد طيور على الأرض يا مولاي. ليس عليها إلا السجاد

الشيرازي القديم كما هو.

صرخ فيه:

- إذن اذهب ونادي سيديك.

عاد الخادم حائرًا بينما وقف الحاكم يتلفت حوله يتأكد أنه في قصره. كل شيء كما هو في مكانه. التجف في السقف والمقاعد في الأجناب والمناضد الصغيرة وكل ما حملته السفن من مزادات أثاث قصور العصور الوسطى في أوروبا، وكل ما تركه الملوك السابقون هنا، بعد انقلاب الجيش على آخر الملوك!

دخلت زوجة الحاكم مرعوبة وهي ترتدي فستانها الفرنسي الطراز والمادة والنسيج. بادرته بالزوال وهي تنفض:

- هل عرفت ما جرى؟

- لا.

- ألم يخبرك أحد من مساعديك؟

- لا. ماذا حدث؟

- الشباب الذين يتجمعون ضلك في الميدان صاروا متجمطين مثل تماثيل من حجر.

نظر إليها لحظة مندهشًا بمنع ابتسامة، ثم انطلق يضحك ويقول:

- كنت أعرف. هذه نهاية كل ظالم!



وقف وزير الأمن والأمان «مَم» في قاعة الاجتماعات بين ضباطه الكبار - بالمناسبة وزارة الأمن والأمان لا يختصرها أحد، بل تُنطق باسمها كاملاً في هذا البلد لكن على طريقة الحاكم جعلها الوزير «مَم» وليس «آآ»، وعلى طريقة الحاكم قال على الأقل «مَم» تلافي حاجة تأكلها - قال وزير «مَم» لضباطه وهو يضحك:

- أنتم مجانين لتقولوا لي هذا الكلام.

صاروا يضحكون أكثر وقال أحدهم:

- هذا ما جرى بالضبط.

- يمكن أن اصدقكم حين تقولون إنهم تجمدوا من البرد. لكن أن

يصيروا أحجارًا أو كالأحجار فهذا خرف.

قال اللواء سامي أبو عامود مسؤول الإعلام:

- لقد صورت كل شيء با معالي الوزير ويمكن أن تراه الآن.

- كيف صورته وأنت هنا؟

- إنها صور حية يا سيدي. فيلم قصير لمدة خمس دقائق فقط

صورته طائرنا الهليوكوبتر وهبطت كمادتها في الوزارة. لقد أصدرت لها الأوامر أن تقدم تقريراً عمّا في الميدان فكانت هذه الصور المفاجئة.

- لا بأس. اجلسوا.

كانوا خمسة جنرالات تلمع رتبهم وسط ضوء الغرفة المغلقة انوافذ. اللواء معاد فايز رئيس قوات مكافحة الشغب، واللواء سقر فايز رئيس المباحث العامة، واللواء سامح أبو قرش رئيس مباحث المخدرات، واللواء سامي أبو عامود مسؤول الإعلام، وواحد بالزي المدني هو اللواء سرّي فايز رئيس حماية الدولة. كانوا في غرفهم بالوزارة لا يغادرونها منذ صباح أمس الجمعة. لم يكن ممكناً لهم أبداً ترك الوزارة والمظاهرات تملأ البلاد. حتى بعد أن ملا الشباب انميدان الكبير لم يكن ممكناً لهم ترك الوزارة، فالشوارع المحيطة بها تمتلئ بالشباب الذي يحاول دخولها ولا يمنهم إلا مدرعات ودبابات الجيش وقناصة أعلى سطح الوزارة يطلقون الرصاص على من يقترب. كانوا يتابعون كل شيء بالتلفزيون في محطاته الأجنبية



التي تؤكد لهم وهي تدين القنص أن القنصة لا يزالون يعملون. كانت مشاهد الشباب وهم ينقلون المصابين من زملائهم إلى المستشفيات التي أقاموها حول الميدان الكبير تسعدهم وتؤكد لهم أنهم في مأمن رغم أن قوات البوليس في كل مكان من البلاد تركت مهمتها في الساعة الخامسة يوم أمس الجمعة وانتصر الشباب الذي قرر أن لا يترك الميدان إلا بخلع الحاكم وإسقاط النظام.

كان الضباط الكبار مرهقين متعبين. رغم وجود أسرة وحمائم وكل ما يحتاجونه، لكنهم تركوا ذقونهم، ولم يكن لدى أي منهم الرغبة في الاستحمام. لم يكن ممكناً اليوم أن يتندر الوزير على تشابه أسمائهم الذي يكاد يجعل بعضهم من عائلة واحدة وهم ليسوا كذلك، ولا على أشكالهم المتقاربة التي تجعلهم مثل توائم زاد القدم في السن من تشابهها، ولا أن يتندر على اسم رئيس مباحث المخدرات سامح أبو قرش الذي يشي بالمخدرات ذاتها، ولا «أبو حامود» مسؤول الإعلام. يعرف الوزير أن اسمه هو «عواد العبد الحبشي» أيضاً يشير الاستغراب. كانوا في قلب الحقيقة التي جرت وهي أنهم هُزموا شر هزيمة أمام الشباب فماذا يمكن أن يفعلوا اليوم حقاً؟

ما إن جلس قبلهم اللواء سرّي فايز حتى صرخ وهو يقف متراً بمسك مؤخرته بيده ويقول:

- لا تجلسوا. شيء حاد ظهر في المقعد.

كان ينظر إلى المقعد الخالي من كل شيء وهم يضحكون، بينما راح يضع يده على مؤخرته إذ شعر بشيء يسيل منها. رفع يده أمامه فرأى عليها دمًا. أدرك يده بينهم وقد اصفر وجهه. اختفت ضحكاتهم وتبادلوا النظر في رعب. اقترب اللواء سعاد فايز رئيس قوات مكافحة الشغب وحمل المقعد يحملق فيه.

- لا شيء في المقعد. سأجلس أنا عليه.

صرخ اللواء سرّي فايز:

- لا. اجلس على مقعد آخر. قد يكون هذا المقعد ممسوسًا، لا أحد يدري ما الذي يحدث في البلاد.

جلس اللواء سعاد فايز والثلاثة الآخرون كل على مقعد غير المقعد الأول فلم يحدث شيء. نظروا إلى بعضهم في دهشة. قال الوزير للواء سرّي فايز:

- أنت الوحيد الذي جرى له ذلك. رئيس حماية الدولة. طبقًا العين عليك. اذهب إلى أقرب مستشفى ولا تعد إلا شافيًا. مش ناقصة براسير!

ابتسم الأربعة الآخرون لكن اللواء سرّي فايز المصاب قال:

- لكن..

- لا تقل لي الطرق خطيرة. لقد تجمد الثوار عملاء الاستعمار ولن تجد إلا أتباعنا في الطرقات.

مشى اللواء سرّي فايز رئيس حماية الدولة المصاب، على مهل غير قادر على الإسراع، بينما الوزير والأربعة الباقون ينظرون إلى نقط الدم النازلة منه على السجاد، فهتف له الوزير:

- بسرعة. لقد هربنا كل أموال البلد إلى الخارج ولن نجد ما نشترى به سجادا آخر.

ثم نظر إلى اللواء سامي أبو حامود مسؤول الإعلام وقال:

- اعرض علينا الفيلم.



- ماذا سنفعل الآن؟

كانا اثنين، هما السر عسكر ناظر الحرية، ومدير المحن والأزمات «مُز» لي طائفة حرية. مدير المحن والأزمات «مُز» معروف بشيطان الأزمات عند الحاكم ولا يعرفه أحد إلا الحاكم ودائرة صغيرة من الوزراء ونادراً ما يظهر في الصحف وإذا ظهر فتحت لقب مختلف. حتى من يُعذبهم نادراً ما يرون وجهه، فوجوههم مُغطاة وعيونهم مُغلقة. قال مدير «مُز»:

- ليس أمامنا إلا الهبوط وإعلان الخبر لمولانا الحاكم.

قال السر عسكر ناظر الحرية:

- ستزل طبعا. لكن ماذا سنقول لمولانا؟ هل سنقول له الحقيقة إننا سعدنا وألقينا عليهم غازا مخدوا من الطائفة أم سعدنا نراقب المشهد فحدثت معجزة إلهية وتجمد كل من في الميدان؟

- ليس أمامنا إلا أن نقول ذلك. إنها معجزة من السماء. وهذا هو ما حدث بالفعل.

قال ذلك مدير المحن الأزمات «مُز» فنظر إليه السر عكر وهو يهز رأسه متحسّناً. لقد كان هو صاحب فكرة إلقاء الغاز على الثوار من السماء. قال إنه غاز لا يقتل. فقط يسبب تجمد الأعضاء، وأنه حين يرى الثوار في كل المدن ما جرى في الميدان الكبير لن يأتوا إلى العاصمة ولن يستمروا في أماكنهم. سيصيدهم الإحباط... قال السر عكر:

- وهل سيصدقنا مولانا الحاكم أمير باشا أبو العساكر. هو ماكر جداً. داهية كما تعرف. لقد فعلنا ما يحبه وإن لم يطلبه منا. المهم الآن ماذا سنفعل بعد؟

قال مدير المحن والأزمات «مُز»:

- أمام الثوار يومان من التجمد، نكون فيهما قد انتهينا من مفاوضاتنا مع الفريق الأكثر تنظيمًا. فريق الشيخ شمعدان. تنتهي القصة حين يصحو الثوار من غيتهم ويرون أن الشيوخ خانوهم.

هز السر عكر رأسه وقال:

- رغم أنني أعرف أن الثوار لن يستجيبوا حتى لو ماتوا لكن لا بأس. فلتنزل إلى الأرض إذن وعليه الآن أن يرحل.

نظر إليه مدير المحن والأزمات «مُز» يفكر كم يريد السر عكر أن يحل محل الحاكم. لكن هل يمكن؟

\*\*\*

وصل إلى قصر الحكم وزير الأمن والأمان «م» والسر عسكر في وقت واحد. كان وزير الأمن والأمان «م» متخفياً في زي امرأة متقبة. سأله السر عسكر آخرًا ومبتسمًا في دهشة:

- ما الذي فعلته بنفسك؟

- لم يكن أمامي غير ذلك. بين مقر الوزارة وقصر الحاكم طرق يمكن أن يظهر فيها ثوار آخرون لم يتجمدوا. أنت تأتي من مقرك بالطائرة الهليكوبتر.

- وانت أليس لديكم طائرة هليكوبتر؟

- لدينا لكن قائدها بعد أن صور الميدان وعاد شتمنا وقال كيف تقتلون كل هذا العدد من الناس وترك الوزارة. للأسف أصابته القناصة من فوق المبنى وهو يفاديه متخيلة أنه من الثوار!

سكت السر عسكر لحظات ثم قال:

- اتركنا وعد إلى مكتبك. ما ستحدث فيه الآن لا علاقة لك به.

نظر إليه وزير الأمن والأمان «م» غاضبًا ومرتبكًا. لكنه لم يجد أمامه إلا أن يطيع. انتهى الزمن الذي كان فيه لقائد البوليس قيمة وأهمية. كما أن السر عسكر يريد السلطة. بل هي في يده الآن. انتهى الزمن الذي كان فيه الحاكم يعتمد على قوات البوليس. لقد هرب الجنود والضباط. خلع الجنود لباسهم العسكري وعادوا إلى بلادهم بالملابس الداخلية. هرب الضباط ولاذوا ببيوتهم. لقد خذلوه هو



قائدهم الذي أعطاهم كل الصلاحيات للقتل والتعذيب. لا شك صار ضيلاً الآن في أعين الجميع. لم يكن أحد يعرف أن لعنة من السماء ستصيب الثوار وتجمدون تحت الشتاء!

- ماذا تتظر؟

هذف السر عسكر فقال الوزير:

- حتى لو عرفت أن الثوار تجمدوا في الميدان؟

- أعرف كل شيء ونحن الفيين فعلنا ذلك. عد إلى مكبك كما قلت لك. انتهى دور البوليس وابحث لنفسك عن اسم جديد للوزارة أفضل. لا أمن ولا أمان رأينا منكم. حتى اختصار اسم وزلرتك «مَم» يعني تاكل بسرعة!

انصرف وزير الأمن والأمان «مَم» صاغراً. مشى مرتبكاً بفكر فيما قانه السر عسكر وفيما وصف به وزارته وشعر أن نهايته اقتربت. قرر حين يصل إلى مكبه من جديد أن يعرف ما الذي فعله السر عسكر حتى يجمّد الثوار في مكانهم. لا بد من أنهم القوا عليهم مخدراً من الفضاء. كيف لم يعرف رجاله؟ لقد قُتل طيارهم ولم يعرف منه الحقيقة ولم يخبر أحداً بذلك. سيامر رجاله بالذهاب إلى الميدان متخفين في زي النساء المنقبات ليلقوا على الثوار ما يعيد إليهم الوعي، حتى يصغر من صاروا كباراً في عيني الحاكم. لكن هل لديه ما يفعل به ذلك؟ وهل لو فعله لن يعرف أحد بالامر؟ إن رجاله مخترقون بالجواسيس! لكنه سيقاوم ولن يترك منصبه بسهولة أبداً.

دخل السر عسكر على مهل ليجد الحاكم أمير أبو العساكر جالسًا على جانب من مؤخرته يتألم وزوجته إلى جواره تحاول أن تقيمه ليقف ولا يستطيع. وقف مندهشًا لحظة لكنه تقدم بسرعة إليهما.

- ما الحكاية؟

- أوقف مولانا الحاكم معي وسنعرف.

قالت زوجة الحاكم ذلك. أوقفه جاذبًا إياه من تحت إبطيه فوقف الحاكم بضحك ويقول:

- أنا لا أصدق أن يدي تطول إلى هذا الحد.

كانت يده قد طالت وامتدت إلى الخلف ولصقت بمؤخرته ولا يستطيع جذبها. وأردف الحاكم ضاحكًا:

- الحمد لله أن يدي كلها في الخارج ولم يدخل أصبع منها.

أمسك السر عسكر يد الحاكم بكنا يديه وجذبها بقوة فانفصلت عن المؤخرة بسهولة حتى إنه كاد يقع على ظهره. قال:

- ماذا جرى يا سيادة الحاكم؟ يدك لم تكن ملتصقة بشيء.

- قل لها. قلت لها ذلك ولم تصدق. أوهمتني أنها لا تستطيع جذبها.

تركت زوجة الحاكم المكان في ضيق وجنس هو والسر عسكر مغابلين. صمنا لحظات حتى قال الحاكم:

- هل رأيت ماذا حدث للشباب في الميدان؟
- رأيت يا مولانا.
- حملوهم والقوهم في الصحراء.
- سنعمل ذلك سيادة أمير باشا أبو العاكر لكن مهم جدًا الآن أن نترك العاصمة «لاوندة»..
- أنا. لماذا؟ أنت مجنون.
- الله الذي سخط الثوار أحجّارًا أمرني أقول لك ذلك؟ لو ظلت في الحكم سيعيدهم إلى الحياة تارة أخرى.
- فليعودوا. البوليس سيتكفل بهم.
- انتهى زمن البوليس. لقد هرب كل رجاله أمس؟
- قل شيئًا آخر. وزير الأمن والأمان «مَم» كلمني بالتليفون وقال لي إن كل شيء تحت السيطرة.
- ستترك البلاد سيدي الحاكم وستديرها نحن. هذا هو الضمان الوحيد لحياتك. ما دمنا معك لن يطولك أذى. إذا لم نوافقنا ستكون أغضبت الله الذي سخط الثوار وسيعيدهم.
- نظر إليه الحاكم متدهشًا غير مصدق ما يقول وابتهامة رفيعة تريد أن تسع فيمنعها:
- هل صرت الشيخ شمعان ولا أعرف؟

- سيادة الحاكم لقد استخدمنا كل حيل الدنيا خمسين سنة ولم  
ننفع. منتصاع إلى الله مرة.

- أنت تريد أن تكون الحاكم. أليس كذلك؟

- أقسم لك إنني لن أفعل ذلك ولا أحد من رجالي. سترك الشعب  
يختار وهو سيختار من يعيدنا إلى الصورة.

- يعيدكم؟ ولا يعيدني أنا؟

سكت السر عسكر فنظر الحاكم إليه نظرتة الماكرة وقال:

- سأستمع إلى كلامك لكن عاهدني ألا تخونني وتقدمني لأي  
محاكمة.

- عاهدك مولاي وسيدي.

وقف الحاكم وصرخ:

- مناء.

جاءت زوجته مسرعة مضطربة فقال:

- أعدّي كل ما تريدان أن نأخذه معنا. سترك الحكم ونعيش في  
الصحراء على جبل الوحوش حيث قصرنا الجميل يرى البحر كله.

وقفت ذاهلة فاردف قائلاً للسر عسكر:

- جهز لها طائرة خاصة تشحن فيها كل ما تريد من قصور الحكم  
إلى الخارج. هي لن تسافر. ستبقى معي. لكنها ترسل من يضع  
الأموال والتحف الباقية في البنوك الكبرى.

- تحت أمرك سيدي.

قال ذلك السر عكر ووقف فقال الحاكم ضاحكًا:

- هل نسيت قدراتي المخارقة التي لم أستخدمها أبدًا مع الشعب؟

نظر إليه السر عكر مرتبكا فأردف الحاكم:

- كم شخصًا ألقته العام الماضي في الأعوام السابقة؟

اجاب السر عكر في ذهول:

- كثيرون.

- كم شخصًا ألقته في العام قبل الماضي؟

- كثيرون جدًا.

جميل. نحن الآن في التاسع والعشرين من يناير. لم ألقِ أحدًا

منذ بدأ العام.

- أجل يا سيدي.

- أنت الذي رفضت أن أستخدم قدراتي الفائقة في الإلقاء بالشوار

إلى العام السابق. قلت لك دعني ألقهم جميعًا هناك فيأتوا على

مهلي ويستغرقوا عامًا ليصلوا إلينا من جديد، حتى نكون قد أقمنا

الاستعدادات الكافية، لكنك رفضت. لم أكن أعرف أنك تدبر للثورة

ضدي أن تنجح.



- سيادة الحاكم. لا تتصايق مني. جنابك لم تُلقَ بأحد في أي وقت في سنة سابقة. أنت تحكي لنا أنك تفعل ذلك ونحن نصدقك.

- هكذا؟

- أجل يا مولاي، وانتبه لن أقول لك سيادة الحاكم مرة أخرى.

- إذن تعال.

قال الحاكم أمير أبو العساكر ذلك في غيظ، وأمسك بالسر عكر يديه، فحمله بسهولة وقذفه في الفضاء فطار. انفتح له السقف وهو يصرخ ولم يقط على الأرض مرة أخرى.

كانت زوجة الحاكم تقف بالباب ورأت ذلك فتجمدت ذاهلة. لم ترَ من قبل رجلًا في الثمانين يحمل رجلًا في السبعين ويلقي به إلى أعلى فلا ينزل. قال الحاكم لها متفعلًا حين رآها:

- أريد سيادة الحكم المدرعة بسرعة. سألقي بكل من في الميدان إلى العام السابق. وربما لعشرين عامًا قبل ذلك ليعودوا بعد أن أموت. لا. سأرميهم في أقرب عام حقًا فإذا عادوا رمتهم من جديد وهكذا حتى يظفروا هناك ولا يعودون أبدًا من اليأس والتعب!



ركبت جوار زوجها الحاكم تصفق يديها في فرح. لقد عرفت ذلك عن زوجها مما يقوله لكنها تراه اليوم لأول مرة. لقد ألقى بالسر عكر

في التاريخ! كان مدير المحن والأزمات «مُز» سليم باشا القانونجي قد ظهر فأمره الحاكم أن يقود السيارة. راح يقودها متجهًا، هتفت سناء هانم قائلة له:

- لماذا لا تضحك؟ هل أنت حزين من أجل السر عكس؟

لكن الحاكم قال:

- هو هكذا لا يضحك إلا حين يحضر حفلة تعذيب.

ساءت مندعة:

- تعذيب! هل تركت إدارة المحن والأزمات إلى حماية الدولة

ولا نعرف؟

نم يرد سليم باشا القانونجي مدير الـ «مُز» وازداد تجمعه فقال

الحاكم:

- فيبوتشا ترسل إلينا متهمين من الإرهابيين. يقوم باللائم

ليعترفوا.

سكتت الزوجة لحظة ثم ابتسمت وقالت:

- ولماذا تفعلون ذلك يا مولاي؟ ما دامت لديك القدرة على

إرسال الناس لأعوام سابقة.. إبعثهم وخلاص!

قال الحاكم:

- اقترحت عليه ذلك فلم يصدقني. قلت له تضحك على  
الفيديو تشين، لكنه يحب أن يخرج على التعذيب. ألا تريد تكثيرته.  
فاكراها صناعي؟ لا. طول النهار يتخيل نفسه يعذب متهمين. عايش  
في معتقل! أحياناً تتحول ذراعاك إلى ثعبانين.

هنا ابتسم مدير «مُز» وضحكت سناء هانم. قال الحاكم:

- أرها كيف تتحول ذراعاك إلى ثعبانين.

قال مدير «مُز»:

- لا داعي يا جناب الحاكم. سناء هانم لن تحتمل.

هضت سناء هانم:

- تتكلمان جادين؟

أجاب مدير «مُز»:

- مولاي عنده حق يا مولاتي.

- إذن لا تفعل ذلك أمامي الله يخليك.

ابتسم سليم باشا القانونجي مدير «مُز» وهو يقود العربة المدرعة  
للحاكم. كان الطريق خائياً إلا من بعض العربات العسكرية. دبابات  
على مسافات بعيدة وعربات عسكرية مدرعة فوق كل منها أحد  
الجنود يقف خلف المدفع الكبير. وأضواء المصابيح تنير الفضاء  
فينسج بالرهبة من أثر الخلاء كأن شعباً لا يعيش هنا وكان ثورة لم تقم  
وتشعل الشوارع بالغضب، قالت سناء هانم:

- غريبة! لا أثر لأي مظاهرات هنا.

قال الحاكم:

- ولا في أي شارع. كلها صور فوتوشوب طُبعوا عليّ بها حتى  
أترك الحكم. سنصل إلى الميدان نجده خاليًا وسترين.

ثم تحدث إلى مدير «مُز» ضاحكًا وقال:

- صاحبك الذي خدعني بذلك كله الآن في العام الماضي  
لا يجد مَنْ يجلس معه في اجتماع سرّي مثل الذي أبلغتني عنه ورقيتك  
بعدها. اجتماع يفكرون فيه كيف يتخلصون مني.

قال مدير «مُز»:

- بما أفندم اسمح لي أقول لفخامتك إنه لم يقصد إلا الخير، ثم  
إنه سيأتي بعد عام. أخشى أن فخامتك حين ترسل الثوار ينضم إليهم  
ويعود معهم.

ضحك الحاكم ساخرًا وقال:

- كان يمكن أن أقذفه لعشر سنوات إلى الخلف لكنني خشيت  
أن يموت ولا نعرف عنه شيئًا. قلت عام واحد يكفي فإذا مات نودعه  
بجنازة عسكرية. هذا واجبتنا نحو العسكريين دائمًا ولا يجب أن نتخلي  
عنه. حتى مَنْ يعادينا منهم ما دام لم يقتل منا أحدًا، ولم يقم بانقلاب  
علينا.

سكت مدير «مُر» الذي فكر للحظة أنه يقصده بالحدث عن القتل والانقلاب فقال الحاكم:

- المهم الآن أن تنبه إلى الطريق حتى نصل إلى الميدان سالمين.  
مشت السيارة التي يقودها سليم باشا القانونجي مدير «مُر» بنفسه على مهل. كل الشوارع خالية. الكوبري العلوي الذي نسير عليه السيارة الآن خالي من السيارات والناس. لا رائحة دخان للقنابل التي قيل إنها استخدمت ضد الشوار. كاد الحاكم يسأل كيف حقاً لا توجد رائحة لقنابل الدخان إذا كانت قد حدثت ثورة، لكنه شاهد أعلى الكوبري مدرعة شرطة محروقة بعدها بقليل مدرعة أخرى معطلة وقرأ على جانبها «الشعب يريد إسقاط النظام».

بدأ يشعر بجدية ما حدث. انتهى الكوبري العلوي فوجد عند المنزل شاباً نائمين ممددين أو جالسين. صرخت سناء هانم:

- ما هذه الجثث؟

قال مدير «مُر»:

- ليست جثثاً. إنهم الشباب مخدّرين. لم تكن معجزة يا سيدتي. ذلك ما فعله السر عسكر الذي ظلمه فخامة الحاكم. لن نستطيع أن نتقدم بالسيارة أكثر. شكل الشباب المخدّر فوق الأرض سيرعبك سيدتي.

قال الحاكم:



- ولما قال لم يقل لي ذلك. للأسف فكر أن يخيفني بقوة الله. في كل الأحوال هو يتحقق ما جرى له.

هتفت مناء هاتم:

- أخشى أن يفبقوا من المخدر. سيقتلوننا. إنهم آلاف ممددون في الطريق.

قال مدير «مُز»:

- ملايين يا سبتي لكنهم لن يفبقوا الآن. المخدر قوي جدًا وأمامه بومان على الأقل حتى ينتهي أثره.

- انزل لننتهي بسرعة.

قال الحاكم ذلك وفتح باب السيارة. مشى على مهل من منزل الكوبري العلوي. لا يستطيع أن يسرع. هو الذي بلغ الثمانين. مدير المحن والأزمات «مُز» بلغ السبعين. تمامًا مثل السر عسكر ووزير الأمن والأمان «مَم». مشى الاثنان على مهل. رائحة دخان القنابل لا تزال في الفضاء. على الرصيف الشباب ملقون. بنات وأولاد. وحول المتحف الكبير شباب ملقون على الأرض مخدرين. اقتربوا من الميدان فرأوا عربات الجيش عليها عدد من الجنود مخدرين أيضًا فرق أسلحتهم. قال الحاكم:

- لقد خدركم الجنود!

- لم يكن أمامنا غير ذلك. لم يكن ممكناً أن نأمرهم بترك الميدان فيقتل الثوار إلى قصر الحكم.

تساءل الحاكم:

- هل صحيح هتف الشباب الجيش والشعب ليد واحدة؟

- صحيح يا أفندم.

- مؤذبون جداً!

قال الحاكم ذلك ساخراً فقال مدير «مُر»:

- شباب مراهق. شباب الفيبوك يا مولاي. شباب من العالم الافتراضي.

قال الحاكم في ضيق:

- فيبوتشا سبب كل البلاوي. هي التي اخترعت الفيس زفت دا.

كانا قد صارنا وسط الميدان. آلاف ممددون على الأرض وعلى النجيل. الكل نائم من أثر التخدير. البنايات القديمة العالية تبدو نائمة أيضاً من أيام الملكية والاستعمار كأنه لم يمر عليها زمن ولم يسكنها بشر. نوافذها المفتوحة لا يبدو أن خلفها أحداً، ونوافذها المغلقة تبدو مغلقة منذ عشرات السنين. لقد دخل المخدّر إلى البيوت ونام من فيها. لا بد.

- لا وندة حلوة جدًا والناس نالمة.

قال الحاكم ذلك فقال مدير «مز»:

- جدًا يا مولانا.

تسائل الحاكم:

- هل تعرف لماذا اختار شباب لا وند أن يثوروا في نفس يوم ثورة

شباب مصر ايم؟

- اكيد هم على تواصل يا مولاي.

- هناك لا تزال الثورة مشتعلة ولا نعرف مصيرها.

- حاكم مصر ايم ليس لديه قدراتك يا مولاي وتوقعاتي انهم

سيخلعونه. لقد انضم إليهم جماعة النصحية والهدى هناك

وسيفتحون عليهم بعد ذلك ويرقون الثورة.

سكت الحاكم لحظات بدا فيها بفكر ثم قال:

- سألقي بالشباب في الزمان إلى الخلف وإذا احتجت سألقي

بجماعة النصحية والهدى.

تسائل مدير «مز»:

- هل تستطيع يا مولاي إرسال هذه الآلاف إلى الأعوام السابقة.

إنهم أكثر من مليونين. وهل سترسلهم في وقت قصير؟

لكن الحاكم تساءل:

- قل لي كيف وجدتم مخدرًا يكفي هؤلاء جميعًا؟

أجاب مدير «مُر»:

- الشيخ يا سيدي. جماعة «النصيحة والهدى» يشتغلون في التخدير من زمان. كان لديهم مئات من البراميل من هذا المخدر، وكانوا مستعدين لإلقائها على الشعب كله ليصبحوا فيجدوهم في الحكم ويقتلوننا ونحن نيام.

نظر الحاكم إليه مذهولًا فاستمر مدير «مُر»:

- لا تقلق. لقد قبضنا على زعمائهم وشيوخهم الكبار «شمعدان» واستولينا على ما لديهم. قلنا لهم أن يأمرؤا شبابهم بالنزول إلى الميدان أمس بعد أن احتله الثوار ليدوا وكانهم شاركوا في الثورة.

ازدادت دهشة الحاكم فقال مدير «مُر»:

- أجل. توقعنا أن ينجح الشباب في الوصول إلى الميدان، فقررنا التعاون مع جماعة النصيحة والهدى لسرقة الثورة إذا نجحت.

- غريب أمرك. تقول قبضنا عليهم وتقول اتفقنا معهم.

- قبضنا على زعمائهم يوم 25 قبل يوم الجمعة بثلاثة أيام، واتفقنا معهم وهم بين أيدينا. نفذوا ما نريد ولما عرفوا أننا استولينا على المخدر وعدناهم أن لا نستخدمه ضدهم.

- لكن كيف منميز بينهم وبين الثوار الآن؟

- لا تشغل بالك يا مولاي. هم عيد اليادة، حتى إذا انتصروا سيكون من السهل الضحك عليهم، وسيكون كل أملهم العيش في ظل حمايتنا لنشر أفكارهم. متلازمة أستكهولم يا افتدم. ما أكثر ما هذبنا رؤسائهم.

ابنم الحاكم وقال على طريقته حين يدخل في الهزار:

- متلازمة أمك!

ابنم مدير «مُز» الذي نادرًا ما يضحك. الذي لا يضحك إلا عند التعذيب كما يقول الحاكم عنه. قال الحاكم:

- شوف البنات نائمة منشفة على الأرض لزاوي؟

سكت مدير «مُز» فقال الحاكم:

- ما رأيك نهزر قليلًا معهن. تكشفهن لي من تحت. كام واحدة كده بدل الهمّ اللي أنا عايش فيه!

ابنم مدير «مُز» من جديد وقال:

- لا يمكن يا افتدم.

- لماذا؟

- سُت البنطلونات تجمدت؟

- إذن اكشف مرتديات الفساتين.

- لا يمكن يا افتدم.

قال الحاكم في ضيق:

- كله لا يمكن لا يمكن. إنهن مخدرات ولا أحد معنا.

- معنا ربنا يا افتدم يرى كل شيء.

نظر إليه الحاكم ساخرًا فقال مدير «مُز»:

- وهناك أعمار صناعية لا بد تصور المكان الآن. جوجل لا يترك

شيئًا بلا تصوير.

- قلت لي! صبح. لكن هل أنت متأكد أن هؤلاء هم كل الثوار؟

- لا طبعًا. لكن إذا اخفى مليونان وأكثر يا سيدي ستكون مهمة

الباقين في كل البلاد الصمت وينسى الجميع الثورة. لكن لم تقل لي

هل تستطيع حقًا أن ترسل كل هؤلاء إلى أعوام سابقة؟

- ستري. لكن لضخامة العدد سيكون الإرسال إلى العام الماضي

فقط. إلى يناير الماضي. بعضهم يسقط في الطريق «عند» فبراير

ومارس وغيرهما من الشهور، لكن القليل هم من سيقطون قريبًا

من نهاية العام. إرسالهم بعيدًا جدًا على مراحل أفضل طبعًا لكن هل

يمكن تخديرهم لشهر كامل؟

هز مدير «مُز» رأسه وقال:



- لا يا سيدي. سيموتون..

- إذن يكفي عام واحد إلى الخلف. توكلنا على الله.

صار سليم باشا القانونجي مدير المحن والأزمات «مُز» مندهشًا جدًا. يتصور أنه في حلم أو خيال. لقد استطاع الحاكم أمير باشا أبو العساكر إلقاء كل الثوار المخدرين في الميدان إلى العام الماضي. لم يحملهم بين يديه. وقف رافعًا يديه أمامه بحركتهما من أسفل إلى أعلى ومع كل حركة يرتفع عدد هائل من الشباب يطير أمامه إلى السماء وينعد حتى يفتني. وقف الحاكم مبتما يقول له:

- مارايك؟ ها هو الميدان صار خاليًا تمامًا. تركت الجنود مخدرين ومن في الدبابات الأربع التي في بدايات الشوارع. أرسل أحدًا ليفيقهم بعد أن ترك الميدان.

كان مدير «مُز» لا تفارقه اللحشة حتى إنه تفصّد عرقًا حول عنقه في هذا الجو البارد فسأله الحاكم:

- هل تمطر عليك وحدك؟

- لا يا سيدي إنه العرق.

- نعرق في يناير؟! هكنا يمكن أن تموت في الصيف.

- لا أصدق يا سيدي ما فعلت.

- معك الحق طبعًا. لقد أرسلت إلى العام الماضي من في الشوارع انجانية أيضًا. هل تحب أن نمشي فيها لتأكد؟

هنا ضحك مدير «مُز» وتآلق وجهه. قال:

- أنا الذي تخرج الثعابين من يدي لم أعد أساوي شيئاً أمام  
فخامتكم.

- إذن هيا نعود لنُطمئن سناء هانم.

وعادا إلى السيارة المدرعة. في الطريق قال الحاكم:

- أنا لديّ هذه القدرة من زمان. لم أخبر أحداً بها إلا الهانم ولم  
تصدقني. هل تذكر الصحفي الذي أخفته وزارة الأمن والأمان ولم  
يُعثر له على أثر؟

- أجل يا مولاي. لقد أذابوه في الحامض.

ضحك الحاكم. انتشر رنين ضحكته في الفضاء الواسع ثم قال:

- كتابون، أرسلته خمسين عامًا إلى الخلف قبل أن يصلوا إليه.

- لكن يا مولاي لقد قدم لي وزير الأمن والأمان «مم» تقريراً بما  
فعلوه.

- هل رأيتهم؟ مجرد تقرير. ذهبوا فلم يجدوه. بحثوا عنه أسبوعاً  
كاملاً ولم يهتدوا إليه. وخوفاً من أن أقبله لفضله قال إنه أذابه في  
الحمض.

سكت مدير «مُز» غير مصدق. قال الحاكم:

- ما المشكلة إنه كان على علاقة بعشيقة وزير الأمن والأمان «مَم». هذا الوزير نفسه يضع في مكتبه قمصان نوم حريمي للنساء اللاتي يعاشرهن بعيداً عن زوجته.

لم يرد مدير «مُز» فاستطرد الحاكم:

- أنت الوحيد بين رجالي الذي يعرف أن ربنا موجود.

ظل مدير المحن والأزمات «مُز» صامتاً وإن أعجبه كلام الحاكم أمير أبر العساكر. بدأ يفكر في أنه من الصعب التخلص منه، وأن حلمه أن يكون مكانه شيئاً آخر كثيراً ما دامت لديه هذه القدرة المجدبة. لكنه على نحو مفاجئ وقف ومد يديه إلى الأمام فطالتا وتحولتا إلى شعبانين بهرلان زاحفين على الأرض ويفحّان ويخرجان لسانيهما ويتعدان عنهما برأسيهما والحاكم ينهم ويقول وهو يرى الشعبانين يدوران على الأرض من بعيد:

- لم سلاحك. سلاحي أجمل، لا يترك خلفه أثاراً. أي إنسان ستلدغه ويموت ستكون له جثة.

لَمَّ مدير «مُز» ذراعيه فراجع الشعبانان بسرعة. أسرعاً إلى العربة المدرعة والحاكم يقول:

- أمام الشباب الطائش عام كامل حتى يعود. المهم الآن أن نفكر ماذا سنقول للشعب الجالس في بيوته وللعالم. أين ذهب الثوار النساء؟



في قصر الحكم جلس الحاكم أمير أبو العساكر مع زوجته. كانت شاردة لا تصدق ما جرى. تنظر إلى زوجها الحاكم الذي يحتمي فنجان قهوة وأمامهما شاشة التلفزيون الكبيرة تبث آخر الأخبار. كان المذيع يتحدث عن اختفاء مفاجئ للشباب من الميدان الكبير. لقد اقتنعوا بأن ما فعلوه خطأ فانصرفوا جميعًا. قال إنه سيذيع مفاجأة من العيار الثقيل وسيظهر بعد قليل من أقتنعهم بذلك. قال الحاكم لزوجته:

- مدير «مُز» شغال تمام منذ عدنا.

لكنها لم ترد. بدت شاردة وعلى ملامحها شيء من الغيظ تحاول إخفاءه، والمذيع المتحمس يتحدث عن خطأ الشاب الذي كاد يضع البلاد في كارثة، ويتلقى الاتصالات التليفونية من المشاهدين، والحاكم ينهم في دمه.

«يا أفندم أنا اسمي حسن حين حُان كنت في الميدان مع الشباب. كنت فرحان جدًا لكن فجأة لاقتهم كل اثنين بيوسوا بعض. وأكثر من كده بينزلوا محطة المترو اللي ما يشتغلش ومش عايز أقول يعملوا إيه. بس برضه بصراحة كان فيهم عيال جدعان يتكلموا قد إيه ظلموا الحاكم. ولازم يمشوا»

«يا أفندم أنا أم أيمن بياعة الساندوتشات في الميدان. أنا شفت الشباب بيعيط على الحاكم ويقول ماكناش في وعينا مشينا ورا شوية عملاء. إزاي توصل المسألة إن الممثلة الكبيرة أروى شعير ما تعرفش

نجيب يتزاحم فيها. قد ليه حرمنا الناس الحلوة من كل حاجة حلوة»

«يا افتدم أنا أحمد علوان. اظن حضرتك عارف إني من الثوار وأكيد تعرف صفحتي على الفيس بوك اللي عنوانها: «ما تخافش» أنا أول ما نزلت الميدان جاني هاتف من ربنا بيقول لي اطلع. أقنعت شباب كبير ولاقيتهم كمان يفكروا زبي. إحنا بنعتذر للحاكم»

خلال ذلك كانت صورة الميدان الخالي تملأ الشاشة والكاميرا تدور في كل مكان فيه تؤكد خلوه من البشر. والحاكم يتابع المشاهد في انشامة وفرح الذي يعرف بكذب كل ما يفاع.

وقال المذيع. فاصل ويظهر معنا أكبر من ساهم في خروج الشباب من الميدان والعودة إلى منازلهم.



في ذلك الوقت كانت الفتاة الجميلة تنظر في المرأة لتؤكد لنفسها ما يقوله الناس من أنها تشبه تمامًا الممثلة العظيمة الراحلة سعاد حسني. جسمها الصغير الرشيق. عيناها السوداوان الواسعتان، وشفاتها هما أقرب ما يجعلها تشبه سعاد. ما إن ترى وجهها حتى تشعر بالسحر والشهد ينكبان من شفثيها وتتمنى لو قبلتهما ووضعتهما فمك بينهما نمص شهدهما شفة بعد شفة. حتى لو قبلتك وشفثاك مذمومتان تشعر بالدنيا من حولك قد زالت إلا من برزخ يمرح فيه آلهة الأولمب. حتى

لو سحبت شفتيها قبل أن تفتح شفتيك تغمض عينيك وحدهما على الهوى الذي حار فيه الأحياء من الشمراء فجعلوه طريقاً إلى وحدة الوجود والتماهي مع الخالق الذي فرق كل غيره وسكره على شفاه الأحياء فما بالك بها وقد جمعت في شفتيها كل ما فرقه الله على المحيين!

انتهت من «تسريح» شعرها الأسود القصير فراته قد طال فجأة ونزل على كفيها. كيف حدث هذا وقد قصّت شعرها أمس؟! ابتسمت. الكون يحشد لها ما تريد من أثر شهوي لن يعرفه إلا من يلمس شعرها وجهه بعد أن تلمس شفتاها شفتيه.

كانت قد ارتدت بنظورتها أبيض لم تحبه واسعاً ولا ضيقاً، وفوقه بلوزة خفيفة بيضاء، فوقها جاكيت جينز يميل إلى الرمادي، قصير مطعم بالزهور البنك واحدة فوق أحد الجيوب والثانية أسفل الجيب الثاني. ارتدت حول عنقها شالاً صغيراً رمادياً، مشبّعاً بالزهور الصغيرة عقدته من المتصف فصارت أطرافه مثل زهور الوان. لقد نامت أمس ورات نفسها تُقبل شاباً قىل إنهم فقدوا الحياة. استيقظت باسمه وأدركت أن هناك مهمة تنتظرها في بلد بعيد. فردت ذراعيها فظهرت على جانبيها أجنحة بيضاء. سيعطيها الإله قوة ييجاموس الحصان المجنح، أو سيرسل إليها ييجاموس نفسه. وقفزت في الغرفة فلأذا بالسقف ينفث وتخرج منه إلى الفضاء. صارت تضحك وتندثر رغم الخوف الذي ألمّ بها. قررت الهبوط فهبطت في منتصف الغرفة



من جديد ثم قفزت. لم تعد تفرق بين الحلم والحقيقة. لكنها تشمر  
بنفسها خفيفة. وامتدت الأرض أمامها وزالت الجدران فرائت نفسها  
فوق الفرس المجنح ييجاسوس في صحراء واسعة. من أرسلها إلى  
هذه الصحراء غير الإله الذي يرعاها. لن تفكر في العودة ولتظل نظير  
وتركض ولن تشمر أبدًا بالظما.



ضحك الحاكم بقوة وضرب كفيه في بعضهما وهو يرى أمامه  
على شاشة التلفزيون الشيخ شمعدان الذي يسمونه بفلك بينما  
برندي دائمًا بدلة من أحدث الموضات. إنه رئيس جماعة «النصيحة  
والهدى». هؤلاء الذين مضت عليهم عشرات السنين يحاولون فيها  
الوصول إلى الحكم ويفشلون. يلجأون للإرهاب ويفشلون. يخرج  
منهم يائسون من العمل السلمي يكونون جماعات ملحة ويفشلون.  
عرفتهم السجون في كل سنوات القرن الماضي وفي عهده كان أقل  
سجنًا لهم. ترك لهم الشارع يلعبون بعقول الناس بشرط أن لا يفكروا  
في الحكم. وكلما فكروا في الحكم قبض على قادتهم وعلى رأسهم  
هذا المسمى بالشيخ شمعدان. اسمه يثير الضحك. قال شمعدان أنواع  
منها الكبير والصغير يحمل الشموع نضيء المكان، لكنه أيضًا تحمله  
الراقصات وفيه الشمع ويرقصن به في المواخير الفقيرة، لكنه لم يتخل  
عن اسمه. كان الشيخ شمعدان يتكلم وهو، الحاكم، يضحك وينظر  
إلى سناء زوجته التي بدت ذاهلة عنه. قال الشيخ شمعدان:



نظر إليها وقد تغير لون وجهه إلى الأصفر والأسود. قال:

- فيم تفكرين ونحن في مصيبة كبرى؟

- أفكر فيما قلته لك، وأنا على صواب.

قال:

- كان أسهل لو قذفتك أنتِ إلى القرن الأول بعد الميلاد لتعيشي

عارية في الغابات. هذا هو خطئي.

وقفت وقالت ساخرة:

- من يدري، قد تفعلها.

وقف وتقدم منها على مهل بينما تزم شفتيها في غيظ وهمس:

- ما رأيته من قدرات عندي لا يمكن استعمالها مع أقرب الناس

إليّ إلا في الخير، وليس أقرب منك حبيتي منذ الشاب وأم أولادي.

لكنها لم تقتنع. استدارت وأسرعت مبتعدة عنه ووقف هو ينهم.

تذكر أنه يومًا فكر في اسمه. لقب جده البعيد «قنطروس»، فهل كان

جده إنسانًا على جسد حصان كما عرف من الأسطورة حين يبحث عن

معنى الاسم الذي لم يبحث عنه من عائلته أحد؟

ما سمعه في طفولته من قصص العائلة أن جدّهم البعيد كان تاجر

أقطان. تجارة الجدد كانت كبيرة تملأ مخازن ضخمة وأراضي خالية

أمام المخازن، ولأن القنطار هو وحدة الوزن المتداولة في تجارة

القطن الكبيرة أطلق عليه الناس لقب قنطروس قاصدين أنه يمتلئ بقناطير مقلعة من القطن. كان يصدق هذه الحكاية رغم مولده بين أسرة فقيرة ويرر أبوه الفقربان حريقاً أنى على كل ما في المخازن مما جعل الجد يموت قهراً وتنتهي التجارة!

الآن لا يصدق هذه الحكاية. لماذا يصدقها وقد ظهرت معجزاته؟ يصدق أن جده هو القنطروس الأسطوري. سيطلب من وزير الأمن والأمان «م» أن يأتي إليه بكل من يحمل اسم قنطروس من غير عائلته. سيتحقق له أن لا أحد يحمل هذا الاسم إلا هو وأفراد عائلته الذين رحل أغلبهم وأمر الباقين بالاختفاء بناءً على تعليمات زوجته. هو المخلص القديم بين هذا الشعب وهو صانع المعجزات!



في غرفة مكتبه جلس مدير «مُر» سعيلاً يتسم. لم تعد غرفته في مبنى المحن والأزمات السري تحت «جبل الزمرد» الذي لا يظهر في أي خريطة معروفة أو غير معروفة. بل لا يعرف أحد أين يقع جبل الزمرد هذا. ربما كان تمويهاً على المكان الحقيقي في منطقة ما وسط العاصمة. إنها الآن في مقر الحكم الشهير جنوب العاصمة. القصر الذي كان يوماً مشفى لمرضى السل يأتون من العالم إليه في هذه البقعة الخالية من أي تلوث. كان ذلك قبل سنين عامًا. بعد ذلك فقدت المنطقة خاصيتها الفريدة في الدنيا وامتلات بالتلوث من مصانع الأسمنت والحديد والصلب لكن القصر ظل كما هو. يحمل الهواء

الثلوث لكنه لا يدخل به إلى القصر. يدخل الهواء نقيًا كأنما هبط من السماء إلى هنا في التو. الحاكم يفضل المكان المسحور، والشمب يتصور أنه يعيش بينهم يعاني ما يعانونه. لا يعرفون القوة السحرية للقصر التي تجعل الحاكم يعيش كأنما هو فوق جبل الأوليمب. أو جبل الوحوش الذي فوقه قصره الفخم الذي لا يدخله إلا نادرًا.

لقد طلب الحاكم من مدير «مُز» أن ينقل مكتبه إلى قصره حتى تمر المحنة التي لم يتوقعها أبدًا. شباب طائش أكثره بلا عمل غير الكلام التافه على الفيس بوك وتويتر استطاع أن يحشد البلاد كلها ضده.

كانت الأخبار السارة تأتي إلى مدير «مُز» بأن شباب الميادين الأخرى في البلاد بدأوا يتركون أماكنهم ويعودون إلى بيوتهم بعد أن عاد شباب الميدان الكبير لكنهم لم يتر في هذه الأخبار ما يدعو إلى السرور. كان يتمنى أن تستمر الثورة تعجل يوم رئاسته هو للبلاد. هل يمكن أن يطلق ثعبان يده ليدخل إلى غرفة نوم أمير أبو العساكر بلدغه لدغة الموت وتنتهي القصة؟ ستكون لديه دقائق قبل الموت. ولو حتى دقيقة واحدة. ولو حتى ثانية واحدة يستطيع فيها أن يلقي به إلى عصور ما قبل الإنسان. في هذه الحالة حتى لو تحول إلى ديناصور سينقرض. لن يهزم أحد هذا الحاكم. فليبق يده فيما يفعل وليوافقه فيما يقول لعل من وضع فيه هذه القوة التي تجعله يلقي بأعدائه في الزمان ينخلني عنه.

لكنه مدّ ذراعيه فوق المكتب فخرج من كليهما ثعبانان جديدان هذه المرة، لكلّ منهما رأسان ولسانان راحا يمتدان أمامه ويمشيان إلى الجدران يتفشان السم على اللوحات الفنية المعلقة. اتبه لما يحدث ثم أدرك أنها لوحات غير أصلية، فالأصلية استولت عليها السيدة الأولى من كل قصور الحكم القديمة والجديدة واختفت. لكن سم الثعبانين لا يميز بين لوحات أصلية وغير أصلية. اتبه إلى أنه يمكن أن يخطئ ويقف منكأً على الحائط ويلمس إحدى اللوحات فيقتله السم الذي أفرزه ثعبانه. ضم ذراعيه إلى صدره يهدوء فعاد الثعبانان إلى يدبه. قبل أن يختفيا فيهما انحنى على كل منهما يقتله ضامناً أنه لن يلدغه. هو الذي يطعمهما كل مساء بـ «بيوض» المعنّين! ما كاد الثعبانان يختفيا في أصابعه حتى وقف سعيداً يصفق. ما أغياه من حاكم! قذف بالشباب إلى أول العام الماضي. سيعود الشاب ومن معهم من الكبار ويعيدون كل ما جرى العام الماضي من اضطرابات ومظاهرات واعتصامات. إذن ستحدث الثورة من جديد وسيزلون الميادين وساعتها سيتخلى عنه. الحاكم الأبله الذي سيعبد كل ما جرى، قد يفقد في المرة التالية قدراته.



## 2

رمال تمتد إلى ما لا نهاية من كل ناحية. جبال بعيدة تقف منذ آلاف السنين. ليست عالية إلا فيما ندر. بينها هضاب يميل فيها اللون إلى الأحمر الداكن. مطر يملأ الفضاء يسقط على الجبال وينحدر منها هادرًا. سحب سوداء كثيفة تمتد تحت السماء. لا صوت للرعَد ولا للبرق. هدوء لا يقطعه غير صوت المطر. المطر يدور حول دائرة كبيرة واسعة أكبر من الميدان الكبير في العاصمة ولا يتقدم إليها. فوق الدائرة أيضًا سحب لكنها لا تمطر. السحب الممطرة تباعد في كل ناحية فتقدم السحب الأخرى وتأخذ مكانها وتمطر لكنها كسابقتها لا تمطر فوق الدائرة الواسعة. المطر لا يزال يتزل من فوق الجبال لكنه لا يدخل إلى الدائرة الواسعة. يدور حولها ويتعد عنها. ثعالب تتفرق على مسافات بعيدة حول الدائرة تنظر إلى ما فيها من نائمين، وإلى المطر الذي لا يتقدم إليها إنما يسقط فوقها هي لوقوفها خارج الدائرة وعدم قدرتها على التقدم فيها أيضًا. الثعالب كثيرة لكن تفرقها حول الدائرة الواسعة يجعلها قليلة، فالمسافات طويلة ومحيط الدائرة واسع. ثعالب يلحقت إلى آخر بعيد عنه فيرى الآخر ينظر إليه. يفهم كل منهما دهشة الآخر من عدم تقدم المطر إلى الدائرة الواسعة. يجري



ثعلب إلى آخر ويقرب منه. يقف لحظة مقترباً برأسه من الآخر كأنما يسأله ماذا في المكان يمنع وصول المطر إليه. فكر ثعلب أن يتحرك داخلًا الدائرة فهدر رعد وبرق برق فتراجع وأدرك أن وسط الدائرة الواسعة محروس من الآلهة. رائحة البشر النيام بالآلاف وسط الدائرة مغرية للثعالب بالتقدم، والثعالب لا تستطيع. حمل المطر الزاحف من فوق أحد الجبال شيئاً مضيئاً بألوان زهور عديدة. ما إن اقترب من الأرض حتى وضحت ملامحه. إنها الفتاة الجميلة التي تشبه سعاد حسني على فرسها المجنح بيجاسوس. ما إن استوت واقفة على الأرض فوق فرسها المجنح حتى ضاع من فوق ثيابها كل أثر للمطر أو الرمل. حركت رأسها فاهتز شعرها الأسود الطويل. نظرت إليها الثعالب مندهشة. لم ترَ من قبل حصاناً له أجنحة. نظرت إلى بعضها كأنما تسأل عن سر هذا الحصان. لقد سمعت قصته من آبائها تناقلوها عبر القرون لكن ثعلباً واحداً لم يقل إنه رأى هذا الحصان. وفكرت في التقدم إليها لحظات لكن الفتاة كانت قد قفزت قفزة طويلة وصارت وسط النائمين. فكرت الثعالب أن تقفز خلفها لكنها لم تطع. ظلت متجمدة في مكانها كأنما كُتبَ عليها فقط أن ترى. نظرت إلى الفرس المجنح فرأته يرتفع إلى السماء ويختفي فوق الجبال. لا يستطيعون اللحاق بالفرس ولا الدخول إلى الدائرة الواسعة. ظهر الفيض في عيونها فجريت التراجع فتراجعت. يمكن أن تتراجع لكن لا يمكن أن تتقدم إلى دائرة النائمين!

كانت الفتاة الجميلة تقف باسمه ونشير إلى الثعالب بالتحبة التي كانت أشبه بالرسالة أن لا تقلق ولا تحاول أن تغدر بأحد. نظرت إلى وجوه النائمين القرييين منها. امتد بصرها إلى النائمين في الدائرة الواسعة. كم ينامون في سلام هم الذين ملأوا الشوارع بصوت الرعد والشمب يريد إسقاط النظام. الشعب يريد إسقاط النظام. يقفون أمام عربات البوليس المدرعة. يهجمون على قنابل الغاز المنفجرة والتي لم تنفجر يمدون إلقاءها على رجال البوليس وسط جو من الدخان الحارق. رصاص حقيقي يدوي صوته فيسقط من بينهم من يسقط هجرون به إلى أقرب رصيف ويتركونه مع آخرين يذهبون به إلى أقرب مستشفى. جاءوا إلى الميدان الكبير من شمال وجنوب وغرب العاصمة تراههم على شاشة التلفزيون وتحلم يوم يحدث فيه هذا في بلدها. ثاني الأخبار بعدد القتلى والمصابين. هي لا ترى قتلى ومصابين على الشاشات. لا ترى إلا شبابًا يتقدم في حسم. صوت البنات يعلو على صوت الأولاد. عربات البوليس المدرعة تعطل وتحترق والشباب جميعًا يهتفون بصيحات النصر. لا يتراجعون أبدًا. إذا تعذر عليهم الطريق يدورون حوله من طريق آخر. كانت ترى كل شيء يحدث في البلاد وهي في بلدها البعيد. ما لم تعرضه الشاشات كانت تراه أيضًا. تشفق متألمة مع كل شابة أو شاب يسقط قتيلًا برصاص رجال البوليس، وتشفق ببراءتها الطفولية وهي ترى رجال البوليس مع آخر اليوم يتراجعون في فزع ويهربون، ويتوسل الجنود الفقراء للناس أن يحموهم، فيقدمون إليهم الطعام ويرشدونهم إلى

محطة السكة الحديد التي سيعودون منها إلى بلادهم بعد أن خلعوا ثيابهم الرسمية ومشوا حفاة بالملابس الداخلية خوفاً من أن يتعرف عليهم أحد بعيداً عن حماية الناس في كل حي. يوم يحتاج إلى ملايين الصفحات صريراً وأحداثاً لكن تستعبد الآن. إنها تلخصه في كلمة وزير الأمن والأمان «مَم» التي أعلنها للسر عسكر بالتليفون ظاناً أن لا أحد يسمعه غيرهما «الشعب ركب»، سمعت هي المكالمات فصفت كالأطفال. نظر إليها أبوها مندهشاً فقالت له: «أنا أسمع ما لا يسمعه أحد، وأرى ما لا يراه أحد»، وحكت له فhez رأسه في دهشة ثم أصابه شيء من القلق. قالت:

- أشياء كثيرة تحدث في روعي لن أخبرك بها، وإذا غبت عنك لا تقلق فرف أعود.

وقف الأب ضاحكاً ونادى أمها قائلاً:

- بتك تحول إلى ساحرة.

وقفت الأم مبتسمة فاستطرد:

- اسمعي منها واهتمي بها قبل أن تفقد عقلها.

إنها تبسم الآن وهي تنصّر أباهما قلقاً من غيابها. لا بد أن تنتهي بسرعة قبل أن يحدث شيء وتستطيع الثعالب التقدم للتأمين. هذه الأهداد الهائلة كيف نقلها الحاكم المجنون بهذه السرعة إلى هنا.

لكنها استغلها في ساعة وسيمر الوقت على الثعالب كأنه شهر فترك  
الثعالب المكان من أثر الجوع.

\*\*\*

- أنت التي قبلتي؟

- لا. أنا أيضًا قبلني احد.

- فيم تحدثان؟

- في القُبلَة التي أفاقنا.

- وأنا أيضًا أفاقني قُبلَة.

نظروا أمامهم فرأوا الشباب يستيقظون واحدًا بعد الآخر يدلّكون  
عبونهم ووجوههم بأيديهم. يتلفتون حولهم في دهشة عميقة. كل  
منهم يفكر كيف صاروا هنا ومن فعل بهم ذلك. ولمحوها تتحرك  
سرعة بين النائمين. رأوها تنحني على كل شاب تُقبّله فيصحو ثم إلى  
غيره.

- من هذه؟

- يا سبحان الله! ما الذي يحدث هنا؟

- انظر إلى المطر إنه يسقط بعيدًا ولا يخدم إلينا.

- انظر إلى الثعالب البعيدة. كيف لم تدخل إلينا نأكلنا

ونحن نيام؟

- هناك شيء ما لا نفهمه أتى بنا إلى هنا، وشيء آخر أفاقنا من غفلتنا.

وصفق شاب يديه سعيدًا يمتلئ بالفرح:

- طعم البوسة يا جدعان على شفائيني.

نظروا إليه جميعًا وقالوا:

- ونحن أيضًا.

- حتى أنتن يا بنات؟

- حتى نحن.

بانت السعادة على وجوه الجميع وراحوا يتابعون الفتاة الصغيرة وهي تمر مرعة كقوس قزح بألوانه بين النالمين ولا تعود.

- أنا لمحتها لحظة قبل أن تبعد عني. فكرت أنها الفنانة المشهورة سعاد حسني.

- أنا كمان. والله العظيم هي سعاد حسني.

- سعاد حسني ماتت يا جدعان. سعاد حسني ليست من بلادنا فلماذا تأتي هنا.

- لكن هي فعلاً سعاد حسني. هل نسيت أنها تركت بلدها «مصر ايم» في سنوات عمرها الأخيرة وعاشت وماتت هنا؟

- نكن يمكن أن تكون أخرى تشبهها لبت فيها روح سعاد حني.

- كل شيء جاتز. المهم أنا قمنا من النوم. لكن من فعل فينا هذا؟  
الم ندخل الميدان الكبير متصرين؟ من أتى بنا إلى هذه الصحراء؟  
قالت فتاة:

- كما أتوا بنا هنا سنعود. ليس مهمًا أن نعرف كيف أتوا بنا هنا.  
المهم أننا صحتنا من النوم. أجل. النوم. أنا فاكهة الغاز الذي رموه  
علينا من الطائرة وكنا فاكهته احتضالينا. هذا الغاز أفقدنا الوعي.  
وكما لم نعرف كيف أتوا بنا هنا، هم أيضًا لن يعرفوا كيف رجعتنا. لن  
يصدقوا أن سعاد حني قبلتنا ورجعتنا كلنا ثاني للحياة.  
دق جرس الموبايل في جيب أحدهم فظهرت الدهشة على وجهه.  
أخرج الموبايل ونظر فيه.

- ما هذا؟ لقد مسحت هذا الرقم منذ سنة فكيف عاد؟

ابتسم من حوله مندهشين بينما يتحدث هو:

- آلو. أنت. ألم تقطع علاقتنا منذ سنة؟ تضحكين؟ نقولين لم  
نقطع العلاقة؟ طيب مع السلامة.

كانوا يضحكون بينما هو ينظر في الموبايل بعد أن أنهى المكالمات:

- ما هذا؟ التاريخ 30 يناير 2010.

دق موبائل فتاة فأخرجته ونظرت فيه وصلت الدهشة وجهها:

- بابا. أكر أنا بخير يا بابا. ماذا تقول حضرتك؟ أترك وقفة الكورنيش  
ضد رجال الأمن والتعذيب!

لم تكمل. نظرت إليهم غير مصدقة. تأملت التاريخ.

- فعلاً. 30 يناير 2010 وبابا بمنعني أخرج للتظاهر على الكورنيش  
في بلدنا فاروس التي جئت منها لأشرك معكم.

نظر الجميع إلى موبيلاتهم فرأوا التاريخ. هتف أحدهم:

- لقد القوا بنا هنا حقاً. لكن من أعادنا عامًا إلى الوراء؟

- يا ليلة سودا..

قال ذلك شاب آخر وجلس على الأرض ثم استطرد:

- كل ما فعلناه سفعله من جديد! كل المشاكل التي تجاوزناها

ستحدث ثانية. يعني ح يتقبض عليّ ثاني في مبنى حماية الدولة  
وحاتمذب.

وصرخ:

- ولاد الكلب.

قال شاب بدا عليه التوتر الشديد:

- أنا مراسل السي إن سي في لاوندة. ضاعت الكاميرا وضع

زملائي مني. كيف أجدهم وسط هذا الزحام؟



هتفت فتاة:

- انظروا.. انظروا.

كانت تشير إلى السماء التي يأتي منها الحصان المجنح. وقف خارج الدائرة والسحب السود راحت تبعد إلى الخلف بعيدًا في كل ناحية في السماء تفسح للنجوم متألقة متألقة. كانت شبيهة معاد حسني قد انتهت من المرور على النائميين جميعًا فكان منهم من يقف بتابعها غير مصدق ما يحدث وطعم القبلية على شفثيه، ومنهم من أسكره طعم القبلية فلم يقف وظل ينظر حوله. كانت هي قد صارت خارج الدائرة. مدُّ لها الحصان جناحه فصعدت عليه واستوت على ظهره وارتفع بها، وإذا بسحابة بيضاء تهبط بسرعة إليهما تلفهما وترفع أكثر، بينما صيحات الدهشة وعدم التصديق لما يحدث، وإذا بالسحابة بعد أن ترتفع إلى مسافات بعيدة والعيون معلقة بها حتى كادت أن تختفي تظهر منها آلاف الطيور البيضاء قادمة بسرعة ناحية الأرض فأصاب الكثير الهلع كما أصاب الكثير الدهشة، لكن الطيور التي كانت بيضاء ما لبثت أن تفرقت حول الدائرة واختفت أجنحتها وأصوات سققاتها وصارت ورقًا ينزل عليهم يتفرق على رؤوسهم فامنت له أياديهم وأمسك أكرهم به.

نظروا فوجدوا مكتوبًا بخط صغير جميل وبالحبر الأخضر:

«لا تقلقوا. الحاكم الظالم أتى بكم هنا وأعادكم عامًا إلى الورا. لن أتخلى عنكم. كثير كبير باحبكم.. هدبل من أرض الشام وديروا بالكم معاد حسني غير، لكن أنا باشبهها»

خيم عليهم صمت شامل. يتبادل بعضهم النظرات ولا كلام.  
ثم «نبحث» الثعالب فاهتزت البنات أكثر مما اهتز الأولاد وعادت  
السحب السوداء تشغل الفضاء فوقهم. اختفت النجوم وهطل المطر  
من جديد ونزل من فوق السماء والجبال يملأ الدائرة التي فرغت منهم  
تمامًا، وصارت الثعالب «تنبع» لأنها لا تجد أحدًا رغم أنها استطاعت  
دخول الدائرة الآن فصارت تجري هاربة من المطر إلى أوكارها بينما  
كان كل منهم، الآلاف التي قذفها الحاكم في الصحراء عامًا إلى  
الخلف، يقف على سطح منزله والفجر يصعد إلى الدنيا مبللاً بمطر  
خفيف نزل على العاصمة «لاوندة»، وينزل مسرعًا إلى أسرته يطمئنه  
على عودته سالمًا من الميدان.



~~~~~

هكذا ضحك الحاكم وهو يجلس مع مدير المحن والأزمات  
«مُز». ثم استطرد:

- إذن نحن لدينا الآن أكثر من مليون شاب لا يعرفون موقعهم من  
الزمن. دعهم حيارى حتى يصابوا بالجنون أو يرحلوا عن البلاد. قلت  
لي كم انتحر؟

- عشرون حتى الآن.

- قلت لي أيضًا إنك بحثت في الصحراء عن السر عكر  
وأحضرته؟

- قد لا يصدق الناس الشباب حين يتحدثون. قد نستطيع تكذيبهم  
في فضائنا وصحفنا، لكن السر عكر إذا تكلم ستكون الكارثة.

- كيف؟

- هناك كثيرون يحبونه في الجيش ويصدقونه.

- سألقي بهم جميعًا إلى السنين الماضية.

- يا سيادة الحاكم أرجوك ابتعد عن الجيش. هو قوتك الوحيدة  
يوم الشدة.

- طيب. ماذا تطلب مني؟

- السر عكر الآن في حيرة شديدة. كل شيء حوله يحمل تاريخ  
العام الماضي وهذا يذكره بما فعلت به. يجب أن ينسى.

- أستطيع إلقاء الناس في زمن ماضٍ لكن لا أستطيع أن أجعلهم  
يعيشون في زمتنا إذا عادوا قبل الموعد.

- ليس على حضرتك أن تفعل أي شيء. سأفعل أنا.

- كيف؟

- سنصدر قرارًا بأن تاريخ اليوم هو الثالث من فبراير عام 2010 نلتزم  
به كل المصالح والهيئات والمدارس والشركات. كل البلاد يعني.

- نقصد أن نخدع الناس جميعًا حتى لا نهين السر عكر  
ولا ينتحر شباب أكثر. موافق. لكن كيف سيصدقنا الناس؟

- هذه مهمتي.

فكر الحاكم قليلاً ثم قال:

- أفكر أن أقطع الكهرباء عن «لاوند» كلها ويعيشون كما كانوا قبل اكتشاف النار لكن المشكلة أنني سأشاهد أنا وأحفادي التلفزيون في الظلام!

ارتبك مدير «مُز» ثم كاد يضحك لكنه تماسك وقال:

- اترك لي الأمر يا مولاي. المهم أن توقع على هذا القرار.

وقدّم له ورقة راح الحاكم يقرأها:

«باسم الأمة. في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد قررنا نحن حاكم البلاد أن نصارحكم بالحقيقة. بعد دراسة متأنية للتاريخ الميلادي والهجري اتضح لنا أننا نسبق التاريخ الحقيقي بعام كامل، لذلك قررنا العودة إلى التاريخ الحقيقي والله الموفق والمتعان»

تردد الحاكم لحظات ثم قال:

- هذه صيغة تثير تساؤلي لا أعرف لماذا.

ابتلع مدير «مُز» ريقه ثم قال:

- مستابع الفضائيات وسرى كيف يمضي كل شيء على ما يرام.

### 3

جلس نزار ونورهان وأحمد خشبة ومصطفى يناقشون ما جرى.  
فانوا في شقة نزار الذي يعيش فيها مع أمه. نزار أكبرهم سنًا وأطولهم.  
في الثامنة والعشرين من عمره. محام وهب نفسه للدفاع عن قضايا  
المطالبين بالحرية. نورهان في الخامسة والعشرين، صحفية لا تنشر  
في جريدة لأنها تدافع عن الحريات بشكل صريح، ومصطفى طبيب  
أسنان هادئ الملامح مريح الوجه. أحمد في العشرين وفي السنة  
الثانية بكلية الآداب قسم تاريخ، وهب نفسه للدفاع عن الحريات أيضًا  
في الجامعة وخارجها وهو أكثرهم نحافة. يقولون له متلدين: «طبقًا  
حسبة لازم تكون رفيع وناشف»، الأربعة في حركة «حسكر قلة» التي  
نطالب برحيل الحاكم وتغيير النظام. هذه الحركة التي بدأت منذ عام  
ولم يكن أحد يتوقع أنها ستمتد إلى أعداد لا حصر لها من الشباب.  
نعرفوا على بعض من خلال الفيس بوك فأسسوا الحركة. كان نزار  
هو الداعمي لتأسيسها. التقوا كثيرًا في مظاهرات بالبيادين المختلفة.  
وكثيرًا ما التقوا في بيت نزار. لقد تغير تاريخ اليوم على صفحاتهم  
على الفيس بوك. كانت هذه مفاجأة جديدة أدهشتهم وحيرتهم بعد

أن تغير التاريخ على موبايلاتهم وموبايلات كل من يعرفونهم. قال أحمد مندها:

- لقد تغير التاريخ في مصر كلها بقرار من الحاكم، لكن أن يتغير على أجهزة المحمول فهذا لا يمكن فهمه.

قالت نور هان:

- لماذا؟ ألم تقطع شركات المحمول كلها الشبكات مساء الخميس 27 يناير ليلة جمعة الأمل. إنها شركات عميلة للنظام يمكن أن تفعل أي شيء.

وقال مصطفى:

- ما لا يمكن فهمه هو تغير التاريخ على شبكات الإنترنت. هذه خارج قدرة النظام الحاكم. هل اتصلت الدولة بجوجل مثلاً؟

قال نزار بهنوه تميز به:

- دعونا من البحث في هذا. ما مضى قد مضى ولن يتكرر شيء إلا القبض علينا لإرهابنا. إنهم يعرفون أننا لن نسكت. لقد تسربت أخبار أهم من هذا الحديث. الذي ألقى بنا إلى الصحراء هو الحاكم نفسه. اتضح أن لديه قدرات خارقة يمكن بها أن يلقي بالناس إلى سنين بعيدة وبلاد بعيدة. لكن فيما يبدو وقفت قدرته عند عام واحد.

قال أحمد ضاحكاً:

- حاكمنا أمير أبر العاكر صار أحد وحوش العصور الوسطى.  
ضحكوا. دخلت أم نزار حاملة صبية عليها أربعة فتاجين من  
الفهرة وقالت:

- لا نستمعوا إلى الخرافات. هذه إنتاج الأمن يريدون إرهابكم.  
قالت نورهان:

- لكنا بالفعل لم نبت في الميدان إلا ليلة واحدة ووجدنا أنفسنا  
في مساء اليوم التالي في الصحراء.

- هذه كلها أوهام. تمامًا مثل وهم أن سعاد حسني هي من أعادتكم  
من الصحراء. كيف لفناء أن تُقبل الآلاف على الأرض وتبعث فيهم  
الحياة؟ ثم ما علاقة سعاد حسني بالثورة؟ فنانة عظيمة في بلدها  
هاشت سنواتها الأخيرة هنا وأوصت أن تُدفن في بلدنا لا أكثر  
ولا أقل. لقد خدروكم بالغاز وتركتم الميدان تحت تأثير المخدر.

سكتوا للحظات لكن نزار قال:

- ماما. أرجوك اتركينا الآن. الماركسية لا تنفع في تفسير ما جرى  
لهو خارج نطاق العقل.

كان يشير إلى ماضي أمه مع أبيه المتوفى ونضالهما مع أحزاب  
البازر البرية.

قالت الأم:



- سأترككم طبعًا تتناقشون ومتصلون في النهاية إلى ما قلته لكم.

قالت ذلك وانصرفت. نظروا إلى بعضهم في صمت لحظات ثم ابتسموا. قال مصطفى:

- الإشاعات تقول أيضًا إن الحاكم ألقى بالسر عسكر ناظر الحرية إلى عام مضى، وإن من أعاده هو مدير «مُر».

قال تزار:

- علينا أن نعترف بأن ما جرى حقيقي. فكروا معي في حلول.

قالت نورهان:

- هو حل واحد فقط. نفعل كل ما فعلناه ولا نقع في يد البوليس. نخرج إلى نفس الأماكن ونتحدث نفس الحديث في المواقع الافتراضية وفي الحياة، وقبل أن يداهمونا نخفي فلا يجدون أحدًا.. مؤكد أن من سيقبضون علينا هم الضباط أنفسهم الذين فعلوها من قبل.

قال أحمد ضاحكًا:

- لن يُجديني أن أعرف الضابط الذي قبض عليّ ولا المكان الذي وجدني فيه. سيصلني في أي مكان يا نورهان. ليس هذا حلًا ناجحًا. لقد فاجأنا أبو العساكر مفاجأة لم تخطر على بالنا والواحد كلما استخدم عقله فقلبه في هذا البلد!

ضحكوا ثم قال مصطفى:

- إذن نتوقف عن أي عمل سياسي حتى فبراير القادم..

انشغلوا لحظات باحتساء القهوة ثم وقفت نورهان صالحة:

- هل يمكن أن نصل إلى سعاد حسني؟ لو وصلنا إليها سنجد الحل. هو أبعدنا وهي أعادتنا. لها نفس قدرات الحاكم ونستخدمها في صالح الثورة.

ران عليهم الصمت لحظات. سأل إجابته صعبة. الفناء من بلاد الشام. لم تخبرهم بمدبنتها ولا قريتها. فقط اسمها. هديل. في الشام منات يحملن هذا الاسم إن لم يكن الألاف. ثم من قال إنها حقيقة. إلا يمكن أن تكون ملاكاً من السماء انتحل هذه الصفات. الشكل سعاد حسني والاسم من الشام؟

سمعوا خريشات طائر على شيش النافذة، ثم ابتعد. لحظات وهم لمي حيرتهم وعادت الخريشات ورفرفة الأجنحة. طائر يريد أن يقف فلا يستطيع ويريد أن يدخل فلا يستطيع، لكن لماذا حقاً لا يتعد؟

- نفسي أشوف العصفورة دي؟

قالت نورهان ذلك ووقفت تفتح النافذة. قال أحمد:

- الدنيا برد ولن تجدي شيئاً. عصفورة مجنونة.

لكن رفيف الأجنحة يزداد فأسرعت نورهان وفتحت النافذة. دخل طائر صغير يرف بجناحيه ويحمل بين منقاريه ورقة بيضاء صغيرة تركها على الأرض ووقف بنظره يُحرّك رأسه إلى كل مناهل منهم على حدة.

هفت نورهان:

- يا ماما!

خرج الطائر مسرعاً من النافذة وابتمد وسط الغلام. انحنى نزار على الورقة التي تركها الطائر وهم ينظرون إليه غير مصدقين.

فتح الورقة المطوية طيات كثيرة وقال:

- نفس خط الأوراق التي سقطت علينا بعد أن حملت السحب هديل.

اقتربوا منه. راح يقرأ وهم ينظرون في الورقة:

«عشوا حياتكم. ستضحكون في النهاية. ستكونون في يناير القادم في الميدان الكبير».

هفت أحمد:

- إذن فلنضع النظام. معه قوة غير طبيعية ومعنا الميتافيزيقا نفسها. فيفا سعاد حني. فيفا هديل!

وقف الشيخ شمعدان على المنصة أمام أنصاره. كان الوقت صباحاً والساعة العاشرة. القاعة مكتظة بأعضاء الجماعة من رؤساء مجموعات المتفرقة في البلاد. ملابس عصرية وملابس قلبية. نساء مُحجَّبات ونساء مُنقَّبات. لحى طويلة صفراء وحمراء ولحى بيضاء سوداء. الأضواء باهرة وشديدة من مصابيح كثيرة في نجف كريستال ضخمة يتدلى من السقف وكذلك مصابيح على الجدران. على الأرض في الأركان مصابيح قوية ترسل أضواءها إلى أعلى. على الجدران أيضاً صور لمؤسس الجماعة تمثل مراحل من حياته حتى موته، وصور من جنازته. يدر المكان كأنه متحف صغير، فبعد جدارين امتلأ بصور مؤسس الجماعة، صور أخرى لمن خلفه في قيادتها حتى آخرهم الشيخ شمعدان. صور لبعضهم من وراء القضبان وأحدهم تحت المشنقة. كلها صور بالأبيض والأسود تعكس تاريخاً طويلاً قديماً يمتد لعشرات السنين، إلا صورة الشيخ شمعدان فهي الوحيدة الملونة.

كان يجلس على المنصة خمسة من أعضاء المكتب القيادي لجماعة النصيحة والهدى، وكان الكلام يرتفع في الصلاة. البعض

بضحك والبعض ظهر الغضب على وجهه. تحدث الشيخ شمعان فقال:

- أرجوكم اصبروا. توقفوا عن المحادثات الجانبية. هذا يوم فاصل في تاريخ جماعتنا.

وانتظر لحظات حتى عم الصمت ثم تلقت إلى أعضاء المكتب القيادي:

- هل يوجد هنا ممثلون للصحافة والفضائيات؟

جاءه صوت أحدهم:

- لم يعرف أحد شيئاً عن اجتماعنا، وعلى باب المبنى حراسة تمنع دخول أي أحد.

استطرد الشيخ شمعان:

- على بركة الله.

ثم أخرج من جيبه علبة بها «نشوق» فتحها وغمس سبابه فيها، ثم وضع سبابه في فمته أنفه وعطس أكثر من مرة. سُمعت الأصوات «يرحمكم الله» واستطرد بعد أن مسح أنفه براحة يده:

- كان يمكن أن نفضح السيد الحاكم. لكن فكرنا أن نسجل موقفًا لديه لا ينساه حتى إذا خذلنا بعد ذلك لا يلومن إلا نفسه. وافقنا على اقتراح مدير «مزة» أن نقول ونشيع في الفضائيات والصحافة أن شبابنا

هم من اقنعوا الثوار على ترك الميدان. ووافقنا ان نشيع ان هناك خطأ في التاريخ الهجري والميلادي، واننا يجب ان نعود عامًا إلى الوراء. هو، الحاكم، لا يعرف ان الثورة قادمة لا محالة، واننا في المرة القادمة لا بد ان نصل إلى الحكم. وصولنا بنجاته هذه المرة. غير ذلك سنعمل البلاد بالنار والدخان. أو ستركه للثوار يأكلونه. نحن نعمل الآن للوصول إلى رُقى وتعاويز توقف قدراته في التحكم في الزمان والمكان.

دوى تصفيق حار فابسم وقال:

- إن غدا لناظره قريب. وإذا لم تنجح توقعاتنا، لكم ان تحاسبوني وكل أعضاء المكب الرشيد لجماعتكم «النصيحة والهدى»، ونعزلوننا. اعطونا عامًا واحدًا وسنكون في الحكم. والآن تفضلوا بالأمثلة.

وأشار إلى سيدة منقبة. وقفت وقالت:

- أنا الأخت «أم علي» من مدينة فاروس. الإشاعات المفترضة كثيرة عن كيف باع الإخوة في جماعة النصيحة والهدى الثورة للنظام الحاكم. الآن عرفنا أنه أمام قوة الحاكم الخيالية اخترتم المهادنة حتى نصلوا إلى طريقة توقفونه بها عن هذه القدرات. وسؤالي هو: هل حقًا أعادت الشباب إلى بيوتهم الممثلة الميتة المدفونة هنا سعاد حسني؟ هي من «مصرييم» وليست من «لاوند» فهل لأنها مدفونة هنا يمكن ان نفعل هذا؟

دوت القاعة بالضحك فاستطردت:

- أنا أسأل بجد. كل مَنْ كان في الميدان من الشباب عاد صامتًا ذاهلًا وإذا تحدث يقول إن سعاد حسني قبلتهم قُبلة الحياة بعد أن فقدوا الوعي وأعادتهم بحرّها إلى بيوتهم.

استمر الضحك في الصالة، لكن وقف رجل من بين الحاضرين يطلب منهم عدم الضحك، ثم وقف شاب ودون أن يطلب الكلمة تحدث منفعلاً وقال:

- أنا أضم صوتي إلى الأخت. أنا لم أنفذ التعليمات بالانسحاب. أنا بقيت مع الثوار. خدرونا بالغاز حقًا ووجدنا أنفسنا في الصحراء. قبلتنا شابة تشبه سعاد حسني فأيقظتنا، وحين حملتها السحب هطل علينا ورق كبير يطمئنا أننا سنكون على أسطح منازلنا بعد دقائق وقد كان. والورقة موقعة باسمها، وهذه هي الورقة.

عاد الضحك ثم خفت مع بحثه عن الورقة في جيوب بدلته، ولما طال البحث عاد الضحك من جديد يعلو ويملا القاعة فانفجر الشاب:

- تسخرون مني؟ طيب كان معنا مندوبون من الفضاليات الأجنبية والمحلية. الفضاليات المحلية أنكرت ما حدث. القنوات الخارجية لم تنكر.

قال الشيخ شمعدان:



- يا ولدي هم كاذبون. هكذا وصفناهم في قناتنا المحلية التي انكرت حدوث ذلك.

- يا مولانا أنتم عدتم بالتاريخ عامًا كاملاً لتبرئة النظام الحاكم من أي جريمة ارتكبتها.

- أرجوك يا ولدي أعطِ الكلمة لغيرك؟

انفعل الشاب قائلاً:

- أنا لا أكذب ولكن أن الأوان للخروج من الجماعة.

ولم يتظر الشاب. استدار خارجاً. قال الشيخ شمعدان لحراس الباب:

- أعطوه الفرصة ليخرج. سيعود إلى رُشدِه وسنغفر عنه. أي سؤال آخر؟

سأله أحد الشباب:

- هل يمكن حقًا الوصول إلى رُقى وتعاوِذ توقف قدرات الحاكم الأسطورية؟

ابتسم الشيخ شمعدان وقال:

- مَنْ أعطاه هذه القدرات؟ الله سبحانه وتعالى، وهو قادر كما سخر له هذا أن يُسخر لنا ما هو أقوى منه. كل شيء بميعاد. وماخيركم بيشارة. لقد وصل الشيخ «ألف خان» من «راجستان». هو

أحد أصحاب الكرامات في حركة «راجبان». هو الذي جعل الحركة تنمر حتى الآن رغم بغي فيبوتشا واستخدامها لكل أنواع الأسلحة. هو يعمل الآن من أجل إيقاف قدرات الحاكم. إننا نخفيه في مكان غير معلوم. لكن من يريد الوصول إليه عليه أن يتصل بنا ونصحه في السر إليه. قدراته تبدأ من الشفاء من العقم والتعطل عن النكاح إلى دفع الحب في السماء وجعلها تمطر بعيداً عن البلاد.

هنا قال عضو بالمكتب القيادي للجماعة:

- لقد عرف به الحاكم وقابله.

توقف الشيخ شمعان في حيرة واضحة وأسف ظاهر. لقد بدا كذاباً أمام القيادات الشابة. علت همهمات في الصالة لكنه استترك وقال:

- لم أكذب عليكم. لكن في الأمر شيء من الخشية من الخروج عن الآداب العامة، لذلك أخفيت الخبر. ما لم يقله أخي في المكتب الرشيد ساقوله. الشيخ ألف خان لا يمشي وحده. معه قرين. قرين يعني نسخة منه في الشبه والجد. إذا أراد أحد أن يقابله أرسل قرينه حتى إذا حدث مكروه مفاجئ يحدث لقرينه. لقد حضر إلى «لاوندي» يوم 4 فبراير بالطائرة حيث كانت الفوضى ولا تزال في المطارات. عرفنا بعد أيام أن الحاكم يعاني من أمر خطير ومخرج للغاية. سامحوني يا أخواتي في الدين. أرجوكم لا تضحكوا يا شباب فقد يحدث لأي منكم. الحاكم هرش مؤخرته مرة فالتصقت يده بها واحتاج إلى

من يجذبها بقوة، أي والله، وهذا من الأسرار. صار كلما فعل ذلك  
النصفت يده فأصابه الرعب وصار حريصاً على ألا يفعل ذلك لكنه  
كثيراً ما ينسى ويفعلها. اتصل بنا مدير «مُز» بسانا إذا كنا نعرف رُقية أو  
نموذة تروق ذلك. حدثناه عن الشيخ ألف خان. كيف وصل وكيف  
محتاج تصريحاً منه بإقامته. واللق وأرسلنا إليه القرين وليس الأصل.  
فرا انتعازيد على الحاكم وانفصلت يده. حصلنا على تصريح بإقامة  
الشيخ ألف خان وهم لا يعرفون أن لدينا اثنين. الشيخ وقرينه. هل  
نرونني كتاباً الآن؟ قلت لكم المسألة محرجة. سامحوني. هل من  
اسئلة أخرى؟

لم يرد أحد. كانوا يضحكون ويحاولون ضبط أصواتهم. قال:  
- ظهرتم في البداية بمنظر الغضب والقلق. لعلكم ارتحتم الآن.  
دعونا نعمل في صمت حتى نقضي على قدرات الحاكم. ابتعدوا عن  
السياسة هذا العام حتى إذا قامت الثورة كنتم الأقوى إلا إذا طلبنا منكم  
ذلك. مَنْ يشكو منكم من ضعف جنسي رجلاً أو امرأة لا يخجل  
من الاتصال بالدكتور شعبان محمد أخوكم في المكتب القيادي  
لجماعتكم، وهو طبيب عالمي كما تعرفون، لكنه سياخذ الشاكي  
سراً إلى ألف خان ليختصر العلاج بالرُقَى. أريدكم أقوها. في النكاح  
لنملأوا الأرض بالأولاد وتعزوا الإسلام بين الأديان. لا تنسوا انكم  
في زمن قاهر. زمن الكيماويات في الأغذية والتقاوي المبرطنة، كل  
ذلك يؤثر على الإنجاب. أين أنتم من زمن الأجداد حين كان الواحد  
منهم يطوف على نائه بغُسل واحد!

## 5

اجتمع وزير الأمن والأمان «م» مع رجاله مبكرًا في الصباح. كان  
مساعد رئيس حماية الدولة الذي لم ينقطع الجلوس من قبل حاضراً  
وكالعادة هو الوحيد الذي يرتدي زياً مدنياً. بدا متردداً قبل أن يجلس  
على المقعد. مسح يده عليه قبل أن يجلس. ضحك زملاؤه وابتسم  
الوزير.

- كان وهماً يا سرّي بيك ما شعرت به. حتى الدم الذي رايناه ينزل  
منك لم نره على الأرض.

قال الوزير ذلك فابتسم الآخرون. تحلقوا معه حول منضدة  
الاجتماعات الكبيرة. بدوا اليوم أكثر راحة من ذي قبل. مضى شهر  
على اليوم المشنوم الذي ترك فيه رجالهم أسلحتهم وهربوا. صاروا  
يتحمون في بيوتهم أو في الحمامات الفخيمة الملحقة بمكاتبهم إذا  
باتوا. بدأت تصل من الخارج عربات مصفحة جديدة وأسلحة وقنابل  
غاز أكثر تطوراً وتأثيراً، وقال الوزير:

- ما هي الأخبار اليوم؟

قال سعاد فايز رئيس قوات مكافحة الشغب:

- قواتنا تعاني من الإرهاق. الشباب لا يعطينا فرصة الراحة. اليوم مثلاً في الظهيرة، ستكون هناك وقفات احتجاجية في أكثر من مدينة في وقت واحد.

قال الوزير:

- طيب. وماذا عن حماية الدولة بامرئ بك؟

- لدينا مشكلة الآن. مقرات التعذيب امتلأت. المقابر السرية لم تعد تسع، ولا بد أن ندفن الضحايا في مقابر عامة. هذا يحتاج تخطيطاً حتى لا يرانا أحد.

هز الوزير رأسه وأشار إلى الثالث، سقر فايز رئيس المباحث العامة، فتحدث:

- توقفنا عن التعذيب في أقسام البوليس. بين قوات الشرطة جنود وأمناء شرطة يصورون التعذيب سرّاً ويصل إلى الصحافة والفضائيات. أقسام البوليس امتلأت. نعطل وصولهم إلى النيابة بقدر الإمكان لأنهم عادة يحصلون على إفراج.

هز الوزير رأسه وأشار إلى الرابع، سامح أبو قرش رئيس مباحث المخدرات، فقال بهدوء:

- كل شيء تمام يا افتدم.

هنا انطلقوا في الضحك. لحظات وصمتوا. هز الوزير رأسه ونظر إلى مساعده الخامس سامي أبو عامود مسؤول الإعلام فقال:

- ما زلنا ميطرين على الصحف والفضائيات.

سكت الوزير لحظات ثم قال لهم:

- بالنسبة لإرهاق قوات مكافحة الشغب فأنا معك يا سعاد بك، لكن ليس أمامنا غير الاستمرار. سأحدث مع السر عكر أن يدعمنا بقوات من المجندين الجدد في أسرع وقت. وفيما يخص القتل من التعذيب يا سرّي بك فيمكن عمل مقبرة جماعية جديدة في الصحراء. يعني اقتلوا أكبر عدد في أقل وقت حتى تكون المهمة واحدة. بعد ذلك من يمت منفردًا يمكن دفته كالعادة في المقابر السرية تحت مباني حماية الدولة. وفيما يخص النيابة التي تفرج عن المقبوض عليهم فدعوا الأمر لي. سأحدث مع النائب العام. أما أنت يا سعادة أبو قرش فدعك من تجار المخدرات. منذ أن ضيقنا عليهم وعلى الناس تدخين الحشيش فكروا في البامسة. لا بد أن نعود للسياسة القديمة للرئيس الأمين رحمه الله فيما يخص المخدرات. دعوا البلاد تفرق فيها، هذا العام على الأقل. هل بقي شيء لم أتحدث فيه؟

قال مساعده سامي أبو عامود مسؤول الإعلام:

- لم تعلق حضرتك على كلامي عن الإعلام.

- أجل. هنا أمر أتركه لك. سياستك ناجحة جدًا حتى الآن.

دخل العقيد «مؤثر» مدير مكتب الوزير. انحنى على سرّي بك رئيس حماية الدولة فنظر إلى الوزير واستأذنه للخروج دقائق لتليفون هام.



جلسوا من غيره وقام الوزير إلى دولا ب سري في الحائط. أخرج منه خمس علب أنيقة يظهر من مربع صغير شفاف منها أن تحتها ثوبًا من الحرير الناعم. وضعها على المنضلة وقال:

- كل واحد يأخذ علبته بعد الاجتماع. آخر ما وصلني من باريس من قصص النوم الجديدة.

ابسموا ثم ضحكوا فقال:

- عبثوا حياتكم في التوبات الليلية، لكن المهم أن تظنوا على نفس قدراتكم في العمل. لن تفشل مرة أخرى.

كانوا ينظرون ناحية سري بك الذي عاد صاحب الوجه. بين الحيرة والدمشة يتسم لكن في قلق. رآهم وزير «مم» ينظرون ناحية زميلهم فنظر إليه وقال:

- إيه.. ماذا جرى؟ هل قتلتم كل المخطوفين؟

تردد سري بك وقال:

- يبدو أن العقيد عريان اتجنن!

العقيد عريان هو مساعده. واستورد قائلًا:

- يقول لي إن كل المحبوسين في مقرات حماية الدولة اختفوا. لا توجد إلا قطع مكانهم.

نظروا إليه غير مصدقين. ضحكوا. قال الوزير:

- يبدو أنك أنت الذي جُن يا...؟

- يا افندم العقيد عريان قال أيضًا إنه تلقى معلومات من كل المقرات في مصر أنه لا أحد محبوس لديهم غير القطط. كل المقرات فوجئت بالقطط صباح اليوم مكان المعتقلين.

هنا انفعل الوزير وهتف:

- يعني إيه؟ هذا كلام فارغ. ولو صحيح مَن هُرب المعتقلين روضع القطط؟

- يا افندم إنه يقول إنها كلها قطط في لون واحد. صفراء وعيونها حمراء. كل المقرات أخبرته أنها بنفس اللون.  
- أنت بتهجس.

- يا افندم أنا ساجن. يقول أيضًا إن القطط كلها تتكلم.

كان بقية مساعدي الوزير في صمت يكتمون ضحكاتهم. لقد تيقنوا أن زميلهم فقد عقله فجأة. استمر الوزير يصرخ:

- تتكلم تقول إيه؟

- يا افندم عريان ييه قال أيضًا إنها تغني. تغني أغنية سماد حني يا واد يا ثقيل.

هنا وقف الوزير هالجًا وقال:

- أنا لن أنتظر استقالتك. أنت خارج الخدمة..

ونظر إلى رئيس المباحث:

- خذني إلى مستشفى المجانين.

- أرجوك يا أقدم صدقي، عريان يه لا يكذب أبدًا. ممكن يكون أصيب بالجنون فعلاً. أعطني فرصة اتحقق بنفسي.

حط عليهم صمت ونظر إليهم الوزير فرأى المآ على وجوههم بزاد فصرخ:

- ماذا جرى لكم؟ ما هذا الأكم على وجوهكم؟

وقف رئيس المباحث يتألم فإذا بالمقعد الثقيل لاصق بمؤخرته، وخط من اندم ينزل من المقعد إلى الأرض وهو يقول في ألم:

- هذه المقاعد مسحورة. لقد ظهرت فيها المسامير من جديد.

وقف الأربعة الآخرون يتألمون والمقاعد لاصقة بمؤخراتهم والوزير ينظر في دهشة ويصرخ:

- لماذا أنتم؟ أنا لا يحدث لي شيء. أنتم تتخيلون، وما تتخيلونه يحدث.

سكت فجأة لحظة ثم وقف متورًا ونظر إلى مقعده فوجد مسمارًا بدا في الظهر من منتصفه. لم يكن قد طال بعد وإن أحس به يدا.

أشاروا إلى مقعده وهم يتألمون فهتف:

- لن أصدقوها هو الممار.

وضرب من المسمار يده فلم تصب بشيء واختفى المسمار.  
تقدم مسرعاً إلى كل منهم وجذب المقعد من مؤخرته فخرج في يده  
ووضعه على الأرض. لا أثر لدم وهم يقفون مذهولين.

- تفضلوا بالجلوس. كفى عجباً.

لكنهم لم يعودوا للجلوس. قالوا في يأس:

- يكفي هذا اليوم. لقد عرفنا رأي جنابك فيما قلناه. سنعود إلى  
مكاتبنا نواصل العمل. أمانا يوم طويل.

راقته الفكرة وإن تردد لحظات فقال:

- إذن انصرفوا. وأنا أنتظر تقريراً منك يا سرّي بك عن صحة خبر  
القطط. أنتظر منك خطاباً بإنهاء عمل عريان بيه وإقالته من الخدمة.  
مش ناقصة عريانيين. أو ثقيل أنت.

بدأوا في الانصراف فهتف الوزير:

- خذوا قمصان النوم.

عادوا وتناول كل منهم هلبته في صمت وخرجوا بينما هو يقف  
حائراً وسط غرفة المكتب الواسعة. ماذا سيحدث له إذا صبح كلام  
رئيس حماية الدولة. هل سيقبضه الحاكم؟ هل سيكفي بإقالته أم سيرسله  
إلى زمن بعيد يكون فيه عارياً إلا من ورقة التوت يهرب من الأسود  
والشعابين والوحوش؟ رأى نفسه يقفز بالحبال بين الأشجار ويصرخ

صرخة طرزان. قال: «استغفر الله العظيم»، وتقدم إلى مكبه. قبل أن يجلس مسح على المقعد بيده مترددًا. لم يجد أثرًا لأي خازوق. جلس وأشعل سيجاره الكوبي الثمين ونفث منه نفثتين، ثم ثلاثًا، وكور شففيه وراح يفكر. لن ينقذ لاوند من هذا العبث إلا رجال «النصيحة والهدى» فليدهم قدرات على السحر وطرده السحر. البلد معمول له «عمل» في بلد بعيد، لا يمكن أن تكون فيبوتشا التي يتهمون الثوار بالعمالة لها، بينما هي تجزل لهم العطاء سرًا، وتبيع لهم كل قنابل وأسلحة وعربات ومدافع القمع. لو أن لديه قدرة الحاكم لألقى بالشعب كله إلى زمن مجهول، وبدأ البلد على نظافة مع عشيقته الفنانة «هالة أورجازم» كما يسميها. ولو كانت لديه قدرة رئيس «مُر» لجعل ثعابينه تلدغ الشعب كله والحكومة كلها وبدأ على نظافة مع «هالة أورجازم». هي «هالة أورجازم» التي تستطيع أن تحمل عنه همه الآن. لكن الوقت نهار، ولقد تعود اللقاء ليلاً. كما أنها تصحر دائمًا متأخرة خاصة أنه لا توجد أفلام ولا مسلسلات تزدي فيها أي دور، فمنذ نزل الشباب الميدان الكبير توقفت كل الأعمال في البلاد وما زالت. لم يعد يعمل في البلاد غير مصابات سرقة السيارات والمحلات والبيوت وخطف البنات والنساء واغتصابهن وخطف الأطفال ويبيع أعضائهم. يعرف أن كثيرين من رجاله الصغار يقفون وراء هذه المصابات ليكره الناس اليوم الذي خرج فيه الشباب إلى الثورة. وحينما يعودون إليها مرة ثانية لن يجدوا معهم أحدًا بكثافة ما حدث من قبل يوم الجمعة الدامي، جمعة الأمل. لكن اليس الأفضل أن يقابل الحاكم ويقترح

عليه أن يلقي فعلاً بالشعب إلى ما وراء التاريخ؟ سيقول له: «وأحكم مين يا روح أمك؟»، وقد يلقي به هو، وفي هذه الحالة لن يبحث عنه أحد. إنه يريد أن تمرّد للبوليس قوته، وأن يصبح هو من جديد ملاذ الحكم وحاميه، لا الجيش ورجاله، ونظّل مزايًا رجال البوليس كما هي، وتزداد عندنا في رجال الجيش كما كان الوضع دائمًا. كما أنه لن يطلب مساعدة من مدير «مُز» حتى لا يركبه. سيتقابل سرًا مع الشيخ شمعدان للبحث عن فك للسحر المصمّول لهذه البلاد الوسخة التي لا تعرف قيمة حكامها!



خرج اللواء شُعاد فايز رئيس قوات مكافحة الشغب من مكتب الوزير وهو أشدهم قلقًا. هل يمكن أن يكون رئيس حماية الدولة قد جُنَّ حقًا؟ وهل يمكن أن يكون مساعده قد جُنَّ؟ حتى لو كان مساعده قد أصيب بالجنون، ما كان عليه أن يعيد ما قاله له. كيف لا يثبت أو يتحقّق أولاً؟ وابنهم ساخرًا. متى كان هؤلاء يتبنّون ويتحقّقون. لو فعلوا ذلك ما جرى شيء في البلاد. شاطرين بس يتعالوا علينا ويدونا أوامر ولا يهتمون بما نقول. ضابط برتبة ملازم ثانٍ في سلاح حماية الدولة يوقف لواء من المباحث العامة قدامه، فما بالك لو كان من أمامه لواء من قوات فض الشغب. طبعًا لن يعيره أي اهتمام. كم كان يرد أن يكون هو مكان رئيس حماية الدولة ويفوز بكل مزاياه. عليه الآن أن يذهب بسرعة إلى مقره، وأن يصدر الأوامر الصارمة بفض أي



مظاهرة أو وقفة احتجاجية قبل أن تبدأ. لا بد أن يعرف الوزير قيمته اليوم. وما هي الفرصة جاءت عنده.

لم يتظر وصوله إلى مكتبه بعيداً عن المدينة في الصحراء. أصدر أوامره أن تتحرك كل قوات مكافحة الشغب في كل أنحاء البلاد إلى أي مكان فيه مظاهرة أو وقفة احتجاجية لفضها قبل أن تبدأ، ويتم التركيز على الوقفة التي ستكون أمام مجلس الوزراء وسط العاصمة. هذه التي أعلن الشباب أمس في صفحاتهم على الفيس بوك وتويتر أنها ستبدأ الساعة الواحدة ظهراً وستمر إلى الخامسة. يعرف حيلهم القديمة. يريدون أن ينضم إليهم الموظفون عند خروجهم من أعمالهم في الوزارات المختلفة حول مجلس الوزراء. من الحمار الذي ركز كل وزارات البلد في متصف العاصمة لاوندة؟ ا رغبة حمقاء أن نحتل الوزارات القصور القديمة التي بنيت في العهد الملكي أيام الاستعمار. لم يكن أحد يفكر أنها ستكون عبثاً على وزارة الأمن والأمان رغم كونها قريبة منها. لماذا لم تتفرق الوزارات على أنحاء العاصمة لاوندة؟ بل على أنحاء البلاد فيكون حصار موظفيها أسهل وبعدد أقل من الجنود البؤساء؟

نظر في ساعته فرأها الواحدة. إذن بدأت الوقفة الآن. اتركوهم لكن ليس أكثر من نصف ساعة. لقد غير رأيه، وكانت هذه أوامره من هاتفه.

كان قد ابتعد كثيراً عن متصف العاصمة، ولم يسمع الشعارات التي يرددنها الشباب.

كانت العربات المصفحة على جانب من الطريق أمام مجلس الوزراء. الشباب اختاروا هذا المكان حتى إذا تم فضهم والاعتداء عليهم تكون سبة في جين مجلس الوزراء. فعلوا ذلك العام الماضي في نفس الشهر. فبراير. وتم فضهم ولم يشعر أي من الوزراء بالعار أو حتى الخجل.

كان الشباب يرددون:

يا بو العاكر يا جبان

يا عميل الفيسبوتشان



ثورة ثورة وغيرها ما فيش

لازم نشيل حكام طرايش



لو ضربونا بالقناص

شعبنا قال لأ خلاص

واتعلمنا اللاء خلاص



يا شهيدنا نام وارتاح

واحنا نكمل الكفاح

لو سحلونا في الشوارع

صوت الشعب حيفضل طالع

لو اخدونا من البيوت

صوتنا ابدا مش حيموت



شد حيلك ها ولد

دا انت بتحرر بلد

وكان الضباط شبابا وكبارا ينظرون إليهم في قرف، ويتمنون انتهاء  
النصف الساعة التي أنذروهم بها. لن يتظفروا حتى خروج الموظفين،  
ولن يسمحوا لأحد بدخول الشارع غير هؤلاء الذين لا يزيدون على  
خمسة. أقل مما كان العام الماضي في المكان نفسه. لا بد أن شبابا  
كثيرين لم يستوعبوا عودتهم في الزمن حتى الآن، ولا يزالون حيارى  
غير قادرين على التكيف مع الوقت.

ارتفع صوت الضابط الكبير. العقيد الذي حوله كل الرتب الأصغر  
بخطب المتظاهرين:

- أرجوكم الانصراف. لن أمد لكم في الوقت أكثر من خمس  
دقائق.

ارتفعت الصيحات:

«الأمن بلطجية. والأمان كان زمان»

لم يعد هناك أي تردد عند العقيد وقواته. قفز من العربات الجنود  
المثثون في ملابسهم السوداء المدرعة يحملون البنادق قاذفة قنابل  
الدخان. وخلفهم يقف آخرون بالرشاشات لاستعمالها وقت الحاجة.  
هذا العام لن يكون مثل الفات. سيتم استخدام الرصاص الحي بعد  
قنابل الدخان إذا قاومها الشباب. صرخ العقيد:

- اضرب.

لكن أحدًا من الجنود لم يطلق قذيفة. نظر إلى جنوده في غيظ.

- اضرب يا جحش منك ليه.

أطلق ثلاثة من الجنود القنابل عالية في الفضاء فقطعت داخل فناء  
مجلس الوزراء.

- بتعملوا إيه منك ليه يا بهائم؟

الجنود ينظرون إلى بعضهم ويتسمون تحت أفئنتهم ويعرفون  
أنهم يتسمون لبعضهم.

صرخ العقيد وأمر حاملي الرشاشات:

- اضربوا العساكر الخائنة فورًا.

لكن أحد الضباط الشاب جرى إليه وهو يشير إلى حاملي  
الرشاشات أن يتظروا. قال وهو يلهث فزعًا:

- يا أفندم لا توجد مظاهرة ولا وقفة. يا أفندم لا يوجد أحد واقف  
لداما لذلك ضربت العساكر القنابل فوق في الهواء.

- ماذا تقول؟ ارجع مكانك.

- يا أفندم أقول ما أراه، من يقف أمامنا الآن قطة. مجرد قطة  
صغيرة.

- انت اتجشنت يا حضرة الضابط؟ إذن ماذا أرى أنا؟

صرخ الضابط في زملائه:

- هل يرى أحد شيئًا غير القطط على الرصيف؟

لم يرد الضباط وظهر على وجوههم القرف. جرى العقيد إلى أحد  
الجنود وأمسك منه الرشاش ونظر إلى الضابط الشاب وصرخ:

- سترى الآن من يقف أمامنا يا مجنون. سأقتلهم بنفسي.

ووجه الرشاش إلى رصيف مجلس الوزراء وأطلق الرصاص أمامه  
ثم إلى أعلى وإلى أسفل. لم يسمع سوى صوت ارتطام الرصاص  
بالسور المنخفض لفناء مجلس الوزراء، وصوت مواء عالٍ وقطط  
فرعة جرت من أمامه لتملا الشارع. بعضها يجري إلى ناحية وزارة

لطا الطام همت .

الأمن والأمان، وبعضها يجري إلى الشارع العام الذي يؤدي إلى  
الميدان الكبير.

وقف العقيد في دھول فتقدم اثنان من الضباط وأخذاه من الرشاش.  
قال أحدهما:

- استرح حضرتك يا أفندم، حضرتك تعبت جدًا العام الماضي  
وليك تروح مستشفى نفسي تعالج فيه قبل أن يستحل المرض.  
صرخ فيه:

- ماذا تقول يا مجنون؟ يا حيوان.

ونزع من جانبه المدس المعلق فهجم أحدهما على يده لكن  
طلقة خرجت أصابت الآخر في مقتل. تجعد العقيد في مكانه وقد  
اتسعت عيناه بالرعب مئًا فعل. قطع لم تكن قد ابتعدت اقتربت من  
ساقه وراحت تلمس بأقدامها الأمامية بنظرونه وتموء. نَو نَو نَو.

- قتلت الضابط يا أفندم من أجل قطع تريد الطعام؟ كان علاجها  
شوية رجول فراخ!

ماذا كان العقيد يرى إذن؟ أين ذهب الشباب الذي كان يهتف منذ  
قليل ضد النظام ووزارة الداخلية وكل اللصوص من الحكام؟ هل فقد  
عقله إلى هذا الحد؟ صرخ من جديد:

- طيب إذا كان ما رأيته ومما لماذا كنتم تنظرون؟

- كنا نتظر وصول الشباب. لقد غيروا الموعد اليوم على الفيس بوك ليكون الساعة الرابعة.

- كذب. كذب. كذب.

صار العقيد يصرخ ويتعد إلى الخلف والمسلس في يده والضابط المصاب على الأرض فاقد الحياة وصوت الإسعاف يأتي من بعيد. قبل أن يندمش الجميع صوب العقيد المسلس إلى رأسه ففجره.



## 6

ارتفعت ضحكاتهم وهم يتحدثون عما جرى نهار هذا اليوم وحتى  
الثامنة مساءً.

كان نزار رزينًا في ضحكه كمادته بينما دوى صوت أحمد خشبة  
وكان يصفق يديه، أما مصطفى فلم يزد على ابتسامة. نورهان كانت  
تفتح عينيها بشعور كبير بالانتصار وتحرك رأسها شمالًا ويمينًا. فاز  
نزار:

- لم أغادر مكثي. لم أفتح ملف أي قضية لأقرأها. كانت الأخبار  
تأتي كل دقيقة على الفيس بوك. آخر النهار ظهرت الصحف المسائية  
في أوربا بعنوان واحد «معجزات تحدث في مصر.. الشباب يتحولون  
إلى قطط في الميادين والشوارع»..

قالت نورهان:

- هناك مباح الآن في حكاية القصص الخرافية.

وقال مصطفى:

- أنا طيب أسنان وطول النهار أعض على أسناني غير مصدق.

ضحك أحمد خشة وهو يقول:

- ما حصل في مدينة «طانطورة» مذهل. العيال كانوا واقفين  
لدام سبدي «أبو البدوي». البوليس أتى يفضهم، وجد القطط ترقص  
وتطرح كما المتصوفين في الموالد. مدير الأمن استقال.

ضحكوا جميعًا. قال مصطفى:

- لكن للأسف نحن لا دخل لنا بما يحدث. نحن فقط ندعو  
للتظاهر. من الذي يحول الشاب إلى قطط؟ الله أعلم.

قالت نورهان:

- في أيدوس أيضًا الولاد كانوا واقفين أمام مبنى المحافظة.  
البوليس وصل، مبنى المحافظة امتلأ بالقطط!

ضحكوا وقالت نورهان:

- شهيرة أبلغتني من هناك أن المحافظ طلع من المحافظة يجري  
والقطط على كتفه.

استمروا يضحكون:

- عسكري ضرب عليه نار من البندقية لكن الرصاصة راحت بعيد.  
الضابط سأله لماذا فعلت هذا؟ قال له: يا افتدم ما على كتفه بني آدميين  
رئيس قططًا وأنا أصوب عليهم.

قال نزار بهدوء وهو ينهم:

- طيب هل هناك تقارير أخرى من المحافظات غير ما كتب على  
الفيديو؟

قالت نورهان:

- هي أربع محافظات فقط تظاهرت اليوم. كما حدث العام  
الماضي في اليوم نفسه. الجديد القلط.

قال نزار:

- المحافظة الرابعة فاروس. تأخر الشباب في الخروج إلى البحر  
للاحتجاج. كانت أخبار القلط ملأت الدنيا. لم يظهر البوليس.  
استمرت الوقفة حتى الثامنة مساء.

قالت نورهان:

- ما هتأب اتصلت بي. قالت لي لم يحدث من قبل أن حيانا الناس  
وهم يمرون علينا ويضحكون مثل اليوم. المظاهرة كانت أكثرها بنات.  
يعني يتحولن أسرع إلى قشط!

ضحكوا من جديد، ثم حطّ عليهم الصمت. تساءل أحمد خشبة:

- لماذا لم تظهر ماما بالقهوة؟

- ماما غير مقتنعة بما يحدث. لا تزال تقول إنها إشاعات  
واختراعات للنظام ونحن ناهم فيها أيضًا، لم يخرج أحد أصلًا  
للاحتجاج.

نظروا إلى بعضهم في خجل. قالت نورهان:

- هل يعني هذا أن لا تأتي هنا مرة أخرى؟

ابنم نزار وقال:

- لا علاقة بين هذا وذاك. أحمد سألني وأنا أجبت. خلاص.

كانت نورهان كثيرًا ما تجد نفسها وقد تركزت عيناها على وجه نزار. تدرك في اللحظة نفسها أن نزار ليس مهينًا للحب. تبعد بعينها عنه وتذكر كيف تركها أول من أحبه في أول جريدة عملت بها. عام دامل قضياه في قصة حب كبيرة ثم تركها عند أول منعطف وجد فيه فرصة أن يتزوج من ابنة رئيس التحرير. لقد صار هو أكثر من يعترض على موضوعاتها وموقفها من السلطة الحاكمة. كان سبب تركها لأول جريدة عملت فيها كما كان سببًا في أول خفقة حب! نزار الآن بعد ما جرى معه في الحياة ليس مهينًا لقصص أخرى. لا يحيل قلبها إلى مصطفى التي لا ترى فيه غير أخ حقيقي. الأمر نفسه قالته لها شهيرة يومًا، وكذلك قالتها ماهيتاب عن مصطفى رغم أنه الأكثر مدرةً وتفادلاً وابتسامة. ربما لذلك لا ينتقل من منطقة الأخوة والامتنان إلى ما اشتركت هي وماهيتاب وشهيرة في توصيفه. أما أحمد خشبة فهي كالعادة كلما نظرت إليه ضحكت وتقول له ما تقوله ماهيتاب وشهيرة: والله يا أحمد ما لقينس البنت اللي تحبك. أكيد سيكون حجمها صغير أوي علشان تقدر تشيلها ليلة الدخلة!

قال مصطفى:

- أنا رأيت الأسبوع القادم نتقابل عندي في العيادة في لاوند الجديدة.

ابسم أحمد خشة وقال:

- الآن نحن والقطط ع الداخلية.

ضحكوا، ثم وقف نزار يصفحهم. سينصرفون الآن. أحمد للـ  
مشاركة في برنامج تنفزيوني.



كانت شوارع العاصمة «لاوندة» شبه خالية. الجميع يعرف أن  
المعتقلين الذين هربوا وتركوا القطط مكانهم لم يهربوا بل كانوا هم  
أنفسهم القطط. لديهم قدرات خارقة على سحق أنفسهم كما يشاؤون.  
اختاروا اليوم أن يكونوا قطعاً والله أعلم غداً ماذا سيختارون! خطا  
وزارة الأمن والأمان أنها أطلقت سراح القطط. القطط التي تملأ  
الشوارع الآن فيها كثير من البشر الهارين من المعتقل.

شغل الموضوع البرنامج الشهير الذي يُذاع في العاشرة مساءً.  
المذيعة الجميلة صاحبة الابتسامة الحلوة معها ثلاثة ضيوف. رئيس  
حماية الدولة السابق، والدكتور العالمي شعبان محمد ممثلاً لجماعة  
النصيحة والهدى، وأحمد خشة ممثلاً للشوار. واعتذرت المذيعة عن  
عدم حضور الناشطة بدارة بدر. اشترك رئيس حماية الدولة السابق في

ياكيد الإشاعة كأنها حقيقة. شاركه الدكتور العالمي ممثل النصيحة الهدى. أحمد خشة الممثل للثوار قال وهو مبتسم إنه أصلاً لم يكن هناك معتقلون في مباني حماية الدولة. لقد هاجم الثوار هذه المباني وتركها رجالها وهرب المعتقلون في مساء الجمعة الثامن والعشرين من يناير. إذن كل هذه إشاعات ومصدرها الدولة. الدولة اليوم منقطعت كل قطع الشوارع وأكيد الكلاب أيضاً وتوردها لعملائها من نجار اللحوم و«السويس» من أعضاء الحزب الحاكم هدبة يصنعون منها السويس والهامبورجر الفاسد برضا الدولة.

احتد رئيس حماية الدولة السابق. قال هذا ليس برأي. هذا اتهام واضح ويمكن أن يُجرّمك عليه القانون إذا لم يكن لديك إثبات. هنا انسمت مني البرادعي مقدمة البرنامج وقالت: «يا افتدّم أحمد خشة لا بحتاج إلى دليل. كل السويس والهامبورجر في لاوند مغشوش. لكن أيضاً حكاية أن الدولة ستفعل هنا لأصحابها زيادة شوية يا أحمد». وابتسمت بمنها الجميلة.

هنا حاول الدكتور العالمي تخفيف التوتر وقال:

- للأسف كان هناك معتقلون. وللأسف تحولوا لقطع. وللأسف القطط هربت أو تركوها تخرج. لكن أن تسرق القطط الناس والمحلات انتقاماً من الذين تركوا الميدان فهذا صعب. الثوار شرفاء حتى لو كانوا قطعاً!

اتمت ابتسامه منى البرادعي ويدت عليها البهجة التي لا يعرف  
أحد كيف تعودت عليها في برنامجها رغم ما تعرضه من قضايا بشعة.  
كيف لم يصبها أي اكتئاب. أي تدريب يتدربه هؤلاء الإعلاميون  
ليكونوا تماثيل للجمال الجامد في النساء والبرود في الرجال؟ قالت:  
- أرجوكم. معنا اتصال قصير من الخارج. ألو. مين؟ الناشطة  
بدارة بلدر؟ كنا نريدك معنا هنا لكنكِ اعتذرت.. تفضلتي.

جاء صوت بدارة بلدر فقالت:

- حضرتك أنا مش ناشطة. ولا حتى «ناشطة» من بنوع زمان. أنا  
مش عارفة جنم تليفوني مين واسمي. فريق الإعداد عند حضرتك  
فاشل. أيوه يا افندم. فاشل.

رؤت منى البرادعي:

- طيب حضرتك بتشتغلي إيه؟

دوت ضحكة رقيقة وقالت بدارة:

- قطعة. قطعة في شارع الآثار اللي ما بقاش فيه ملاهي ليلية. قطعوا  
عشنا الله يقطع عيشهم. ويوم الزفت 28 يناير الملهي الليلي الوحيد  
الباقى اتحرق. أي خدمة.

انقطع الاتصال طبقاً ورا ان صمت على الجالسين فقال أحمد نخبة  
مبتكماً:



- واضح إن القبط ستكثر جدًا في مصر.

قالت منى البرادعي:

- فاصل ونعود.



انتشرت في الشوارع الكبيرة الخالية التي تتصل بالميدان الكبير  
مربات المحافظة لصيد القبط والكلاب. لم يجد العمال كلابًا وكانوا  
يضحكون ويتساءلون أين ذهبت الكلاب؟ مَنْ أخبرها بما سيحدث؟  
منى ولاد الكلب يدخلون على القيس برك ويعرفون ماذا سيحدث!

كانت قبط كثيرة مينة الحظ يراها العمال فيلقون عليها حبال  
مصالحهم فيعلقونها من عنقها ثم يلقون بها في صندوق العربية،  
ويجرون إلى غيرها، بينما كانت قبط أخرى قابضة منكمشة من البرد  
في مداخل البيوت والعمارات وتحت السلالم لا يصل إليها أحد.  
كانت عربات أخرى كثيرة في كل أنحاء العاصمة. الأمر نفسه كان في  
المدن الأخرى التي حدثت بها مظاهرات في الصباح. أذاع الراديو  
ونلفزيون الحكومة الرسمي بيانًا يطالب فيه كل مَنْ يرى قطعة في  
الطريق أو يعرف مكانًا للقبط أن يساعد الدولة في صيدها وتسليمها  
إلى أقرب نقطة بوليس خوفًا من أن تعود القبط إلى حالتها الأولى،  
وتتحول إلى شباب مأجور من دول أجنبية يُسمون بالشوار والنشطاء،  
لما أن الأمر فيما بعد يمكن أن يشمل المجرمين الذين كانوا في

الأقسام ومقرات الحجز المختلفة وتحولوا بدورهم إلى ققط، ومن ثم فكل قطة تدخل البيت ستعرف أماكن الأموال والذهب، والدولة غير مسؤولة عن حالات سرقة لن يعرف أحد أصحابها.

أصاب الناس الفزع، وجري الكثيرون وسط البرد والمطر الخفيف الذي بدأ ينزل على العاصمة، إلى أقسام البوليس، يحملون قطعاً كانت قرية من بيوتهم. حدثت خلافات في بعض الأسر التي تحب الققط وتربيها، والتي تعشقها بناتها وأطفالها. رفضت البنات تسليم ققطهن اليامي والحشي والشيرازي وقط «ماو» المصري الذكي. قالوا لأهاليهن الدولة اتهمت. كذلك رفض الأطفال وقالوا الدولة حناكلهم! صارت الأكمة المروية على الطرق تفحص السيارات وتفتشها بحثاً عن الققط لا المخدرات ولا السلاح، ولا تعاقب السكارى الذين يقودون سياراتهم. المهم أنهم لا يحملون قطعاً. صار جواز كل كمين عربية لها صندوق خشبي لتوضع فيها الققط التي يُعثر عليها في سيارات الناس بعد الاستيلاء عليها. أعلنت الدولة في بيان آخر عن غرامة خمسمئة جنيه لمن يحمل قطة في سيارته ولا يسلمها للكمين. صارت المطاعم المكشوفة في المناطق التاريخية حيث أضرحة أولياء الله والصحاب، وغير المكشوفة في ميدان السرايا الخضراء ونص البلد، خالية من الققط التي رأت أصحاب المطاعم يسكنون بها ويضعونها في أجولة ويرسلونها لأقرب قسم بوليس. جرت الققط إلى الجراجات وإلى أسطح البيوت القديمة وإلى

ماورها وتحت سلالها وصار الناس في أكثر من بيت يسمعون مواء  
لا يتقطع. بدأت بعض النساء تسب الدولة التي لا تجد عملاً تفعله  
فهر مطاردة القطط المكينة. أقسم كثير من الرجال إنهم لن يصطادوا  
القطط أبداً ولن يسلموها إلى البوليس بعد أن كانوا متحمسين لصيدها.  
استمرت عربات المحافظة تطارد القطط في كل مكان حتى الفجر  
الذي حين أذن خرج الناس إلى الجوامع يسمعون صوت قطط مختبة  
في الأركان ويرون قططاً تمشي بلا مبالاة كأنها لم تعرف أو لا تخاف.  
صار الذين يتضامنون مع حق القطط في الحياة يزدادون مع تقدم الليل  
وحق هاشاج «سيوا\_القطط\_ياعرر» أكبر عدد من التعليقات:

«الدولة الهبله عاملة حملة ضد القطط #سيوا\_القطط\_ياعرر»  
«يكذبوا ويصدقوا نفهم. قال الثوار اتسخطوا قطط قال! #سيوا\_  
القطط\_ياعرر»

«#سيوا\_القطط\_ياعرر. تعرفوا إيه عن القطط يا كلاب»  
«بُص في عين أي قطه تلاقبها بتقول لك أكلني مش اصطادني  
و مو تني.. يا جاهل #سيوا\_القطط\_ياعرر»

«#سيوا\_القطط\_ياعرر. الفراعنة عملوا من القط إله»  
«#سيوا\_القطط\_ياعرر. سيدنا محمد قال امرأة دخلت النار  
في قطه حبستها. لا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من كلال الأرض.  
يا عجر»

«سيوا\_القطط\_ياعرر. عليّ النعمة رئيسا يحب القطط ومراة  
عندها عشر قطط ميت أسترالي وبالينيزي ويورميلا من برطانيا  
ونسوان ولاده عندهم قطط وياخذوهم المصيف في حارة الشيخ،  
«يكرة يقولوا جمعيات حقوق الإنسان مصدر القطط. بتريه  
وتخياها عندهم «سيوا\_القطط\_ياعرر»

«سيوا\_القطط\_ياعرر. أنا شفت فيلم قصيرع اليوتيوب فيه  
وزيرة خارجية فيسبوتشا مجتمعة مع القطط وبتقول لهم حنبتكم  
مصر تهزبوا المعتقلين وتبقوا مكانهم»

«سيوا\_القطط\_ياعرر. عليّ النعمة أنا شفت بتوع حقوق الإنسان  
بيوزعوا فلوس ع القطط في الشوارع»

«سيوا\_القطط\_ياعرر. طيب أنا عندي قطة. وأمي عندها قطة  
وأبوي عنده قطة وحيي بيناديني يا قطة. إيه رأيكم يا عرر»

«سيوا\_القطط\_ياعرر. وزير التعليم يصدر قرارا بإلغاء لفظ قطة  
من معاجم اللغة العربية واستخدام لفظ هر فقط. آه يا هرراا»

«سيوا\_القطط\_ياعرر. صحافة الإنجليز تقابل القط الهارب بين  
عجلات الطائرة اللاوندية إلى لنكرة ويعترف أنه كان في الأصل ناشط  
سياسي»

«سيوا\_القطط\_ياعرر. قرر وزير الأوقاف أن يكون موضوع  
خطبة الجمعة القادمة اللي عنده قط يغيره بكلب»

سهر الشباب حتى الصباح على الإنترنت في «حفلة» رهيبة على الدولة والقطط! والآن بعد أربع سنوات وأنا أكتب هذه الرواية استطعت الرجوع إلى تعليقاتهم وأخذت بعضها هنا. سألت فتاة منهم هل يمكن لي أن أستخدم تعليقاتها في روايتي. اندهشت جدًا. ذلك امر قديم ورقتها ثقله فضائيات عربية وأجنبية في متابعتها لما يجري في البلاد. سألتني هل تستخدم شيئًا قديمًا سبق استخدامه؟ ثم قالت: لا اظن أنه مفيد. سألت شابًا آخر فقال تقريبًا نفس الكلام. بدالي اللهما حريصًا على أن لا أقول شيئًا معاذًا. لكني رغم ذلك أستخدم تعليقاتهم الآن، وأستخدم تعليقاتهم وتعليقات غيرهم فيما بعد. ولأنني لم أحصل على موافقة أحد قمت بإهمال الصورة والاسم، وإذا أعطاني الله العمر والصحة وأنهيت الرواية ثم نشرتها، فلأنني أحفظ لهما بحقوق الملكية الفكرية لتعليقاتهما، وأعد الجميع أن أعطي كل من يقابلني منهم نسخة من الرواية.



بعد أسبوع متأجري كانت وزارة الأمن والأمان تضج من الشكاوى التي قدمها رجال في زوجاتهم باعتبارهن قطعًا ثورية متخفية في زي روجة، ويطلبون القبض عليهن وقتلهن أو طلاقهن دون أي تعريض من الزوج. أجمعوا على أنهم بعد أن يتصف الليل يرون زوجاتهم يركن الأسيرة على مهل، ثم يقل حجمهن في طريقهن إلى الباب حتى يصرن قطعًا تخرج بهدوء، ويعدن عند الفجر إلى صورهن النقدية بعد أن يكن قابِلن الشباب الشرار واتفقن معهم على ما سيفعلن من مظاهرات وإضرابات.

## 7

طلب الحاكم الاجتماع مع وزير «مم» ومدير «مُز» والسر عسكر. انتظروا الثلاثة في مكتبه حتى ينتهي من تناول إفطاره. كان الهم واضحاً على السر عسكر، وكان الرعب بادياً على وجه وزير الأمن والأمان «مم»، بينما مدير «مُز» ينظر في يديه سعيداً ويقلبهما أمامه. ولأن السر عسكر يعرف عنه خروج الثعابين من يديه امتزج همه مع قلقه. لماذا ينظر في يديه الآن؟ ظهر القلق أكثر على وزير الأمن والأمان «مم» فهو بدوره يعرف ذلك عنه. يقال:

- لماذا تقلب يدك يا سليمان باشا، هل تنوي أن تقتلنا اليوم؟

ضحك مدير «مُز» وقال:

- القتل لا يحتاج إلى الاستعراض. عندما أقتل أقتل. واسأله.

وأشار إلى السر عسكر الذي هز رأسه موافقاً في ضيق. قال وزير الأمن والأمان «مم»:

- طيب. لماذا طلبنا الحاكم اليوم؟

قال مدير «مُز»:



- أنت آخر شخص يسأل هذا السؤال. كل سجونك فاضية من السياسين. صاروا قطعاً يملئون الشوارع. والخطوة القادمة هي تحول الجنائين أيضاً وفي هذه الحالة ستخرب البلاد.

- أنا لا أعرف كيف حدث هذا. أما الجنائيون فأنا الذي أطلقت سراحهم يوم 28 يناير وأنا الذي أعدتهم إلى السجون. مصيرهم دائماً في يدي.

قال الر عكر شاركا:

- هل صحيح هنا الذي اسمعه. هل حقاً تحول الشباب إلى لوط؟

قال وزير «مم»:

- للأسف هذا ما حدث. في الأمر سراً ما. ربما يكون الإخوة في جماعة النصيحة والهدى هم من قاموا بذلك. لديهم قدرة على سحق المخلوقات.

قال مدير «مُز»:

- لا تحملهم أكثر من قدراتهم. إنهم يتعاونون معنا. هم الآن يحاولون الابتعاد عن الصراع الدائر حتى تعود إليهم ثقة الناس. قل لي أراً ماذا فعلت في المحاضر التي حررها رجال كيرون في زوجاتهم باعتبارهن قطعاً ضالة.



- قبضنا على النساء والرجال وأرسلناهم إلى السجون جميعًا.  
مشر ناقصة وجع دماغ. ثلاثة أيام وأطلقنا سراحهم. انتهت شكوى  
الأزواج.

قال السر عكر فجأة:

- أفضل ما نفعله هو انتخابات رئاسية وينجح زعيم جماعة النصيحة  
والهدى ويغرقوا في البلد. أو بمعنى أصح نفرقهم ونخلص.  
ونظر حوله في قلق فإذا بالحاكم يدخل القاعة ويقول:

- طبعًا نفسك فيها.

ضحك مدير «مُر» وقال:

- سيادة الحاكم يسمع الغرف الأخرى. هذه ميزة له أيضًا لا يعلن  
عنها.

أراد وزير الأمن والأمان «مَم» أن يشتبه، فهو الذي وضع أجهزة  
التنصت في كل الغرف. جلس الحاكم وقال للسر عكر:

- أنا باهزر معاك. وعلى فكرة لما ريتك سنة ورا كنت باهزر معاك  
برضه. أنا لا أستفني عنك.

وضحك فضحك الجميع. قال الحاكم:

- نتكلم في الموضوع. ما يحدث يجعلني لا أثق في أحد حولي.  
لكنني لن أهتمز. فقط أريد أن أعرف كم فطأتم اصطلياده في الأيام  
الماضية.

تساءل وزير الأمن والأمان «مَم»:

- قط فقط أم قطة أيضًا؟

نظر إليه الحاكم ينسم في دُمثة ثم قال:

- جرى إليه يا روح أمك؟ إحنا حنصنهم؟ ح «ننام» مع القطط

يعني؟! كله على بعضه.

ضحك مدير «مُز» وضحك السر عكر لأول مرة.

قال وزير الأمن والأمان «مَم»:

- خمسمئة ألف قط يا مولاي.

ران عليهم الصمت. راح الحاكم ينظر بعيدًا للمحطات ثم قال:

- وهل كان في السجون هذا العدد؟

- ضيقًا لا. قبضنا على أكثر ما نستطيع من قطط من باب

الاحتياط.

- يعني في البلد كل هذه القطط. إذن لماذا وكيف توجد الفئران؟

قال رئيس «مُز»:

- هناك أكثر يا مولاي. القطط والفئران عاميلن معاهدة سلام مع

بعض.

نظروا إليه في استغراب لكن السر عسكر قال في هدوء:

- حقًا، والرعب الآن يا مولاي من غضب الفئران على موت  
أصدقائها من القطط.

زعق الحاكم:

- ماذا تقول؟

- يا مولانا أنا أنظر إلى الأمام. لا بد من استراتيجية نهائية للمساءلة.  
لا بد من قتل جميع الفئران قبل أن تتور علينا من أجل القطط.

حطّ عليهم صمت ودعشة.. وضع مدير «مُر» يده على فمه بخفي  
ابتسامته، بينما بدا وزير الأمن والأمان «مَم» مرتبكا للغاية، والحاكم  
يبتسم ويضرب كفيه في بعضهما بحيرة واندهاش ويقول:

- ما الذي جرى في البلاد؟ كنا تركنا الثورة نجحت أحسن وكنت  
قعدت أنا ومراتي في القصر على جبل الوحوش وخلاص..

وسكت لحظة ثم قال لوزير الأمن والأمان «مَم»:

- وأنت هل ستدبر على الفئران أيضًا؟

- أقدر على أبوهم يا مولاي.

- بالمرّة خلصوا على الكلاب. خلّوا تجار اللحم يسيطروا. لحمه  
قطط وكلاب وفئران أيضًا.. الله يخرّب بيوتهم.

ضحكوا وقال وزير الأمن والأمان «مَم»:

- قبضنا على كلاب كثير يا مولاي. حوالي مئة ألف كلب أعطيناها  
لوزير التموين بوزعهم على الجزارين.

- تمام. هل عند أحدكم حل آخر؟

نساءن الحاكم فقال مدير «مُز»:

- جماعة النصيحة والهدى هزبوا إلى لاوند شيخ مبروك من راجتان اسمه ألف خان. حضرتك عارفه. هو الذي قرأ الرقية التي لا مواخفة...

قاطعه الحاكم:

- عارف عارف أكمل.

- نطلب من الإخوة في النصيحة والهدى أن يوقف ألف خان تحول الشبَاب إلى قَطَط. هو يستطيع ذلك. في راجتان يحول المجاهدين إلى كلاب بعد أن يقتلهم الفيسبوتشان. يلوذون بالكهوف وبعد أيام يخرجون منها حاملين السلاح.

حط الصمت من جديد وقال الحاكم:

- وفيسبوتشا، ألم تظن للأمر؟

- نعم.

- أول مرة أسمع هذا الكلام.

- وأنا أيضًا.

قال ذلك وزير الأمن والأمان فقال السر عسكو:

- وأنا أيضًا.

قال مدير «مزرعة»:

- وبعد أن نعرف الرقبة المطلوبة ونجربها نتخلص من ألف خان  
وقرينه، ومن كل النصيحة والهدى؛ لأننا سنكون قادرين على القضاء  
على شباب بناير.



جلست «هديل» مع والدتها تضحك وتهز رجليها وتصفق بيديها.  
تخيل الأب أن ابته صارت طفلة في السادسة من عمرها. رآها بالفعل  
تصغر أمامه وترق حتى صارت طفلة حقيقية.

- ما الذي يحدث هنا؟

قال ذلك ووقف حائرًا فصفقت بقوة وقالت:

- لا شيء. أنا فقط فرحانة.

قال في قزع:

- من أنت؟ أنت لست هديل التي أعرفها. أنت طفلة في السادسة  
أو الخامسة من عمرك. كيف دخلت إلى هنا؟

ضحكت وقهقهت. قالت:

- أنا هديل. أنا كما أنا يا والدي الطيب. اقرب مني لتراني على  
حقيقتي.

ودخلت الأم ضاحكة تقول:

- هي هديل بتتا. هي أحيانًا تنصرف كالأطفال.

قال في فزع:

- لكن كيف يصغر حجمها. جسمها ووجهها وذراعاها وأصابعها  
وقدمائها.

قالت الأم:

- كل شيء كما هو. تمامًا كما تقول هديل. اقترب منها وحاول أن  
نحملها ستعرف الحقيقة.

اقترب الأب بهدوء وانحنى يحملها فلما صارت هديل بين يديه  
ضحكت وحركت ساقيها. ضحك هو ووضعها بهدوء على مقعدها  
وجلس يقول:

- كل شيء كما هو حقًا فماذا يحدث لي؟

قالت الأم:

- آن الأوان أن تعرف هديل الحقيقة.

نظر إليها مندهشًا وقال:

- أي حقيقة؟

- حقيقتها.

قالت هديل:



- مَنْ قال لكما إنني لا أعرف؟

نظرا إليها مندهشين فقالت:

- وهل ما أفعله يليق بإنسيّة حتى لو كنت ابتكما؟

استمر الأب والأم ينظران إلى بعضهما. قالت هديل:

- لكن ما أريد أن أعرفه، من أين انبثما بي؟ أو مَنْ أرسلني

إليكما؟

سكت الأب وأطرق برأسه. ابتسمت الأم وقالت:

- وماذا الرقلنا لك، هل سيغير شيء؟ أخشى أن تكون الحقيقة

بداية النهاية.

شردت هديل قليلاً وقالت:

- إذن فلنرّجل الحديث الآن. لكن هناك حلم يراودني كثيراً فهل

أجد لديكما تفسيراً له؟

سكت الأب والأم فاستمرت هديل وقالت:

- أحلم كثيراً أنني فوق جبل من الجليد أزرع الطعام على آلهة.

إنهم يدخلون وأنا نائمة في المعبد الموشوم على ظهري. أشعر بوقع

أقدامهم فاستيقظ وحولي أصواتهم وهم يشربون الخمر ويمشرون

النساء.

حطّ صمت للحظات ثم تساءلت الأم:

- هل يتكرر الحلم كثيراً؟

- جداً يا أمي. ولقد رايت كبيرهم يُقبّلني أكثر من مرة. يقول لي إنها قبلة الخلود وزعيها على المرتضى المظلومين. قال لي إن الظلم سيزداد بين البشر على الأرض، وإنني أتركك تعالجين الظلم بالقبّل التي يتمناها أي إله منك فما بالك بالإنسان.

نظر الأب والأم إلى بعضهما. لا شك يتذكرا ن يوم وجداها طفلة على الشاطئ عارية وعلى ظهرها وشم بمعبد قديم وإله في وسطه يرفع كأساً من الخمر.

لم تكن تعرف لفتنهما. لم يعرفا لفتها. كانا في حاجة إلى طفل أو طفلة بعد أن مضت ستة أهوام بلا إنجاب. وحتى لو لم يكونا في حاجة لطفل، فجمالها ووجودها وحدها على الشاطئ يجعل أي شخص يجري بها إلى البيت ليصونها. ثم إن وشمًا بمعبد على ظهرها أمر لا يمكن التغريط فيه.

نمت في عامين اثنين وحارت أنثى مشتهاة يتقدم لها الخطاب كل يوم وهي ترفض، وهما لا يشعرا بالحيرة من رفضها. يعرفان أنها تنتظر علامة من مكان آخر في السماء. هو الجبل الذي فوقه الإله الذي نتحدث عنه الآن ولا بد فيه ذلك المعبد الموشوم على ظهرها. عندما فكّرا في تعليمها اللغة العربية تعلمتها في أيام قليلة، وكتب بها رسائل لهما كانت تضعها على سريرهما كل يوم وهما يضحكان. قرر أبوها ذات مرة أن يداهما بوزال مصيري فقال لها:

- هل تذكرين أبويك؟

قالت:

- لا.

- هل تعرفين شيئاً عن كيف جئت إلى الدنيا؟

ابتسمت وبدأت تفكر، ثم قالت ضاحكة:

- أبي.

نظر إليها الأب مندهشاً ثم قال:

- إذن كيف لا تعرفين شيئاً عن أبويك؟ ألا تذكرين أمك أيضاً؟

قالت:

- لا أم لي من الإنس أو الجن. أبي صنعني من وردة.

قرر بعد ذلك أن لا يتحدث معها أبداً في هذا الأمر. بل قرر أن يترك مدينتهم الساحلية في الشام ويعيشون في مدينة صغيرة متاخمة للصحراء، فإذا سأل أحد عنها قال: ابتي، فلا أحد يعرف هنا أنه لم يكن لديه أبناء من قبل.

وجدتها تضحك بقوة وتصفق من جديد فسالها:

- ماذا فعلت اليوم؟ هذه السعادة وراها أمر ما!

سكنت لحظات وقالت:

- حولت الثوار إلى قطعط؟

نظر إلى أمها التي بدورها نظرت إليه. قبل أن يتكلم قالت الأم:

- هل حدثت ثورة هنا ولا نعرف؟

- هناك بعيدًا في بلاد انهر الكبير. الشباب الذين أيقظتهم من النوم الاضطرابي بعد أن ألقيت عليهم غازات مخدرة تم القبض على الكثير منهم ووضعوا في السجون والمعتلات فوق وتحت الأرض. حولتهم إلى قطعط أطلقوا سرايحها مضطرين، ثم بعد ذلك بدأ رجال الحاكم في قتل كل القطط في البلاد.

- إذن قتلوا الشباب.

- لا. لم يتأخر الشباب في العودة إلى حالتهم الأولى.

نظر الأب إليها لحظات. أحسَّ بشيء من الرعب، ثم اعتبرها نهذي فقال:

- اطمئي. ما دام الحاكم قتل القطط سرعى في البلاد الجرذان.

هنا ضحكت وصدقت وقالت:

- إذن سأذهب إلى هناك لأضحك قليلًا والجرذان تمرح في البلاد.

جلس مدير «مُز» مع الشيخ شمعان وحمدا في المكتب. كان الشيخ شمعان ينظر حوله إلى الحيطان الخالية من كل صور حتى المُتنخعة، وإلى الأرض الخالية من السجاد، وإلى المكتب الخشبي المتواضع الصغير غير المطلق بأي شيء من الصدف أو الفضة أو النحاس، وإلى المقاعد الخشبية التي تجدها في المقاهي الشعبية. تعامل:

- هل هذا مكتبك يا سيدي؟ لقد جئت هنا من قبل ولم يكن كذلك، كان في غاية الفخامة!

ابتسم مدير «مُز» وقال:

- لا شيء مضمون في هذا البلد. شحنت كل شيء إلى دولة صديقة في الخارج. هناك يمكن أن أبيعهم بالملايين إذا احتجت لذلك.

اندهش الشيخ شمعان وهو يسمعه بقرّة بهريب ثروات البلاد، وفكر أنه لا بد يظهر له ثقته فيه، ومن ثم سيطلب منه شيئاً كبيراً. قال:

- طيب فيم طلبتي؟

- امر ببط جثًا.

وسكت لحظات ثم نشر ذراعيه أمامه فخرج شعبانان من أصابعه وسقطا على الأرض يزحفان. انتر الشيخ شمعدان واقفاً في فزع فقال له ضاحكاً:

- لا تخف. لا بد أنك تعرف عني ذلك.

- طبعاً أعرف لكن لم أنصور أنهما يظهران بهذه السهولة. كل من رأهما وحضرتك تستخدمهما في التعذيب قال إنك كنت تبكي حتى يخرجان من أصابعك.

- هذا صحيح. في البداية عادة ما كانا يرفضان الظهور. وبالمناسبة أنا تخلصت من كل شيء هنا لأن الثعابين كثيراً ما تنفث سمها على الأثاث والسجاد ومن ثم يمكن أن انسى والمس أي شيء فأموت.

رأى الرعب يزداد على وجه الشيخ شمعدان فابتسم وقال:

- لا تخف. ما تجلس عليه وما أجلس عليه أنا والمكتب الذي بيثا معقمة كلها ضد السموم. إنها أشياء قليلة.

- طيب يا سيدي ما دامت لديك هذه القدرة وما دام الحاكم يستطيع إرسال الناس إلى زمن آخر ما حاجتكما لنا ولماذا نخشيانا؟

- قدراتنا لها حدود ويمكن أن نخذلنا فجأة. أنتم قدرتكم تتجدد مع رجالكم ولديكم شيوخ مبروكين في كل الدنيا وبالذات راجستان.

نظر إليه شمعدان قلقًا وقال:

- نحن لا نعرف من راجت ان إلا الشيخ ألف خان، ولقد ساعدكم في فصل يد الحاكم عن مؤخرته.

- نريد ان يعمل على عدم تحول الثوار إلى قطط. جنودنا لا يمكن أن يتصروا على القطط التي يمكن أن تتواجد في كل عرباتنا المدرعة وتحتها وكل مكاتبنا ويوتنا وتقتلنا.

- هذا سهل جدًا.

ضم مدير «مُر» ذراعيه إلى جانبيه فراجع الثعالبان واختبأ في يديه. استطرد الشيخ شمعدان:

- سأطلب من شيخنا أن يفعل ذلك.

- وأنا لن أنسى لكم هذا. بعد أن تنتهي من الثورة والثوار المأجورين سنده لكم عملاً جميلاً.

- الثورة انتهت يا سيدي والثوار أمرهم سهل.

وقف مدير «مُر» ومد يده بصافح الشيخ شمعدان. تردد الشيخ قليلاً، فقال مدير «مُر» مبتسمًا:

- عندك حق. يمكن أن الدغك.





خرج الشيخ شمعدان من اللقاء مسرعاً إلى أعضاء المكتب القيادي لجماعة «النصيحة والهدى». كانوا في انتظاره ليقرروا ماذا سيفعلون لو أن مدير «مُز» طلب منهم شيئاً آخر. ما إن جلس بينهم وحكى ما جرى حتى تكلم الطيب العالمي شعبان محمد دون أن يتظر الإذن:

- علينا أن نوقف أي صورة من صور التعاون مع هذا الحكم رجاله. قواعداً تغلي من الغضب منذ أن وافقناهم على تغير تاريخ البلاد ودعايتنا من أجل ذلك التاريخ غير الحقيقي.

قال المهندس زكي فاضل الذي عادة ما يكون قليل الكلام:

- ليس ذلك فقط. منذ نسريت الأخبار أن رجلاً الراجستاني أنقذ الحاكم والغضب يشتعل أكثر.

قال ثالث أعضاء المكتب أستاذ الحقوق الدكتور ميرة عبد الله:  
- هناك مئات الشباب يفكرون الآن في الخروج من الجماعة. سنخر كثيراً من هذا التعاون العلني.

قال الرابع عماد ليب تاجر أجهزة الكمبيوتر الشهير:

- تريشوا قليلاً. المسألة الآن أن وزارة الأمن والأمان تعمد كل المنقط التي تظهر في البلاد، ومن ثم فالأيام القادمة هي أيام القتران. ماذا سنفعل؟

هنا ضحك الشيخ شمعدان وقال:

- هل تشاركون النظام الغبي في أن القضاء على القبط يعني القضاء على شباب الثورة؟ من سخطهم قطعاً في الزنازين بعيدهم إلى أصلهم بمجرد الخروج من السجن إلى الشارع. إنهم يقتلون القبط الحقيقية الضالة.

تساءل المهندس زكي فاضل:

- هل يعني ذلك أنك ستجعل ألف خان يوقف هذا التحول إلى قبط ومن ثم لا يخرج أحد من السجن. ماذا لو حدث ذلك ثم سجنونا نحن وسجنوا كل أعضائنا من الشباب؟ لقد صارت لدينا فرصة للخلاص من الجون والضرب والتعذيب والإهانة.

ضحك الدكتور ميسرة عبد الله أستاذ الحقوق وقال وهو يهز وسطه:

- نَو. نَو. نَو.

ضحكوا. قال الطيب العالمي شعبان محمد:

- باختصار لو نفذنا طلب رئيس «مُر» سينهي علينا. دعونا عند اتفاقنا الأول معه. نتظر ثورة أخرى ونخذلها فنصل إلى الحكم.

قال الشيخ شمعان:

- معنا الله وألف خان وقرينه. ألف خان الآن معتزل الحديث عازف عن الطعام يقرأ ترايل لا أفهمها، وقد قال إنه يحتاج شهراً من

المزلة حتى يصل إلى طريقة يرسل بها الحاكم إلى العصور القديمة أو  
على الأقل يوقف قدرته على ذلك.

خط الصمت على الجميع واستطرد الشيخ شمعدان:

- سأنصاع لكم. سأملككم في الرد على رئيس «مُر» لكن لا بد أن نجد  
طريقة نوقف نشاط القرآن إذا كنتم لا تريدون القضاء على القطط!

قال المهندس زكي فاضل:

- حتى الآن لم تبدأ القرآن بعد. ربما لا تبدأ أبدًا وهذا من فضل  
الله.

لكن الشيخ شمعدان قرر في نفسه أن يطلب من ألف خان أن يوقف  
نحوّن الشباب إلى قطط.



جلس نزار وأحمد خشبة ونورمان ومصطفى في عبادته يضحكون.  
جلسوا في حجرة الكشف ينظرون إلى الأجهزة المختلفة ومكان  
استلقاء المرضى وما حوله ويعلموه من أجهزة. لقد انتهى مصطفى من  
العمل ولم يعد لديه مرضى وكانوا هم قد حضروا متوالين وجلسوا  
في الخارج كأنهم في انتظار الطبيب. سيفيرون أماكن اجتماعهم  
كل مرة الآن. المعركة تشتد مع النظام ولا يجب أن يكون لهم مكان  
ثابت. فليقبضوا عليهم في بيوتهم كما حدث العام الماضي، وكالعام  
الماضي لن يقبضوا عليهم في ليلة واحدة، وستكون لدى من لم يقبض

عليه فرصة الاختفاء لبعض الوقت. سيختفون إذن في أماكن مختلفة  
عن العام الماضي ليتعذر القبض عليهم ولو قليلًا. قال أحمد خشبة  
ضاحكًا:

- لو قبضوا علينا هنا لن يخرجوا إلا بعد أن يخلعوا ضرونا.

ضحكوا فقال مصطفى:

- وربما نحن نخلع لهم ضروسهم. البنج موجود والحقن واثنا  
رجالة.

قال نزار مبسمًا:

- وتطلع الجرائد الصبح بمأشبات «نشاط» يخلعون للشرطة  
ضروسها»

ضحكوا من جديد وطال ضحكهم حتى قال أحمد خشبة:

- اللهم اجعله خيرًا. والله لو قبضوا عليّ وتحولت إلى قطة لن  
أعود لعالم البني آدميين أبدًا.

قالت نورهان ضاحكة:

- طبقًا حتاكل بلاش من مطاعم نصر البلد.

ارتفع صوت ضحكهم أكثر هذه المرة. ثم استطرد نزار:

- الدولة الغية قتلت القطط. الفران ستحرك بحرية. سيغبرونا  
سبب ذلك وليس هم. أرى أنه من الأفضل أن نترك العاصمة عدة  
أسابيع، أو حتى شهور.

سكتوا وتبادلوا النظرات ثم قال مصطفى:

- لكن القبض علينا سيتم في أي مكان.

قال نزار:

- سينجحون في القبض علينا لكن لو أن واحداً مئاجا منهم

سيزداد اعتقادهم أن هذا عام جديد كما قرروا هم.

صفت نورهان وقالت:

- عبقرى من بركك. سفاجتهم بها.

قال نزار:

- الثورة في «مصر ايم» نجحت في خلع رئيس البلاد لكنها لم

نصل إلى أهدافها. لقد وقعوا في الخطأ الكبير وتحالفوا مع الإخوة

في الله هناك ولا يدري الثوار أن الإخوة في الله سيتخلون عنهم في

أول زقاق وينضمون إلى المكر للوصول إلى الحكم. ثورتنا من الآن

لا يجب أن تقع في هذا الخطأ. النصيحة والهدى هم الوجه الآخر

للإخوة في الله.

قال الدكتور مصطفى:

- أجل. مهم جداً أن لا تقع في خطأ «مصر ايم»..

تبادلوا النظر مبسمين سعداء. لم يستطيعوا الجلوس. وقفوا

بعضهم ببعضهم. سقطت دموع نورهان وراحت تمسحها براحه

بدها. قال مصطفى:

- انشوار لا يكون يا نورهان، وسنلتقي من جديد في الميادين.  
نحن الآن نقرب من الصيف. الأيام تجري.

قالت نورهان:

- هيات نفسي للهتاف. ما فيش خوف ثاني. ما فيش ظلم ثاني.  
ما فيش قهر ثاني. لكن منهم لله هم والنصيحة والهدى أعادوا الزمن  
ونحن لا نملك هذه الطاقة الحرة.

قال أحمد خشة:

- آه لو أصل إلى مَنْ قُلتا في الصحراء وأعادتنا إلى الحياة.

قال نزار بهدوء وثقة:

- منصل.

ولأنه ابتسم قالت نورهان:

- تتحدث بثقة. من أين هذه الثقة؟ نزار صار ساحرًا يا جدعان.

- كل شيء بأوانه يا نورهان. المهم الآن هل سنعيد إنشاء صفحة  
فاضل سعيد؟

قال مصطفى:

- لقد فكرت في ذلك ووصلت إلى أن أفضل ما نفعله هو أن  
نعيدها بمناسبة الذكرى الأولى لاختياله.

صفت نورهان وقالت:

- لا. نشئها باعتباره قُتل هذا العام وليس من قبل.

انطلقوا يضحكون ويصفقون. سيجعلون رجال الحاكم يتلفنون  
مولهم من الارتباك، وقالت نورهان:

- سأذهب غدًا إلى ماهيتاب. إلى فاروس أرى البحر وأحدثها بما  
صلنا إليه فيما يخص فاضل ممد. أيام قليلة تفصلنا عن ذكراء.

قال أحمد خشة:

- سأذهب إلى «ميتنا» أعمل في الأثاث.

ضحكوا. قال مصطفى:

- سأظل في عيادتي كل يوم بالليل أكثر وقت.

قال نزار:

- وأنا سأذهب إلى شهيرة. في مدينتها أيدوس فندق جميل  
رخيص الثمن. سأنزل فيه يومًا أو يومين ثم أقضي وقتي في الجبال  
المرية حتى لا يعثر علي أحد بسهولة. أجل. سأذهب إلى أبعد مكان  
ممكن ولا يخطر لهم على بال.

قالت نورهان ضاحكة:

- يا بختك. شهيرة قمر وبلدها حلوة!



ضحكوا ثم انطلقوا خارجين من العيادة ثم تفرقوا في الشوارع.



قبل أن يتصف الليل كان الناس جميعًا في بيوتهم. لقد أعلنت الإذاعات والقنوات المرئية عن الخوف من خروج الفئران من جحورها ومن ثم طلبت من الناس إحكام إغلاق بيوتهم وشققهم حتى تمر الأزمة وتستطيع الدولة القضاء على الفئران. طلبت الإذاعات المسموعة والمرئية من الناس أن يكتروا من مصائد الفئران أمام أبواب بيوتهم وعلى السلالم وفي المناور وعلى الأسطح قالت إن وزارة التموين ستوفر الآلاف منها بأسعار زهيدة على بطاقة التموين ويستطيع الناس من باكر تسلم المصائد ولا يتظرون آخر الشهر موعد حصولهم على الزيت والسكر وبقية التموين. أغلقت المطاعم والمقاهي أبوابها مبكرًا خوفًا من ظهور الفئران واستعدادًا لها، ففي الغد ستضع كلها المصائد على أبوابها. وهكذا لم يكن في الشوارع واليادين إلا سيارات مركونة للغد وقليل لا يُذكر تأخر في الطريق ورجال الشرطة. حين أخبر أكثر من كمين مروري رؤسائه أن لا حركة في الشوارع طلبوا من كل الأكمنة العودة إلى ثكناتها. لكن الشرطة الراجلة ظلت في الشوارع وهي أعداد قليلة دائمًا. هكذا رغم بدء نفحات الصيف لم يكن هناك أحد في الشوارع والطرقات. جعلت إضاءة الشوارع الأماكن أكثر اتساقًا فراغها من البشر والمركبات حتى إن أفراد الشرطة في العاصمة كانوا يندمسون. لم يحدث من قبل أن رأوا مدينتهم بهذا الاتساع.

نقابل شرطيان في الميدان الكبير على الرصيف أمام محل كتاكي.  
لال الأول:

- ليلة غريبة. المحلات أغلقت والناس في بيوتها.

- سيحدث هذا كل ليلة حتى تنتهي الغمة.

- أي غمة؟

- الفران!

- هل تصدق هذا الكلام؟ يا عم هذه إشاعة وزارة الأمن.

ارنبك زميله فاستطرد الأول:

- أجل هي صحيح وزارتنا ونحن عيدين فيها لكن أنت تعرف أنها

مصدر كل الإشاعات.

قال ذلك وضحك فقال الثاني:

- لكن انظر..

أشار إلى الأرض جوار الرصيف، وقال:

- هذه ثلاثة فتران مرة واحدة.

كانت فتران كبيرة الحجم. قال:

- لم يحدث لي من قبل أن شاهدت مثلها في الطريق. أخشى أن

أصدق.

تراجع الشرطي الأول إلى الخلف ومرت أمامه ثلاثة فئران أخرى خارجة بسرعة من تحت باب كتاكبي.

ضحك الشرطي الثاني. كان كلاهما صغير الجسم جدًا حتى إن من يراهما يندعش كيف قبلتهما الشرطة، وحين يعرف من يراهما أنهما في الأصل مجتذبان في الجيش تم تحويلهما إلى الشرطة مثل عاكر فض الشغب يندعش أكثر. ربما لذلك جعلوهما في الحراسات الليلية بعيدًا عن معسكرات فض الشغب التي عادة يختارون لها الأطول والأقوى وإن اتفقوا جميعًا في عدم القدرة على القراءة والكتابة، ومن ثم عدم القدرة على النقاش. لا يعرفون غير طاعة الأوامر.

بعد أن تما لك الشرطي الأول أنفاسه وتوقف الثاني عن الضحك لاحظ الثاني طابورًا من الفئران يأتي من الشارع المجاور. أشار إليها وقال لزميله ضاحكًا:

- طيب شرف وما تخافش.

نظر الثاني فرأى طابور الفئران فبهت وجهه ولم ينقطع الكلام. ظلًا يتابعان الطابور الذي يدخل إلى الميدان ويدور أنه لن ينتهي. قال الأول وهو يسحب من جانبه جهاز الاتصال اللاسلكي:

- لا بد أن أخبر الضابط.

ابتسم الثاني وقال:

- وماذا سيفعل؟ تلافيه قاعد مع أصحابه في القسم يضحكوا. ميتمك.

- إنها مزرولية. لا بد أن أخبره.

بالفعل اتصل بالضابط وقال:

- يا أفندم هناك شيء غريب يحصل في الميدان.

جاءه الصوت:

- هل نزل الشاب بالليل؟

- لا يا أفندم.. القثران. هنا قثران كثيرة جدًا تظهر كل دقيقة.

لم يستطع أن يكمل الحديث. اكفهر وجهه تحت أضواء الميدان  
قال الثاني:

- شتمك. صح؟ تعال نقعد على الرصيف ونفخرج أحسن.

- نفخرج على الفيران؟ انت مجنون؟

- ربما يتحولون إلى بشر مثل القطط وتكون فيهم بنت حلوة. تعال  
نعال.

وجذبه ضاحكًا إلى الدائرة الخرسانية وسط الميدان وجلسا  
عليها.

قال الثاني:

- من هنا سنرى أكثر.

لم يكن العسكري الأول يحب أن يرى أي شيء. كان يفكر في أن  
يلرك وردية عمله ويعود إلى قسم البوليس متحججًا بأي سبب. مغمض

مفاجئ مثلاً، لكن اتصاله بالضابط أفسد عليه ذلك. سيعرف أنه ترك الميدان بسبب الفئران ويعاقبه أشد عقاب.

قال الثاني:

- تصدق بالله؟ القطة والفئران أحق علينا من البني آدميين. نحر نعمل خدامين في بيوت الضباط ولا أحد يقول لنا كلمة تبل ريقنا.

- ثلاث سنرات تجيد وستمر. المهم أنا الآن أخشى أن يمتلئ الميدان بالفئران ونحن وحدنا هنا، ما رأيك أن نبدأ في قتلهم؟

ضحك الثاني وقال:

- بالرصاص؟

- لا طبعاً. ممي عشر طلقات فقط لمسدسي وطبعاً أنت كذلك. بالحجارة.

ابسم الثاني وقال:

- على أي حال يبدو أنها اختفت. كانت قليلة وليس كما تصورنا. علينا نستمتع بالجو الحلو والنسمة الحلوة هذه. تذكرت جلستي على التربة في القرية بالليل.

- أنا أيضاً اشتقت جداً للقرية رغم أن بنت عمي لم تتظرنني وتزوجت.

- أنت أحسن مني. أنا بنت عمي تتظرنني لكن لا أملك أي شيء.

- ألا تعمل؟

- أعمل طبقًا. عند غيري. حارس من حراس بيت العملة.

سكتا حتى قال الأول:

- سافر الخليج حين تنتهي مدة خدمتك.

- سأفعل ذلك. المهم أجد فرصة. الوقت غير زمان. يقولون إن

الأسيرين لهم فرص أحسن منّا. شكلي حاعمل هندي!

ضحكا ثم توقفا عن الضحك فجأة. كان صف من الفئران يقف

أمامهما على الأرض. فئران ضخمة أمامها فئران صغيرة وتنظر

حسبها إنيهما. همس الأول:

- يا ليلة سودا!

- ولا حركة. منتظر إلينا قليلًا ونمشي.

لكن الفئران بعد أن توقفت قليلًا بدأت تصعد إلى الدائرة الخرسانية

ونمشي جوار أقدامهما. رفعوا الأقدام فوقفت الفئران تنظر إليهما، ثم

عادت لحركتها الدائرية. همس الأول:

- هذه ليست فئران.

- أنا أيضًا بخيل إلهي ذلك. تبدو كالبنّي آدميين.

- أخاف أن تتكلم. ألا ترى الطابور القادم من بعيد؟ هيا نجري

من هنا.

أطلقا سيقانهما للريح لكنهما سمعا صوت قهقهات ضاحكة رفيعة  
حادة لا تتوقف. هتف الأول:

- الفئران تضحك علينا. سأعود إلى قسم البوليس وليحدث ما  
يحدث.

- وأنا أيضًا.



قرأ نزار على الفيس بوك ما كتبه أحمد خشة..

«حدثني والدتي نزار اليوم فقالت لا أعرف أين ذهب نزار ابني.  
أمر آخر مرة رأيته. اليوم افتحم زُوار الفجر شفتنا للقبض على نزار.  
رفقت أضحك وهم يبحثون عنه في كل مكان بالشقة. تحت الأسيرة  
وفي الدواليب وفي المطبخ وطبقاً على السطح وفي البلكونة. قلت  
لهم نزار ليس قطعة ولن يكون فأرأ. كنت أعرف أن بينهم مَنْ يبحثون  
من ذهب أو نقود بسرقتها. طبعاً لم يجدوا شيئاً. أخذوا بعض الكتب  
دليلاً على اتهامه بالشيوعية أو بالعمالة لفيستوشا. حسبما يتفقون هذا  
العام، ومضوا الكتب كالعادة سور السوق القديم ويحصلون ثمنها.  
قالت لي متى يفهم هذا النظام أن الدنيا تغيرت؟ عرفت أنا الآن من  
نقابة المحامين أن عدد مَنْ قُبض عليهم فجر أمس مئة وعشرون وهذه  
هي أسماءهم»

راح نزار يقرأ أسماء المقبوض عليهم على هاتفه المحمول وشهيرة  
نجلس جواره في صالة بيت أسرته في أيدوس.

- نفس أسماء العام الماضي. سيكملونها مئة وخمسين في أسرع وقت.

ابتسمت شهيرة فافتر ثغرها الجميل عن نوتين جميلتين في خديها وقالت:

- أنا لم يقبض عليّ العام الماضي. إذن هناك فرصة أن تظل معنا. لن يأتوا هنا.

- رفضت أن أنزل في الفندق يا شهيرة. بت عندكم ليلتين الآن. هذا أمر نادر في الجنوب. دعيني أصعد الجبل.

- مع اللصوص يا نزار!

- أجل.

- لماذا؟ الدار أمان.

- أعرف لكن الجبل أمان أكثر.

- هل أصبحت تخشى القبض عليك إلى هذا الحد؟ المحبوسون يتحولون إلى قطط ويخرجون.

قالت ذلك وهي تضحك والنوتان الجميلتان تخايلان نزار الذي لم يعد قلبه يتعلق بأحد بعد أن فقد زوجته في حادث مروع على الطريق الدائري هي وابتهما. لقد نجا هو وحده من الحادث لكنه أمضى عامًا في العلاج بالمنشفي وفي العلاج الطبيعي خارجه حتى وقف على

لديه. ثم تعد تهمة قضايا قلبه الذي يمتلي بالحزن. تهمة فقط قضايا  
طله الذي يرى وطنًا مروقًا منذ عشرات السنين. قال:

- لو مرّ هذا الشهر دون أن يصل عدد المقبوض عليهم إلى مئة  
، حسين سيصدق الأغبياء أكثر أن هذا عام جديد وليس هو العام  
المات. ومن ثم سيطمّتون أنه لا ثورة قادمة.

نظرت إليه وابتسامتها أكبر ثم قالت:

- أفكارك تذهب بعيدًا جدًا. من أين كل هذه الفلسفة؟! الواد أحمد  
مئة لما قابلك في مصر قال الكلام نفسه.

- ابحنى عثن ياخذني إلى الجبل اليوم قبل الغد.

- أنا رأيي تتظر معي. بابا يبحبك جدًا. بابا كان صاحب باباك  
وكانوا من الشباب الذين قاموا بالمظاهرات في السبعينات. عرفهما  
الجن معًا. كثيرًا ما كان يحدثني عن والدك الله يرحمه.

- أعرف طبقًا ولذلك وافق على استضافتي.

ثم سكت قليلًا وقال:

- أريد الفضاء الواسع. الجبل يا شهيرة الجبل.

ضحكت شهيرة وقالت:

- إذن سيأتي من يصحبك إلى هناك. لكن لا تأخر.



التفت ماهيتاب مع نورهان في شقتها بشرق مدينة فاروس. الشقة التي خرج بها أبو نورهان من الدنيا. اختارها هنا لأنه يحب هذه المدينة. قالت لها ماهيتاب:

- علينا أن نخرج لنسهر، وفي منتصف الليل أنركك حتى إذا نه القبض علي لا تكوني معي.

وضحكت ثم استطردت:

- أحسن حاجة في وزارة الأمن والأمان أنها لا تغير النظام يقبضون على الناس في الفجر فقط منذ سبعين سنة.

شردت نورهان لحظات ثم انتهت فقالت مبتسمة ابتسامة شاحبة - مديتكم دائماً تثير الذكريات.

سكت ماهيتاب لحظات تفكر في أنها لم تعرف من قبل أن لنورهان ذكريات هنا، ثم قالت:

- قصص الحب هنا تطربها أمواج البحر.

ثم ضحكت واستطردت:

- إذا كانت لك قصة حب هنا وضاعت فلا رنة قادرة أن تنسبك أنا التي أحاول أن أنسى وأفشل. قصص الحب الضائع تعود إلينا سحابة خريفية.

تأملتها نورهان في دهشة وقالت:

- أنتِ شاعرة يا بنت ولا نعرف؟

ابنمت ماهيتاب وقالت:

- أحب الشعر لكنني قرأت ذلك في رواية عن فاروس زمان.

ابنمت ابتامة نورهان وقالت:

- الأفضل أن نخرج نتمشى في مطعم ولا نقُلب الذكريات.

خرجتا إلى شاطئ البحر. كانت نعمة باردة رغم اقتراب الصيف. لم ندخل في منتصف العام بعد. ما زالت المدينة جميلة. لم يتوافد إلى الشاطئ الغرباء يعكفون الطرقات.

وقفت نورهان تشم هواء البحر وتتمنى أن تفتح صدرها تلمه كله داخلها. كانت اليارات المارة قليلة وأضواء الكورنيش تنعكس قليلاً على مياه البحر فتظهر الصخور التي تفصلها عن سور الكورنيش. يظهر على السور عدد قليل من المحبين يجلسون اثنين اثنين على مسافات متباعدة يعطون ظهورهم إلى المارة ووجوههم إلى البحر. بعضهم وضع ذراعه على كنف حبيته. وكان هناك بائع بطاطا يقف بمربته على الرصيف ورائحة البطاطا تصل إليهما، قالت نورهان:

- لولا أنني تعودت على لا وندة لعشت هنا. كان أبي يحب أن يأتي لي الشتاء أكثر مما يأتي في الصيف.

- هي في الشتاء أجمل خصوصاً لمن لا يعتمد عن الكورنيش  
كثيراً. فاروس القديمة كانت عروس البحر. في الجنوب مدينة أخرى  
من العشوائيات.

صمتا لحظات، ثم تساءلت نورهان:

- أين يمكن أن نذهب لنجلس في أمان؟

قالت ماهيتاب:

- مارايك أن نذهب إلى أحسن مكان عام. النادي الإسبرطي  
تصرف عادي واللي يحصل يحصل.  
- هذا رأيي أيضاً.

ركبنا أول تاكسي توقف أمامهما. دقائق قليلة راحت فيها نورهان  
تتطلع إلى الفنادق القديمة والعمارات الأوربية الطراز والتخيل  
الملكي بين طريقي الكورنيش يهتز مع الهواء الخفيف حتى وصلنا  
إلى النادي.

كان مشهد الميناء القديم مريحاً لنورهان للغاية. صارت تنظر إلى  
السفن الواقفة في الماء تتحرك في مكانها صاعدة هابطة في حركة  
هادئة رتيبة من أثر الموج الحاني، والأضواء تنكس على الماء من  
بعيد، من النادي الإسبرطي ومن الكورنيش، والهواء العليل بطل  
عليها يشع في جسدنا الراحة ولها وجهها البهجة. قالت:

- لماذا لا تكون حياتنا وحياة الشعب كلها سعيدة. إلى متى هذا  
اللمع وهذه السرقة والنهب لثروات البلاد؟

- مضت سبعون عامًا منذ استولى الجندرمة على الحكم وطرد  
الملك وكل حاكم يتصور أنه الأفضل بين الناس وعلى الناس أن  
نحشي وزاءه تطيعه في كل طريق وكلها للأسف طرق للخراب. هذه  
هي النتيجة. مدينة مثل مدينتنا أصبحت، بعيدًا عن الكورنيش، مدينة  
المشوائيات واللصوص والمخدرات والدعارة وكل الموبقات.

- حتى الكورنيش هدموا بعض عماراته القديمة وينونا طحات  
سحاب قبيحة لا تناسب أبدًا عالمية المدينة.

- عالمية من؟ هذه مدينة الآن رجعية متخلفة سلفية متشددة  
لا نرى الدنيا غير شيب وجلاية.

وسكتا لحظات حتى نساءلت نورهان:

- غدا الذكرى الأولى لمقتل فاضل سعيد.

قالت ماهيتاب:

- لقد كان هو سبب الثورة. ولولا ما جرى من الحاكم كان زمان  
الفتلة في السجون. سنبدأ وسنفعل ما اتفقنا عليه. أي كأنه قُتل هذا  
العام!

وسكتا لحظات حتى قالت نورهان مبتسمة:



- المشهيات قادمة واكيد السمك وراءها.

ضحكت ماهتاب وقالت:

- سنواصل الحديث فيما بعد.

لَقَّهَما صمت طال وهما تتناولان المشهيات بهدوء، حتى جاء  
الملك.



في الصباح كان الدكتور مصطفى السيد يمثل أمام النيابة للتحقيق.  
لقد حملوه من السجن إلى مقر النيابة أعلى الجبل الذي يحيط بالعاصمة  
مع غيره من المقبوض عليهم. كانوا عشرين في سيارة واحدة. ولأن  
الجو لم يدخل في الحر الشديد ولأنهم حُملوا في سيارة الترحيلات  
في الصباح الباكر كان يمكن تحمل حرارة العربة التي لا يزيد ضلع  
نافذتها المربعة على ثلاثين سنتيمترا. كانوا مقبدين في كلابشات كل  
اثنين مع بعضهما. كان مصطفى يعرف أن عدد المقبوض عليهم من  
الشباب أكثر من الفتيات، ومن ثم يمكن أن يكون التحقيق مع الفتيات  
آخر النهار. هكذا لن يرى غير أصدقائه الرجال. كانوا على طول الطريق  
يهفون. يسقط يسقط كل حاكم. يسقط يسقط أبو العساكر. هكذا كان  
اسم الشهرة للحاكم الذي لقبته به الصحافة بعد الحرب التي خاضتها  
البلاد منذ ستين سنة وكان فيها ضابطا. لكن ما دام قد وصل إلى  
الحكم فهو أبو المعارك والمتنصر الأكبر. وتتوالى الهتافات. الشعب  
يريد إسقاط النظام.. يا مرجع الأيام ودا بكرة هيشك تبقى خرا.

حين انطلق سامي أصفرهم سناً بهذا الهتاف لم يملكوا أنفسهم من الضحك. يا بن الإيه. جبتها منين دي؟ أنت شاعر يا له وما نعرفش. «أنت غلبت الواد كمال بتاع السبعينيات اللي يقولوا عليه ملك الشعارات. قال سامي بهدوء وقد ظهر الخجل على وجهه: «أنا ابنه الصغير».. «إيه؟ معقول؟ ليه ما بتقلش؟»، سكت خجلاً وقالوا له: «طيب قول وحنقول كلنا وراك».

وصارت العربة تسرع والضابط الجالس فيها جوار السائق ومعه أمين الشرطة يهز رأسه في دهشة ولا يمنع نفسه من الابتسام، بينما كان أمين الشرطة والسائق لا يستطيعان أن يُعبّرا عن ضحكهما من هذا الهتاف.

أمام المحقق جلس مصطفى مبتحاً. كان هناك محام أرسلته نقابة الأطباء، ومحام أرسلته نقابة الصحفيين، وأكثر من محام آخر يتبادلون على الحضور مع المتهمين. الآن يجلس محامي نقابة الأطباء الذي يعرف مصطفى أن أكثر قضاياها التي حضرها كانت مع المتهمين من جماعة النصيحة والهدى. قال مصطفى في نفسه ليكن، أنا لست في حاجة إلى محام. قال المحقق لكاتب الجلسة: «افتح الدفتر». ثم نظر إلى مصطفى وقال:

- أهلاً بك يا دكتور. أنت مرة ثانية؟

- أنتم السبب. أنا مقتنع تمامًا أن هذا العام ليس هو العام الفائت، لكن أنتم تتعاملون معنا وكأن السنة هي هي لم تتغير.

- ماذا تقصد؟

- حضرتك عارف أن الحاكم أصدر قرارًا بأن هذه السنة ليست 2011، بل 2010، والدنيا كلها مشت وراهم. الإعلام والصحافة والأحزاب وكله وأنا أيضًا. لكنكم تجعلون الأحداث كما هي.

كان الارتباك قد ظهر على وجه محامي النقابة. ابتسم مصطفى لأنه يعرف أن فيما قاله إدانة لجماعة التبعية والهدى الذين رؤجوا لقرار الحاكم. قال في نفسه: «أحسن. حتى لا يتكلم»، قال المحقق مندهشًا:

- أنا لا أفهم شيئًا مما تقول.

ونظر إلى كاتب التحقيق وقال:

- انتظر يا بني لا تكتب.

ثم خاطب مصطفى:

- كيف تريدني أن أكتب هذا الكلام؟ من سيفهمه ولا حتى بصدقه؟ تعاون معي حتى نفرج عنك.

ابتسم مصطفى وقال:

- عارف حضرتك. جاءوا وقبضوا عليّ في نفس الميعاد وأخذوا مثل العام الماضي سلسلة ذهب من ذهب أمي لم يسعفها الوقت

لنخبها مع غيرها في صدرها، وحضرتك تسألني نفس السؤال ومعنا  
مى المحامين وسقرر جبي أكثر من مرة ثم أعرض على المحكمة  
التي في النهاية سترثني من كل النهم. ما حدث العام الماضي بالضبط.  
حضرتك قرّر استمرار جبي ولا ترهق نفسك معي ولا ترهق كاتب  
التحقيق الغلبان ده. السنة التي مضت ترجع الآن مرة ثانية يا افتدم  
وربنا يخليكم!

سكت المحقق في حيرة حقيقية. احمر وجه كاتب التحقيق حين  
سمع كلمة الغلبان وصفًا له. أطرق المحامي إلى الأرض فوقف  
المحقق وقال:

- رغم أن في كلامك إهانة للنيابة إلا أنني سأتناهى عنها. قررت  
النيابة حبس المتهم خمسة عشر يومًا على ذمة التحقيق، وعلى إدارة  
البحث الجنائي استيفاء كل التحريات اللازمة.

تهلل وجه مصطفى بالفرح وقال:

- إذن يناصر قادم يا باشا. بلغ الإخوة اللي تاعين حضرتك ع  
الفاضي.



- أشياء غريبة تحدث في البلاد. الشباب يتحولون إلى قطط ثم  
لا يتحولون إلى قطط.

قال الحاكم ذلك مبتسمًا في دهشة ثم أردف:

- لقد تحدث مدير «مُر» مع الشيخ شمعان في ذلك. لو كانت جماعة «النصيحة والهدى» هي السب تكون كارثة! لأنهم كما أوقفوا التحول إلى قسط يستطيعون أن يجعلوه يمود. بل يستطيعون أن يحولونا نحن إلى قسط!

كان يتناول إفطاره مع زوجته سناء وكانت هي تقريبًا لا تأكل. بدت في ضيق خفيف. راحت تنظر إلى المعلقة الذهبية المطعمة بالأحجار الكريمة التي تأكل بها ثم قالت:

- لماذا لا تلقي بأعضاء النصيحة والهدى جميعًا إلى زمن بعيد وتربح دماغنا؟ لماذا تحافظون عليهم؟ هم سرُّ كل البلاء. اجمع قادتهم هنا لاجتماع هام. سيأتون. هم يظهرون دائمًا رغبتهم في التعاون حتى يأتي يوم يتمكنون فيه من البلاد. وهوب، في لحظة أثناء الاجتماع أرسلهم إلى إفريقيا وسط الغابات ألف سنة للوراء.

- القضاء عليهم يعني أنه لن يكون لدينا أي سبب لتخويف الناس منهم ومن حكمهم. إنهم الفزاعة التي عاشت عليها نظمنا العسكرية السابقة.

- يمكن خلق فزاعة جديدة.

- لا يمكن خلق فزاعة من الليبراليين ولا اليساريين. صحيح أنهم لا يتفقون أبدًا لكنهم يريدون مجتمعًا أفضل وحياة أفضل، ومن ثم يظلون مصدر قلق لنا. النصيحة والهدى هم الحكم البشع عبر التاريخ باسم الله.

نظرت إليه ساخرة وقالت:

- طيب ما انت بتحكم باسم ربنا من غير ما تقول.
- أبوة يا هانم لكن انتِ مثلاً تعطين فرصة كبيرة لحرية المرأة ونقدمين لها مزايا لم تعلم بها. انتِ تقدمين الوجه الحلو لنظامنا.
- يعني انت غير مؤمن بما أفعل؟
- طبعاً! لكن على الأقل لدينا شيء طيب نقوله أمام العالم.
- طيب وابنتك الكبير هل سيظل ينتظر؟
- لماذا تريدونه أن يحكم ولماذا يريد هو الحكم؟ هنا بلد مقرف.
- لماذا لا يعيش حياته وينهّد يقعد ساكت.

نظرت إليه بغیظ فقال:

- انتِ السبب. طلعتي في دماغ الولد أنه يحكم مثلاً فعلت زوجة حاكم «مصريم» وأدت إلى خلعه. ولو لا قلداتي لكان مصري من مصر حاكم «مصريم»..

- وأمسك بيده قطعة فلافل مما يحب أن تكون في إفطاره وقال:
- الفلافل النهارده وحشة. إنتي اللي عاملها أكيد مش الطباخ.
- سكنت لحظة وأحسست بالقرف المعتاد منه حين يأكل الفلافل بيده، ثم قالت:

- ألم تسمع صوت خريشة أول الليل في الدولاب؟

نظر إليها متدهشًا. قال:

- لم أسمع.

قالت:

- لقد وصلوا إلينا.

- مَنْ هم يا هانم؟ ماذا جرى لك؟

- الفران يا مولاي. الفران ملأت البلد ونسلت إلى القصر.

قال مترعجًا:

- ماذا نعين. شفيتهم بنفسك؟

- لا. أنا سمعت خريشة طول الليل. الآن الخدم يقبّون في

الدولاب للبحث عن سبب الخريشة. سرف يكون فأرًا. هل تعرف با

سيادة الحاكم معنى أن يصل فأر إلى بيت الحاكم؟



## 10

القي وزير الأمن والأمان «مم» بالتليفون على المكتب بقوة وغيظ  
سقط على الأرض. وقف خلف مكتبه ونادى بأعلى صوت:

- يا زفت يا اللي بره.

لم يحدث من قبل أن نادى أحدًا من سكرتاريته بهذه الطريقة.  
بعاملهم أفضل معاملة فهم في النهاية مستودع أسرار.

دخل العقيد «مؤثر» سرعًا ووقف أمامه يقول:

- خير يا افندم.

- خير ليه وزفت إيه!

ثم جلس الوزير وأكمل سيجاره وقال للعقيد مؤثر الواقف  
لا يزال:

- ألم أقل منذ أسبوعين إن مسألة الفتران لازم تنتهي؟

- حصل يا افندم وعمنا حملة قوية عن طريق الحكم المحلي  
والمحافظات. تقريبًا لا توجد فتران في البلد الآن.

- لكن فأرًا وصل قصر الحُكم.

كاد العقيد مؤثر يضحك لكنه تمالك نفسه وقال:

- يا معالي الباشا هذه ليست مسؤوليتنا. حراسة الحاكم كما نعرف  
معاليك أمر يخص الجيش.

- أجل. داخل القصر. لكن الفأر لم يظهر من داخله. قطع كل  
شوارع البلد ووصل هناك. الشوارع مسؤولية مَنْ؟  
ارتبك العقيد مؤثر وسكت فاستطرد الوزير:

- فأر يمشي كل هذه المسافات ولا عسكري يراه فمن الغلطان؟  
ظل العقيد مؤثر لا يرد فقال الوزير:

- ثم إن فأرًا يصل إلى قصر الحُكم بالذات لا بد أنه يعرف أين  
يذهب.

ارتبك العقيد مؤثر أكثر واستمر الوزير:

- أنا منذ أخذنا قرار قتل القطط وعارف أن البلد متخرب.

لم يرد العقيد مؤثر:

- ثم إن الأولاد المقبوض عليهم منذ عشرة أيام لم يتحولوا إلى  
قطط.

هنا رد العقيد مؤثر:

- حضرتك عارف السبب.

- أبوة يا سيلي. مدير «مُز» اتفق مع جماعة النصيحة والهدى يخلّوا  
الرجل الراجتاني يفعل هذا، رغم أن عندي تقريراً من واحد منهم يقول  
إنهم رفضوا الفكرة لكن الشيخ شمعان الرقاصة عملها من ورائهم.

هنا عاد العقيد مؤثر إلى الصمت فقال الوزير:

- اعمل لي قراراً جديداً بإضافة مراقبة الفران في الشوارع إلى  
صاكر الدوريات والأكنة. ضاعف الأكنة في كل طريق يصل إلى  
مقر الرئاسة. أعلن أن كل عسكري سيلم فأراً كان في طريقه إلى  
الرئاسة سيحصل على جائزة عشرة جنيهاً.

هنا ارتبك العقيد مؤثر وقال:

- في الطرق التي تؤدي إلى الرئاسة فقط يا افتدم؟

- خليبها في كل الطرق علشان ما حدش يزعل، الشرطة مش حمل  
الانقسام. إحنا لسة بنلم نفسيّا من ساعة شهر زفت يناير. تصدق  
بالله...

- طبعاً يا افتدم. لا إله إلا الله.

- أنا ساعات يهيا لي أن الحاكم هو من عمل الثورة هفه لأنه ما دام  
يستطيع أن يبعث الناس إلى زمن آخر فلماذا انتظر لليوم الثاني حتى  
نحرق كل أقسام البوليس؟ لماذا لم يرسلهم من بعد صلاة الجمعة أو  
حتى أثناء الصلاة؟

لم يرد العقيد مؤثر. أخذ الوزير نفسًا طويلاً وقال:

- انصراف. وادعي لنا شغلنا يجب اثر يا سيادة العقيد مؤثر!

ابتسم العقيد مؤثر وعاد إلى مكانه. اكتشف الوزير أن السيجار في الطفاية لم يدخنه بينما انطفأ تقريبًا فأشعله مرة أخرى وجلس في صمت.



أخذ نزار طريقه إلى الجبل مع الشاب «مرسال». كانا في سيارة «مرسال» الفيات القديمة. كان نزار مندهشًا جدًا هل يستطيع هذه السيارة أن تصعد بهما الجبل. قال له مرسال:

- والله يا دكتور أنا لا أصدق ما قالته ابنة عمي شهيرة. هل معقول أن دكتور مثلك يأتي من الشمال على البحر ليخفي في بلادنا من النار؟  
لم يرد نزار مندهشًا من مناداته له بالدكتور، كذلك من قوله الشمال على البحر. لا بد أن شهيرة قالت لهم معلومات كثيرة خطأ. استمر مرسال في الحديث:

- طيب ستخفي شهرًا أو شهرين بين القنلة واللصوص، ثم تعود للنور فهل سيتركك طالبو النار؟

- شوف يا مرسال يا حبيبي. أنا بلغت العائلة الأخرى أنني لم أقتل أحدًا، وأن القاتل بينهم وعليهم أن يبحثوا عنه قبل أن يقتلوني ثم يندموا أمام الله بعد ذلك.

- وهل أنت تعرفه؟

- طبعًا.

- لماذا لم تخبرهم؟

- الرجل لا يفتن. ثم إن أمامي فرصة للهرب، وأنا على يقين أنهم سيبحثون عن القاتل وسيعرفونه. إنه بينهم. أنا رجل متعلم لا أقتل الجأ للقانون.

- معك حق. لكن هل في بلادنا قانون؟

- شوف يا مرسال. أنا لیس لی فی الیاسة. اسألني سؤالًا آخر، أو لل لی هل مستطیع سيارتك الصعود للجبل؟

- لا طبعًا. سنقف تحته وسينزل من يصحبك إلى أعلى. كل شيء مُرتب.

وخط الصمت عليهما. ابتعد مرسال كثيرًا بالعربة شرق البلد حتى انقطع الطريق الأسفلتي. مشى بالسيارة أكثر على مدارات بين الرمال حتى اقترب الليل. قبل أن يحل الظلام كانا عند سفح الجبل. قال مرسان:

- انزل هنا.

نظر نزار حوله. هل كان هذا حلًا له هو الذي أراد الاختفاء حتى نهاية العام؟ هل تسقط حقًا حسابات النظام ولا يعود شيء مما جرى

في العام السابق كاملاً فيصدق أنه على صواب وأن العام مختلف عن  
الأسبق، ومن ثم لن تحدث ثورة؟

لم يعد أمامه فرصة للتراجع. سأل مرسل بعد أن نزل من السيارة.  
- الآن تنتظر معي حتى يأتي أحد؟

- أصعب شيء هو العودة من هنا إلى البلد في الظلام. سأتركك  
ولا تخف. دقائق وسياتيك من يصحبك إلى أعلى. في أمان الله.

لم يتظر رداً من نزار. استدأ بالسيارة فوق الرمال وأخذ طريق  
العودة. وقف نزار مرتبكاً حائراً. ما الذي يمكن أن يحدث لو لم يأت  
أحد لاصطحابه إلى الجبل. هل سيعرف طريق العودة وحده في  
الظلام الذي خاف منه مرسل؟



في الثامنة صباحاً كان شباب مدينة فاروس الساحلية وشباب  
العاصمة يقفون يحملون لافتات تندد باستمرار الاعتقالات. وتند  
بقتلة فاضل سعيد. في العاصمة «لا وندة» وقفوا على كورنيش النهر  
الكبير. في المدينة الساحلية وقفوا على كورنيش البحر. لم يكونوا  
كثيرين. أعداد العام الماضي لم تتغير. خمسون شاباً وشابة في المدينة  
الساحلية وخمسون في العاصمة. الفتيات يرتدين الملابس السوداء،  
والأولاد في ملابس مختلفة. الكل يرفع اللافتات أمامه. لا يهتفون.  
الشعارات مكتوبة على لافتات صغيرة رفعوها وبعضها أيضاً باللغة

الإنجليزية. لم يكن عدد المحتجين مزعجًا أبدًا للنظام ولا وزارته للأمن والأمان. كان المزعج هو تكرار الاحتجاجات بشكل مثير. الفضائيات تقترب وتصور الشباب في كل مرة. مواقع التواصل الاجتماعي تصور وترسل عشرات الصور إلى اليوتيوب والفضائيات العربية والأجنبية. كان الشباب ينظرون إلى موبايلاتهم ليرا التعليقات على وقتهم في المدينتين فيروا نفس التعليقات التي جرت في العام الماضي. إذن صحيح ما قاله النظام عن أنه جرى خطأ في حساب السين! ولا يجب أن يتظروا أن يكون الأمر غير ذلك!

كانت ماهيتاب بينهم ونورهان جوارها. ماهيتاب التي فقدت عينًا لها في حادثة من قبل تخرج عن الصف، تتقدم خطوتين إلى الأمام وتهنف:

عمر القهر ما آخر بكرة

عمر السجن ما غير فكرة

ثورة ثورة حتى النصر

ثم تدخل إلى الصف وتخرج نورهان. بعد نورهان يخرج شاب يردد نفس الشعارات أو غيرها. أحيانًا تجلس واحدة أو واحد منهم على سرور الكورنيش العريض الإيطالي الحجر الذي بُني في العصر الملكي، وأحيانًا تقف ماهيتاب وتردد الشعارات من فوق السور. لا بوليس جاء حتى الآن والساعة تقترب من الثانية عشرة ظهرًا. قرر



الشباب المشي قليلاً إلى الأمام في اتجاه نصف المدينة. ابتسمت ماهيتاب وقالت نورهان:

- لماذا لم يظهر البوليس حتى الآن؟

قالت ماهيتاب:

- لم يظهر العام الماضي إلا في الساعة الخامسة.

سكتت نورهان لحظات فاستطردت ماهيتاب:

- لم تكوني هنا العام الماضي يا نورهان، ومن ثم لو قبضوا عليك سيكون هذا عامًا جديدًا رغم أنه يحمل رقم 2010.

- ليكن. ساعتها سيصدقون أنهم على حق وأن شيئًا لن يحدث فتفاجئهم الثورة. وإذا لم يقبضوا عليّ سيؤكد لنا أننا على حق إذ يفعلون الشيء نفسه، فالعام هو العام وستحدث الثورة!

- مخك جبار طول عمرك يا نورهان.

- صابغة يا بنت.

ضحكنا. كان الجميع قد وقفوا وارتفعت الصيحات. شردت ماهيتاب لحظات ثم قالت:

- بصراحة عندي أمل هذه المرة لما يتقبض عليّ أبقى قطعة نفسي أرجع البيت أنونو على الباب ويطلعولي أكل قدام الباب باعتباري قطعة غريبة فأقول لهم أنا ماهيتاب سيوني ادخل وأرى انفعالهم.

ضحكتا من جديد ثم قالت نورهان:

- هذه المرة لن يتحول المعتقلون إلى قطع. فكوا السحر الذي لا نعرف من أصل فعله. جماعة الهدى والنصيحة جابولهم واحد مبروك من راجستان فك العمل!

- كيف عرفت ذلك يا نورهان؟

- لا شيء يخفى الآن.

ابتسمت ماهيتاب ثم قالت:

- طيب انتهي للفتافات. نحن نتحدث أكثر مما نهض الآن.

نكن عشر سيارات شرطة للترحيلات ظهرت من بعيد قادمة بسرعة حاجتهم. وقف الناس على الرصيف الآخر يشاهدون ما سيحدث وامتلات البلكنونات بالسكان. همت ماهيتاب:

- تمامًا مثل العام الماضي.

نزل أكثر من ضابط شاب برتبة ملازم وأكثر من ضابط برتبة مقدم وعقد واحد. صرخ فيهم العقيد:

- لا أحد يتحرك من مكانه. التعليمات عندنا أن لا نقبض عليكم لكن إذا لم تنصرفوا الآن سنقبض عليكم جميعًا. سأنظر دقيقة واحدة. خلروا فيها الشوارع الجانبية على الناحية الأخرى وتخفوا.

لكن صوت امرأة من بلكنونة مقابلة علا وهي تهتف: «ميركم برة. لاوند حرة. ميركم برة. لاوند حرة».

همست ماهيتاب لنورهان في دهشة وفرح:

- إكرام!! المرأة نفسها التي هفت في العام الماضي. لقد رايتها في «الميدان الفرنسي» وهي تناقش أحد الضباط فأقنعت أن يأخذ جنوده ويتعد قبل أن يهرب الجنود آخر النهار. لعلمك فيه ناس في الشرطة كويسة بس مش باينين. فأكرة الضابط اللي كان مدور وث بيعيط والعسكر بتهاجم المتظاهرين؟

- فأكراه طبعا. للأسف دي حالات فردية.

- من يعرف؟ ربما يأتي يوم وتكرر هذه الحالات.

- أحلامك كبير يا ماهي

قالت نورهان ذلك مبتسمة فقالت ماهيتاب:

- المهم كان نفسي أشوف هذه السيدة مرة ثانية. الحمد لله أن الدولة الهبلية رجعت الزمن ورايتها.

وقبل أن ترد نورهان كان الجنود قد بدأوا يمكون بالشباب ويجزّون الفتيات اللاتي كن يصرخن وينهرن الجنود معلّات أنهم سيمشّين معهم بهدوء. ارتفعت أكثر من مرة صيحة «يا ولاد الكلب». وكان ثلاثة ضباط قد صعدوا إلى الدور الذي صرخت منه المرأة ونزلوا بها في جلبابها المتزلي وروب أخضر جميل حوله. لقد أخذوا نورهان معهم أيضًا. نورهان التي لم تكن هنا في العام الماضي.

# 11

استيقظ الناس في الميدان الكبير للعاصمة «لاوندة» على صوت صراخ جبار يملأ الفضاء ويصل إلى النواقد المفتوحة فيطير هواؤه النحف واللوحات المعلقة في الصالات والغرف بالعمارات التي حول الميدان، ويحرك الأثاث الرابض على الأرض منذ سنين بصطدم بالجدران. أكثر من شخص وزوجته أو عشيقته أو المرأة التي التقطها من الشارع تحرك بهما الرير بقوة أصدرت صريرًا على الأرض اختلط بصراخ النساء.

زلزال! هكذا كانت الصيحات في كل البيوت. جرت النساء ملابس النوم تحمل أطفالها والرجال كذلك والغريات نزلن بسرعة قبل أن يمتن فيعرف أهلهم ماذا كُنَّ يفعلن في حياتهن بعيدًا عنهم، لكن صوت الزلزال لم ينقطع. ازداد ومعه يهتز الفضاء وتُسمع أصوات لرنظامات جبارة بالأرض حتى ظن الجميع أن العمارات تقع.

مَن نزلوا ومَن تأخروا وكانت لديهم الجراءة على النظر من النواقد المهشمة، رأوا حيوانًا، وحشًا يقف على قدميه. هضت فتاة «كينج كرنج». كان الحيوان يدور على السيارات الواقفة يرفعها ويلقي بها

بعيداً فتحطم وبعضها يحترق والناس في رعب. الجميع الآن وقد  
فارقوا كل الممارات وقفوا أمامها متخشين تكاد أكفهم تتجمد على  
أيدي أطفالهم الذين منذ فتحت الأبواب يكون رعباً. من أين جاء هذا  
الحيوان الذي انقرض ولم يره أحد منهم إلا في السينما وكيف وصل  
إلى الميدان الكبير. وماذا بشره ليفعل هذا كله؟

استبقت كل المسؤولين الكبار على مكالمات تليفونية مرعوبة  
ومرعبة. وزير الأمن والأمان «م» ومدير «م» على رأس من أيقظتهم  
مكالمات الدعشة والاستفائة. انقطع الإرسال التلفزيوني والإرسال  
الإذاعي ولا أحد يعرف السبب ولا يتصور أحد أن زفير الحيوان  
الغاضب يوقف عمل أبراج شبكات الإذاعة والتلفزيون والإنترنت.  
ملا الرعب وزارة الأمن والأمان القريبة وكان العقيد مؤثر النائم هناك  
تلك الليلة يكلم وزيره مرعوباً.

- يا أفندم كما أقول لمعاليك، كينج كونج ظهر في الميدان يحطم  
السيارات ويزار. ينثث هواء يحطم التوافد والأثاث ولو تحرك ناحيتنا  
ستخرب الوزارة بما فيها.

- انت بتهزر يا حيوان؟

- يا أفندم أنا مش باهزر. أنا أعطيت أوامر لكل السيارات أمام  
الوزارة أن تبعد إلى الأحياء الشعبية القريبة لتخفي، وأعطيت أوامر  
للمرور يغللق الشوارع التي تصل إلى الميدان. لا أحد يعرف كم

السيارات التي يمكن أن يحطمها هذا الحيوان ولا كم الناس الذين  
من الممكن أن يأكلهم.

لم يكمل الوزير المكالمة معه واتصل بمدير «مُز» فوجده  
يقول نه:

- يبدو أن الحاكم أخطأ في الحساب. قال مئة واحدة لكن من أين  
أني هذا الوحش الذي يتسبب لعصور الجليد.

- وماذا يمكن أن نفعل الآن؟

- لا بد من قتله؟

سكت وزير الأمن والأمان وهو يترجع فيلم كينج كونج  
الأمريكي حيث فشلت كل الأسلحة واضطروا لاستخدام الطائرات  
سمع صوت مدير «مُز»:

- أين ذهبت؟

- أفكر هل ستصلح أسلحتنا. أرجو أن توقف السر عكر يرسل  
إلى الميدان الدبابات للتخلص من الوحش. لا حل غير ذلك.

- سأفعل. لكن هل أخبرت أحداً غيري؟

- لا طبعاً. لا أستطيع أن أوقف الحاكم من النوم الآن. مش ناقص  
يقول لي عايز إيه يا روح أمك ع الصبح.

- بدمتك يقول لك يا روح أمك والا حاجة تانية خاصة بأمك؟

- مش فارقة.

- أصل روح أمك دي يقولها لي أنا. أنا درجة أعلى رغم إنني من وزير.

- يا أفندم ليس وقت الجدل الآن؟ أيقظ أنت الحاكم وأخبره بكل شيء. أنا سأرسل من جانبي عربات مدرعة تحاصر الميدان حتى لا يهرب. سيصوبون إليه الرصاص دائمًا فيرتد إلى منتصف الميدان حتى تأتي الدبابات.  
- وهو كذلك.

كانت زوجة الحاكم تلكره في صدره وتقرصه في ذراعه وهو نائم جوارها بالبيجامة الصيفي الحرير حتى استيقظ فقالت شبه حائرة:  
- يا أخي قم لترى المصائب التي فعلتها.  
نظر إليها مندهشًا وسألها:

- ماذا جرى يا ولية. تصحيني بدري ليه؟ هو أنا شغال عند أبوك؟  
زجرته قائلة:

- ليس هذا وقت الكلام. هناك مصيبة في الميدان الكبير.  
لم يتحرك من رفقته وقال:

- أي مصيبة؟ العيال المتأجرين من فيبوتشار جمعوا للثورة؟  
سأريهم من جديد سنة ورا. ألف سنة هذه المرة حتى نخلص منهم.



- والنبي قم.

اعتدل جالساً من رقدته وانكأ بظهره على ظهر السرير وسألها  
عاصياً:

- فري كلامك يا رلية. أي مصيبة توقظيني بدري بيها؟!

ضربت كفها ببعضهما وقالت:

- الديناصورات.

شخط فيها:

- ديناصورات! هل جُنتِ؟

- في الميدان الكبير ديناصور يحطم السيارات ويصرخ والهواء  
مخارج مع صراخه حطم النوافذ وطير الأثاث داخل البيوت.  
قال ساخراً:

- هذا حلم. كابوس جاءك وانتِ نائمة كي توقظيني.

- انت عارف ان بنت عمي ساكنة هناك. أيقظتني وكلمتني في  
التليفون الأرضي. الشبكات الهوائية مقطوعة.

- كمان! طيب له؟

- لا أحد يعرف. أكيد الهواء الذي يخرج مع أنفاسه أثر عليها.

ترك السرير وجلس على مقعد قريب. دق جرس التليفون فقالت:

- أكيد وزير الأمن سيكلمك أو مدير «مُر».

ثم قالت ساخرة:

- قذفت الشباب سنة ورا. أنت رجعتنا آلاف السنين ولا تدري،  
لذلك ظهرت الديناصورات.

تركه وخرجت. أمسك بالتليفون فوجد مَنْ يحدثه هو مدير «مُر»  
ردُّ عليه ساخراً:

- أنت أيها؟! يوم أغبر من أوله.



لم تستطع العربات المسلحة للبوليس أن تطلق رصاصة على  
الحيوان - الديناصور أو كينج كونج كما يقولون. وقف الجنود جمباً  
ينظرون إليه وهو يدور في الميدان الكبير صارخاً والهواء الخارج مع  
صراخه يكاد يطيرهم ويحرك عرباتهم فوق الأرض. كان من بينهم  
الشرطي الذي رأى الفئران بالليل وزميله. قال الأول:

- ما هنا أيضاً؟ أنا فكرت الفئران حلم ونيت الموضوع.

- حلم ولا الضابط ضربك على قفاك فوقك.

قال الثاني ضاحكاً، فرد الأول:

- كنت معي وشفيت. لكن ما هنا الوحش؟ إنه يقترب مثلاً.

كاد يجري لولا أن زميله أمسك به.

- الله يخرب بيتك قف. هذا هروب من الخدمة. سجن لن يخلص منه.

قال الأول وهو يحاول الإفلات منه:

- اسجن وأرقد أحسن من الموت. اتركني.

لكن أحد الضباط الشاب ظهر أمامهما وهتف فيهما:

- اثبت مكانك يا عسكري. لما يقرب اضرب رصاص.

لكن نفحة هواء قوية وصلت إليهم فطاورا وغيرهم إلى الورا  
وسقطوا بعيداً فوق الأرض على مؤخراتهم. من فرط الألم صاروا  
يظنون إلى بعضهم في دهشة لا نهاية.

كان كينج كونج قد عاد إلى منتصف الميدان. للدهشة الجميع بدأ  
يضحك. اتسعت ابتسامته أمامهم وسمعوا صوت ضحكاته تختلف  
عن صراخه الأول. ثم رأوه ينظر إلى أعلى سقف إحدى العمارات.  
كانت عصفير كثيرة تقف فوق خزان المياه أعلى السطح. وبينها تقف  
فناء لا يتبنون ملامحها تشير إليه بفراغها إشارات سريعة كأنها تحيه  
أو تخبره أنها هنا.

صرخت إحدى الفتيات أمام إحدى العمارات في الواقفين وهي  
تشير إلى أعلى:

- ما يحدث هنا فيلم. وربما فيلم كينج كونج نفسه. كان فيه بنت  
حلوة كهذه.

رفع الكثيرون أعينهم إلى حيث ينظر كينج كونج وبدت الدهشة والخوف على وجوههم. هل هم حقًا في الدنيا التي عرفوها أم في فضاء افتراضي؟ في فيلم سينما حقيقي؟

كان شاب ينظر إلى تابلت صغير يعمل في يده بعد أن استطاع اختراق شبكة الأقمار الصناعية، ويبحث عن شيء يُقال في التلفزيونات فوجد مديعًا يقول:

- إليكم بعد قليل بيان هام من حاكم البلاد.

قال لمن حوله:

- أليس الإرسال التلفزيوني والإذاعي مقطوعين بسبب كينج كونج هذا؟ لماذا رجع الإرسال من أجل بيان الرئاسة؟  
قالت له الفتاة التي تجاوره:

- صدقت يا محمد؟ عرفت أن ثورة قامت هنا؟ عرفت أن الدولة كذابة؟

كان محمد مجندًا في الجيش وقت قيام الثورة. كان في وحدة بعيدة في صحراء الجنوب. لا راديو لديهم ولا تلفزيون ولا صحف تصل إليهم، وإحكامًا في العزلة يأخذون منهم الموبايلات أثناء وجودهم حتى لا ينشغلوا بشيء آخر غير حراسة الحدود. الموبايل مسموح به للضباط فقط. قامت حركات الشباب يوم 25 يناير ولم يعرفوا شيئًا. شهدت المدن كلها عمليات قتل للمتظاهرين في اليومين التاليين ولم

مر فوا شيئًا. حدث انفجار الشعب بعد صلاة الجمعة في 28 يناير ولم  
مر فوا شيئًا. كانت إجازته في اليوم نفسه. وصل «لا ونده» في منتصف  
الليل. بصعوبة حيث لا توجد سيارات ولا قطارات. أكثر من سيارة  
مالة هي التي نقلته. عرف ما جرى فذهب إلى الميدان الكبير قبل  
أن يذهب إلى بيته. وجد الشباب يهتفون في وجهه «الجيش والشعب  
أحد واحدة». ويحتضنونه ويرفعونه عاليًا. وصل إلى بيت أسرته عند  
المجر فرحًا. كان متعبًا جدًا. ذهب إلى الميدان بعد يومين فلم يجد  
أحدًا. عاش ما جرى بعد ذلك. صار إذا ظهر بين الناس ينظرون إليه  
في ضيق. هل فعل الجيش بهم أي شر؟ ما يسمعه هو من فعل رئيس  
الملاذ. أراح نفسه وقرر أن يعتبر نفسه في بلد غير بلده، وطلب من  
أبيه في الوحدة في أقصى البلاد أن لا يعطيه أي إجازة مهما يطلب،  
أن يساعد أن يمضي العام الباقي له في الخدمة العسكرية كله هناك  
بعيدًا عن الدنيا، وحين يخرج سيرف أين هو وفي أي زمان.

لكنه لم يستطيع. ورئيسه في الوحدة أشفق عليه بعد شهر فأعطاه  
إجازة إجبارية حتى يستطيع بعد ذلك مواصلة الخدمة. وصل منذ  
يومين وأمس بات هنا في غرفة يتأجرها صديقه إسلام على سطح  
أحدى العمارات. سهر السهرة جميلة ومعهما أصدقاء آخرون. كانت  
مهم هذه الفتاة التي تسكن مع زميلتها في شقة صغيرة في نفس  
العمارة وتعرف صديقه إسلام. كانت السهرة في شقة فايزة هذه  
وصديقتها وصديقتهم وسبعة، وعند الفجر انصرف الشباب. صديقه

إسلام صعد غرفته وهو معه. ما يجمع بينهم هو الفن. كلهم فنانون تشكيليون صاعدون بقوة وهو كاتب قصة لم ينشر قصصه بعد. هم جميعاً من رواد مقاهي نصف البلد ومنها تصادقوا.

كان محمد حائراً يفكر. ما الذي جعله ينزل إجازة؟ ألم يكن الأفضل أن يقارم رئيس وحدته ويظل حتى نهاية العام؟ لماذا جاء من صحراء نائمة إلى بلد خرافات كالتّي يراها أمامه؟

قال لفايزة:

- اسمعي البيان. يا جماعة اسمعوا بيان الحاكم.

انتبه الواقفون على الأبواب من الداخل في العمارة واقتربوا منه.

«بسم الله الرحمن الرحيم. شعيي العظيم. لقد انتقلت لاوند إلى حرب جديدة هي حرب القضاء الافتراضي. الدول الكبرى التي جعلت شبابتنا على الإنترنت غاضبين منا ويخرجون مظاهرات ويتحدثون عن الثورة، الآن حين رأت هذه الدول أن شبابتنا العظيم يعرف قيمة بلاده وحكامها الذين يحبون هذه الأرض ويقدمون من عليها. وبعد أن هزمنا الطغافوت الخارجي يشنون علينا حرباً إلكترونية. يطلقون علينا أفلام الرعب التي أخرجوها في شركاتهم متصورين أننا مستصوون أن ما يحدث حقيقي. انزلوا إلى الميدان الكبير فلا شيء هنا يدعو للرعب ولا الخوف، وما ترونه من وحوش يحاول خبراؤنا الآن الوصول لكلمة سر إطلاقها من الأفلام القديمة والقضاء عليها. عاشت بلدنا حرة مستقلة».



فهنهت فائزة وقالت بصوت عالٍ:

- مجنون. وربنا مجنون.

بهت الواقفون جميعًا فقال محمد وهو ينظر في اللاب توب:

- المذيع يتعثر وهو يعتذر عن قطع الإرسال مرة ثانية والصورة

اهتزت وتشوهت وراحت وراح الصوت.

- هم إذن يفعلون كل هذا الخرف. أنا ذاهبة للوحش. هم من

أصلوه.

وجرت إلى الوحش قبل أن يوقفها أحد، لكن الوحش كان يرفع

يده إلى أعلى ناحية هديل التي لا تزال أعلى العمارة القديمة الجميلة،

ودوت في الفضاء موسيقى سريعة الإيقاع لا يُعرف مصدرها. صاروا

يظنون إلى بعضهم لكن شابًا قال مندهشًا كأنه يحدث نفسه:

«السمفونية الخامسة ليتهو فن. القدر. من أين تأتي؟»

تجمد الجميع في أماكنهم. تراجع كينج كونج إلى الخلف ودرى

صوت من إحدى المركبات البولبية:

- البنت اللي بتقرب من الوحش ترجع. إحنا غير مسؤولين عنها.

لكن فائزة اقتربت أكثر بينما كان كينج كونج معنيًا بالنظر إلى

هدبل أعلى العمارة ولا يهتم بها ولا يلتفت إليها. لما اقتربت فائزة

منه أكثر وصارت أمام قدميه لا تشغل إلا مساحة قصيرة جدًا من ساقه

ودوت الرصاصات من كل المركبات فزار كينج كونج وطار الهواء من



لمه ناحية المركبات والجنود فطار الجنود وسقطوا في النهر الكبير خلفهم. ازداد زئيره جاريًا أمام المركبات فسقطت كلها في النهر الكبير وعاد يهدوه إلى قلب الميدان. رأى فائزة فوقف ينث يهدوه أمامها وانحنى إليها فسقطت دمة من عينه، ثم رفع رأسه عنها وتركها وهي وقفت متجملة في ذهول.

- ما عملهاش حاجة. دا بيحبها. زي الفيلم بالضبط. كلام الحاكم صح يا جماعة.

هكذا هتف رجل، لكن محمد الذي رأى كينج كونج يتركها وينجبه إلى الأمام يقف يلترج إلى هديل وجد في نفسه الجرأة ليجري إليها يحضنها ويدفعها أمامه. صرخت فيه:

- اتركني يا محمد. نحن في أمان.

تركها ووقف أمامها. رأى دمعا في عينيها فقال:

- تبيكين يا فائزة؟

- هو أبكاني. بكى حين اقترب مني.

- إذن هو حقيقي؟

- مثل كل شيء فعلوه وخرج من أيديهم يا محمد.

- إذن دعينا نعود إلى الناس.. نكفي بالفرجة.

انتهت الموسيقى ودوت بعدها موسيقى أخرى جميلة في إيقاعات تصاعد لكن على مهل. همس الشاب الذي همس من قبل مرة ثانية وقال: «البوليو لرافاييل»، ثم هتف من جديد:

- يا جماعة من اين تأتي هذه الموسيقى؟

صار الجميع أمام البيوت في وجرم وفي البلكونات. صار الهواء رفقا جميلا رغم الحر وبدأت سحب يضاء تأتي من بعيد. وقف الشاب متأثرا بالموسيقى يكاد يكي. يقول لنفسه: «بعد ما نزلت الميدان يوم ثمانية وعشرين يناير وبدأت أعزف ع الجيتار لقيت نفسي في الصحراء من غير الجيتار بتاعي. كان نفسي أبقي ملحّن الثورة. خدرونا ورمونا بين الجبال».

ورأى الجميع كنج كونج أمام العمارة العالية يرفع ذراعيه فقط بينهما هديل، وكانت الدبابات قد أقبلت وأحاطت بالميدان الكبير. قال الواقفون: «ربنا يستر الدبابات ما تضربش الوحش. حيهّدوا بيوتنا الله يخرب بيوتهم»، لكن السحابة البيضاء كانت قد اقتربت وهتف الشاب الموسيقار الذي اسمه إسماعيل:

- أنا رأيت هذا المشهد بعد أن أفقت من التخدير في الصحراء. السحابة البيضاء أخذت البنت الحلوة التي من الشام لكنها كانت على ظهر الحصان المجنح. يجاسوس.

كانت السحابة البيضاء تنخفض تملأ نصف الميدان وترتفع بهما لا يظهر لهما أي أثر ولا لون فهتف:

- هذه البنت هي التي أفأقتنا من الغيوبة. هي التي قبّلنا جميعا فبلة الحياة.

كان من حوله يسمعونه ولا يتجهون من فرط دهشتهم وخوفهم مما يرونه. ومشت في الفضاء موسيقى حزينة. مشيت بهدوء تسلك إلى الأرواح. مشيت بهدوء تحرك الدموع في مآقيها. وأنت غيمة سوداء من بعيد. وبدأ الناس يشعرون بالذكريات الضالعة تداعى عليهم. كان محمد قد عاد بفايزة التي راحت تبكي أمام البيت وهو يحتضنها ويريت ظهرها وقال الشاب الموسيقي إسماعيل:

- يا أرحم الراحمين. أدا جيو الحزينة لا كينوني تنزل علينا من السماء. هل سجع الأرض ليكاء هذه البلاد.

لكنه عاد فصرخ:

- لا بد يوماً أن نمزف معزوفة النصر كما عزفها أندريه ريو. لا بد أن أعزفها يوماً في الميدان وستكون عندي فرقة كاملة من أعظم الموسيقيين يا بلد.

## 12

لم يُطل انتظار نزار ذلك المآء ورأى رجلاً قادمًا بسرعة يمتطي  
جرادًا ويقف أمامه مثيرًا بعض الأتربة.

- اركب خلقي.

اقترب منه نزار دون كلام. مَدَّ له الرجل يده فأمسك بها وقفز  
خلفه.

- تمام. واضح أنك محترف ركوب الخيل.

ابنم نزار الذي أعجب من كونه فعل ذلك بسرعة حقًا. أسرع  
الرجل ودار أكثر من دورة جعلت نزار يفقد الاتجاهات ومعناها. انتهى  
به الأمر أمام جماعة يجلسون على حصر ممتدة فوق التراب في صفين  
يتصدرهما رجل بدا له، من زيه الفخيم النظيف ووجهه الأسمر قوي  
اللامح وعينه الثاقبتين، أنه زعيمهم. كان حوله عشرة رجال، بينهم  
الطعام في أوانٍ كبيرة. فته وخروف صغير مشوي. من الذي يفعل ذلك  
وليس بينهم نساء؟ لا بد أن وحدتهم في الجبل علمتهم كل شيء.

- اجلس.

قال الزعيم فجلس.

- كُل. لا تَقُلْ إنك شعبان.

ضحك بقية الرجال وقال أحدهم:

- لا أحد يقول للزعيم لا.

كانوا يأكلون بأيديهم على عادة أهل الصحراء. لم يَزْ ملاحق أمامه.

راح يأكل مثلهم. لقد أحسَّ بجوع حقيقي. قال الزعيم:

- هل أنت دكتور؟

لرنبك. كان «مرسال» يناديه بالدكتور. هل قال لهم ذلك؟ بَمْ عجيب

الآن؟ فكر قليلاً وقال:

- أجل دكتور في القانون والحقوق.

نظر إليه الجميع في دهشة. أدرك على الفور خطأه. هولاء لصرصر

في النهاية هاربون من القانون. كيف يقول ذلك حقاً؟ وهل سيأمنون

إليه؟ ابتلع ريقه وقال في نفسه ما جرى قد جرى ولا يمكن التراجع

فيه، لكن أحد الرجال قال:

- يعني دكتور. ما لنا والقانون. المهم أنك دكتور.

ولم يجد فرصة للتعليق إذ قال الزعيم:

- زوجتي مريضة. ودّي تعالجها.

أسقط في يده تمامًا. هنا ستكون نهايته هو الذي جاء للاختفاء حتى  
بمر وقت اعتقاله الذي جرى من قبل. قال الزعيم:

- الحمد لله.

وتوقف عن الأكل فتوقفوا جميعًا. قام أحدهم بسرعة وأحضر دلوًا  
به ماء وكوزًا صغيرًا وراح يسكب الماء على يدي الزعيم بعد أن قدم  
له أحدهم صابونة صغيرة.

حين جاء دور نزار ليغسل يديه لم يكن الزعيم موجودًا. كان القمر  
بهضيء الصحراء ويأكلون على ضوئه. ماذا يفعلون حين يغيب القمر  
أو يكون هلالًا أو صغيرًا إذ إنه الليلة في اكتمال. النجوم وحدها  
لا تكفي. لا بد أن لديهم مولدًا للكهرباء يعرفون كيف يديرونه. بعد  
أن انتهى انتظار من يخبره بمكان نومه أو يأخذه إليه. توقع أن يكون  
في مغارة في بطن جبل من الجبال الصغيرة التي تحيط بالوادي فوق  
الهضبة التي صعدوها. لم يكن جبلًا الذي صعدوا إلا ما هذه الجبال  
الصغيرة حوله؟ فوجئ بمن يأخذه من خراعه قائلاً:

- الزعيم في انتظارك.

مشى معه قليلًا ثم دخل به مغارة واسعة قليلًا بها سرير نظيف  
ومقاعد مختلفة الأنواع وصناديق مغلقة والمفتوح منها تظهر منه  
ملابس. وعلى أحد الجدران كلیم طويل منسوج عليه صورة ليونس  
المصريامي خلف قضبان السجن وعزيزة الزانانية تقف أمامه في يدها

مفتاح. هذه الأسطورة التي شاعت في الدنيا وكيف أحببت عزيزة  
يونس فخلصته من الأسر.

- اجلس.

هتف الزعيم فجلس على أحد المقاعد مرتبكاً. ماذا يريد من  
الزعيم هنا وأين هي حقاً زوجته؟ باب صغير في المغارة انفتح وهلت  
منه وسط ضوء لمبة الغاز الكبيرة. هناك غرفة أخرى إذن. كانت  
صيلة صغيرة منقبة تُنذر عيناها أن وراء النقاب جمالاً فتأناً. انجذب  
إلى جسمها وكاد يتطلع إليه لكن نظرة الزعيم مرعبة فأمسك عن أن  
يضعف أمام رغبته. قال الزعيم:

- هذه زوجتي. تستطيع أن تعرف مرضها أمامي وتستطيع أن  
تعالجها.

كانت هي تنظر إليه نظرة لا تخلو من عطف. نزار شاب يرتدي  
بدلة أنيقة ويبدو شعره مفسولاً ومدرجاً بعناية ورائحة برفان تأتي من  
ووجهه يميل إلى الاحمرار وعيناه خضراوان. قالت وهي ترى نزار  
مرتبكاً جداً:

- أنا بخير الليلة. يستطيع الدكتور أن يراعي غدائي في النهار إذا  
أحببت بالتعب.

تنفس نزار بهدوء وتراجع خارجاً بعد أن تمنى لهما ليلة سعيدة. ما  
كاد يخرج من المغارة حتى تنفس الصعداء مرة ويعدّها مرة لا يصدق



ما جرى ويفكر كيف يهرب من المكان. الجن أفضل له من أن يكون  
قاذبًا هنا.

لم يجد أحدًا في الخارج يخبره أين ينام فمشى قليلًا حتى جلس  
على صخرة تحت ضوء القمر.

لقد أصبح الآن مقطوعًا عن الاتصال بالبشر كما أن شبكة  
الإنترنت لا تعمل هنا. لا بد أن اللصوص وقطاع الطرق اختاروا هذا  
المكان لذلك. أحس بالنسمة حوله رائحة تسيل إلى جسمه بالراحة  
والانتعاش فساءل ما الذي حدث اليوم في البلاد. هل لا يزال القبض  
على الشباب مستمرًا. وهل ما زال البوليس معنيًا بقتل القبط والفران.  
هل يستطيع البقاء هنا حقًا؟

امثلة كثيرة راحت تراوده. لقد حذرتة شهيرة من أنه لن يقدر على  
الوحدة هناك كما لن يقدر على حياة قطاع الطرق. الآن يتساءل هل  
يختلف القبض عليه عن عدم القبض عليه. لقد قالت الدولة العبيطة  
إنه لا ثورة حدثت ولا عام 2011 بدأ. إذن ستعيد كل ما جرى في  
2010 وسيقبض عليه. هو يرى أنهم لن يقدروا على القبض عليه في  
كل الأحوال الآن. حقًا سيؤكد للدولة العبيطة أنها على حق وستنسى  
كذبتها البلهاء وهذا يعني أيضًا التفاؤل بما سيأتي، لكن ألم يكن من  
الأولى به البقاء والمساهمة في الاحتجاجات أكثر من ذي قبل؟ على  
أي حال هو لم يفعل شيئًا لم يوافق عليه زملاؤه، سيحاول أن يمضي  
شهرين هنا بين الجبال. ستضاف له خبرات من عالم قطاع الطرق قد

يكتبها يومًا حكاية هو الذي توقف عن كتابة الشعر من أجل اليامة.  
هو الذي رأى أن مواهب كثير من الشعراء أفضل من موهبته فقرر أن  
لا يخوض معارك طائشة. ميله للقانون والعمل القانوني أكبر، لكن  
هذا لا يمنع أن يحكي حكاية!

راح ينظر حوله إلى الصمت الذي شمل الدنيا. الاتساع الذي نزل  
على المكان. رعشة خفيفة من برد خفيف غير متظر هنا في الجنوب.  
احس أنه وحده في الكون، كيف حقًا لا يسمع صوت ثقاب شاردة  
ولا كلاب. لا يظن أن القطط تعيش هنا. ستكون فريسة لكل الحيوانات.  
هذا الصمت يعيد عليه ما مضى كله. كيف أسس صفحته على الفيس  
بروك وكيف أسست نورهان صفحتها وأحمد خشبة وكيف كان  
مصطفى مثن يديرون صفحة كلنا فاضل سعيد. كيف أسست ماهيناب  
وشهيرة وكثيرون لم يكونوا يعرفون بعضهم صفحاتهم فكانت هذه  
الصفحات هي مفتاح التعاون بينهم. كيف صار لهم معجبون ازدادوا  
حتى تجاوزوا الملايين. لم يعد الوطن في حاجة إلى أحزابه القلبية  
من اليسار والليبراليين التي حاربها النظام كثيرًا وصادر صحفها كثيرًا  
وقبض على أعضائها وقياداتها كثيرًا حتى أرمقها وصارت في النهاية  
خاضعة له على الأقل في زعمائها، وصار وجودها لمعادنة جماعة  
«النصيحة والهدى» شكلاً لا حقيقة، هؤلاء الذين اتفق معهم النظام  
الحاكم أن يطلق أيديهم وسط الشعب ليأخذوا الناس إلى الآخرة  
وينهب أبر الماكر ورجال الدنيا. أربعون عامًا وأكثر ورجال النصيحة

والهدى ينادون بعذاب الآخرة وشاركهم الذين تمسكوا بالماضي باعتبارهم السلف الصالح فاعتبروا أن أزياء الصحراء هي أزياء الإسلام وأن المرأة شيطان وبنوا المساجد تحت البيوت ذريعة لمخالفة قوانين البناء فامتلات البلاد بالعشوائيات وطفحت مجاريها واقتصر هوالها على الخواطي فقط وصارت الجلابيب هي زي الرجال والإسدال والنقاب والحجاب أزياء النساء وأهملت الدولة التعليم ليذهب الناس بعلمون في مدارس «النصيحة والهدى» الخاصة وفصول تقويتهم فلا يتعلمون، وأهملت الصحة لينهب الناس يشفون في متوصفات «النصيحة والهدى» فلم يشفوا، وصار البلد قبل الأخير في التصنيف العالمي للتعليم والأول في التصنيف العالمي لمرضى الكبد والسرطان والفقر. تاريخ طويل لا يريد أن يسرده أكثر، فلينعهم بالهواء البارد ويقول لأبيه المتوفى وللأباء الأحياء جميعاً نحن الجيل الجديد نقدر تعبكم في تربيتنا وإرهاقكم في معارضة النظام واستلامكم في النهاية. افتقدتم انفضاء الافتراضي. تويتر والفيس بوك الذي صار هو حزيننا الحقيقي فلا حاجة لنا حتى للأحزاب السرية. المهم أن تستطيع الدولة العبيطة أن نتابعنا. لقد صرنا مثل النمل ولا بأس فشاب الوطن أكثر من ستين في المائة من الشعب، ولا سبيل لمحونا إلا بمحو الوطن ذاته.

اتبه إلى أن أحنا حقاً لم يخبره بمكان نومه. كان قد نسي ذلك. لكنه رأى رجلاً يقبل على فرس من بعيد وسط الظلام. ظل في مكانه حتى وصل إليه الرجل الذي ترجل عن حصانه وقال:

- لماذا تجلس وحدك حتى الآن؟

وقف يرد:

- أنا ضيف هنا لم يخبرني أحد بمكان نومي ولم أحب ان ازعج  
أحدًا بالسؤال. كلهم ناموا تقريبا.

- تعال معي.

وأخذه إلى مغارة صغيرة وقال:

- هذه مغارة الضيوف. أول مرة تأتي إلينا؟

- أجل.

- إذن ادخل وغير ثيابك ونم. في الداخل جلايب. ملابس هذه  
البلدة فكن مثلنا.

دخل إلى المغارة فوجد مصباحًا غازيًا صغيرًا مضيئًا، وصندوقًا به  
جلايب متعددة الألوان. خلع ثيابه واختار واحدة منها ارتداها وتمدد  
على السرير ينظر في السقف الحجري القريب ويفكر فجأة.. ماذا  
سيحدث غدًا حين يطلب منه الزعيم معالجة زوجته؟ هل يمكن ان  
يهرب الآن؟ لن يستطيع. لن يعرف الطريق وسيكون مصيره للشعالب  
والذئاب تأكله.

في الصباح تناولوا إفطارهم على الحصر المفروشة على الأرض  
كالعادة. جبن وعسل أسود وعسل نحل للزعيم، وخبز جاف صنموه  
في فرن لديهم. شربوا الشاي وتجشأوا وقال الزعيم:

- اليوم موعد سبارة البريد.

وأشار إلى ثلاثة منهم وقال:

- أنتم تتظرونها على الطريق الساعة السابعة. تأتون بها دون  
المال.

كان يسمع الكلام ولا يُدِي أي دهشة. سيعرف كل شيء دون  
منفعة ما دام سيقف هنا. لكن هل سيقف هنا حقًا؟ ماذا لو هرب بنهار  
اليوم؟ قد يكون الطريق أسهل. لكن أيضًا قد يعتبرون الهروب خيانة  
ويطاردونه فيجدونه بسرعة ثم يطلقون عليه النار. لن يعرف أحد أبدًا  
أنه قُتل هنا. ولا حتى شهيرة ستعرف، وإن عرفت لن تجرؤ أن تعلن  
هذا. قريبها مرسال سيكون الضحية إن لم تكن هي. لماذا طاوعتني  
بأشهيرة؟ أما كنتِ قادرة على إقناعي بعكس ذلك؟ أما كنتِ قادرة  
على شرح كيف أنه يمكن أن تكون في المغامرة نهايتي؟ وفوجئ  
بالزعيم يقف ويقول له:

- معي. الآن موعد مناسب تسمع شكوى زوجتي من المرض  
ونكتب لها الدواء المناسب لنشره من البلد.

اصفر وجهه ووقف حائرًا لكن الزعيم كان يمشي أمامه بسرعة  
فمشى خلفه. دخل إلى مغارته. رآها الآن أوسع مما رآها أمس.

كانت الزوجة الشابة جالسة في ركن على مقعد صغير. ما إن رأتها  
حتى وقفت.

- ها هو الطبيب. قولي له ما يتعبك. سنرسل مَنْ يأتي بالدواء.
- وقفت ساكنة. لاحظت نزار أن الق عينيها الذي ظهر له بالليل أمر قد انطفأ قليلاً.
- سمع الزعيم مَنْ يناديه بصوت عالٍ من الخارج. دخل صاحب الصوت بسرعة دون استئذان وبدأ عليه التوتر. قال:
- يا زعيم الحق. الجمل هرب.
- صرخ فيه الزعيم:
- أنتم كلاب. كيف يهرب منكم جمل؟ سأطارده أنا يا بهائم واقله.
- وخرج سريعاً وخلفه معاونه بينما وجد نزار نفسه وحده مع زوجة الزعيم فبدأ يرتبك. قال لها:
- استأذن حضرتك. سأخرج.
- قالت وقد تألفت عيناها فجأة:
- ألن تعالجني يا دكتور؟
- كان يعرف أن بقاءه وحده معها مغامرة قد تكون عاقبتها القتل. قال:
- يمكن أن تبعيني نتحدث في الخارج.



راستدار ليعود خارجاً فقالت:

- انتظر يا نزار.

وقف مذهولاً. كيف عرفت اسمه؟ هل أخبرها به زوجها؟ استدار وقال:

- هل أخبرك الزعيم باسمي؟

قالت بأسمة من خلف النقاب:

- الصحف يا نزار. صودتك في الصحف أيام الثورة تكفي.

أخذه الصمت من المفاجأة، فقالت وهي تُنزل النقاب عن وجهها:

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟ هل خطفوك؟

كان ينظر إلى وجهها الأبيض وإلى جمال ملامحها واكتناز شفيتها. لم يرد فقالت:

- أقصد هل خطفوك كما خطفوني؟

قال في حيرة:

- أليس زوجة الزعيم؟

- لا. هو يحاول لكنني لم أخضع له حتى الآن. هل تريد أن تعرف القصة؟ سأرويها لك.

وأعادت النقاب بسرعة إلى مكانه إذ سمعت صوت أقدام تقترب منهما.



## 13

اكتشف الشاب أن صفحة الدكتور مصطفى على الفيس بوك تعمل رغم أنه انقطع عنها منذ ألقى القبض عليه، وأن صفحة «كلنا فاضل سعيد» التي شارك في إدارتها من قبل قد عادت رغم أنه لم يتم الإفراج عنه وجدد له المحقق الحبس مرتين حتى الآن. بعد انقضاء أول شهر كان لا بد أن يُعرض على المحكمة وفقًا للقانون، فجدد له القاضي دون أن يستمع إليه، ولا إلى أحد من الشاب الذين معه.

قرأ الشاب عل صفحة:

«الناس شافت كينج كورنج في الميدان الكبير لكن الدولة العبيطة تقول إنها مؤامرة من الخارج وأنه ليس حقيقة، بل خرج من الفيلم ليعود إليه»..

وهنا تالت التعليقات:

«المصيبة أن حاكم البلاد بنفسه هو من أعلن ذلك. كلنا نعرف أنه قليل الكلام، وفي المرات القليلة التي تحدث فيها أكد هَبَل الدولة»  
«هناك إشاعات تقول إن أجهزة البوليس ألقت على سكان الميدان الكبير نرقًا من المخدر يجعلهم يدخلون في منطقة الهلاوس، وأنا

أصدق هذه الإشاعات؛ لأن حاكمنا كان نائمًا تلك الليلة في الميدان بعيدًا عن زوجته»

«أنا أريد هذا الكلام لأنني كنت على باب الإذاعة للمشاركة في تسجيل مسلسل إذاعي، ورأيت الحاكم بنفسه يأتي إلى الباب دون أن ينتظره أحد، ولما نظر رجال الأمن إليه قال قبل أن يتكلموا أبوة أنا الحاكم يا بهائم دخلوني أقول البيان»

«أنا أيضًا أريد هذا الكلام فأنا مذبة ورايت كيف حدث هرج في كل الأدوار بسبب دخول الحاكم الإذاعة دون أن يُخطَر بذلك أحد من ليل. لقد منعوا دخول الناس بعد دخول الحاكم»

«قريب لي يعمل موظفًا في أمن الإذاعة أكد لي أن الحاكم شرب فنجاني قهوة قبل أن يظهر في التلفزيون لأنه كان يتطرح. ولما سأله من صيغة البيان قال اكبوها أنتم، ولما اكبوها قطع الورقة واتكلم من دماغه»

«بعيدًا عن الحاكم وما قال فهو الوحيد اللي كلامه بخلي اللي حصل حقيقة، إلا إذا ثبت فعلًا أنه كان بايت عند صاحبه في الميدان انكبر بعيدًا عن الهانم»

«يا جماعة خلونا في الأهم. الدكتور مصطفى بقالة خمسة وأربعين يوم في السجن. خلونا نتضامن معاه ونطالب بالإفراج عنه وعن كل المعتقلين»

«أنا أحمد خشبة أحب أقول لكم إن مصطفى لن يخرج إلا بعد شهرين ونصف كما حدث العام الماضي. الحاكم ومانا في الصحرا ورجعنا سنة لورا علشان ما نصدقش أن كان فيه ثورة وخدروا أعضاءها والأحداث بتعيد نفسها. سنة 2010 استمر حبس الدكتور مصطفى شهرين ونص وأنا متظر القبض عليا النهارده بالليل بعد ما اكتب البرست دابشوية. فاكربين السنة اللي فاتت لما قلت لكم أنا حاسر حيتقبض علي في الوقت دا واتقبض علي فعلاً؟ سوف يحدث مرة أخرى بنفس الصورة لأن الدولة العبيطة رجعتنا سنة لورا»

«أنا مش معاكم في الثورة والاحتجاجات والكلام الفارغ دا لأنكم دمرتم عقول ولادي، واتين منهم في السجن دلوقت بسبب وقفاتكم على الكورنيش. بس عايز أقول لكم يا أولادي اهدوا شربة خلوا الراجل يشتغل. الحاكم بتاعنا والله كويس بس اللي حوالبه ولاد جزمة»

«يا حاج علشان ولادك في السجن بس حنحترمك. الحاكم هو اللي يختار اللي حوالبه ولو هابز يغيرهم حيفيرهم. من ساعة ما الانقلاب القديم حصل ع الملك من سبعين سنة واحنا نازلين في الحفيضر لأن كلام سيادتك أوامر هو الشعار وإلا السجن أو المعتقل»

«يا جماعة حكاية إن إحنا رجعنا سنة ورا في الزمن دي مش ممكن. الحاكم طلب ولقي الخدامين اللي يخدموا عليه. النصيحة والهدى. أنا مثلاً أبويا مات سنة 2010 وما ماتش ثاني السنة دي رغم إنها 2010»



لاوندة في العربية الميكروباس. يا نهار أسود. حافل الموبايل. ف  
لجنة شكلها كابوس زي السنة اللي فاتت. واضح أنهم متيني،

.....

.....

.....

«يا جماعة أحمد خشبة اتقبض عليه فعلاً. خرج من الصفحة وما  
رجعش. عادي. وقموا على البيان وسيوكوا من اللي حصل وكلام  
الحاكم في الإذاعة. لا بد من الإفراج عن المحبوسين وإقالة وزير  
الأمن والأمان ومحاكمة القتلة من رجال البوليس»



انتصف ليل العاصمة. مرت ساعة وتوافد الشباب إلى الميدان  
الكبير يحملون لافتات كثيرة تنادي بإسقاط النظام. كان الجو  
حارًا، فالوقت يقترب من يوليو ورغم ذلك لا سهرانين في الميدان  
ولا سيارات تمر عليه. أقبل الشباب من كل الشوارع الجانبية، وكانت  
الأضواء الصادرة من أعمدة الإنارة العالية تصنع لهم خيالات فوق  
الأرض تجعلهم أكثر عددًا في عيني من ينظر إليهم.

لم يكن في المنطقة غير جنود حراسة الفنادق التي على طرف  
الميدان وعلى النهر الكبير والتي كانت بعض السيارات أمامها. كان  
من الممكن لهم أن يروا ما يحدث في الميدان الخالي. بسرعة اتصل  
الجنود بوزارة الداخلية.

- بيهتفوا بقولوا إيه؟

- كلام كل مرة. الشعب يريد إسقاط النظام.

هكذا مال العقيد مؤثر السهران بالوزارة، وهكذا أجيب. وقف حلف مكتبه بفكر «هذا الهاتف لم يحدث إلا بعد الثورة في زناتة. الثورة في زناتة لن تعود فهناك يمضي كل شيء إلى الأمام. هذا ما جعلني أصدق أن العام لن يعود، وأنا كنا على خطأ فعلاً في حساب السنين. لم أصدق أبداً أنها لعبة لعبها الحاكم ورجاله والإخوة في جماعة النصيحة والهدى ورجالنا في الإعلام. لكن هذا هاتف العام 2011 فكيف به يرجع إلى عام 2010؟ ثم نحن ما زلنا في الصيف. على أعقاب يوليو. فهل حدث تقدم في الشهر جديد. هل هناك قوة أكبر من قوة الحاكم تستطيع أن تأتي بالشهور مبكراً كما يستطيع هو أن يعيد الشهور الفائتة. الله يخرب بيت شفلتنا في البوليس. كله على دماغنا في النهاية ويشتمونا ولاد الأفاعي المأجورين لتورتيللا فلات».

ووقف بفكر ويسأل نفسه: «مين تورتيللا فلات ده؟». ضحك ثم وضع يده على فمه حتى لا ترتفع ضحكته: «اسم الرواية اللي بتقراها سني اليومين دول. مش عارف إيه اللي دخلها قسم إنجليزي في كلية الآداب. ما فيش مشكلة ما دام عمالة تضحك طول ما بتقرا في الرواية. ٧ بنتي اسكتي عيب الضحك دا كله. الرواية حلوة أوي يا بابا. وأعود من غرفتها كالعادة حائراً. هي رواية صغيرة على أي حال. مسكتها



بيدي فوجدتها صغيرة جدًا وبالتالي ستتهي من قراءتها غداً أو بعد غداً. يا لهوي أنا نسيت أبعت فرقة مكافحة الشغب».

لكن دق التليفون ووجد الوزير على الناحية الأخرى يقول له:

- لا ترسل أي قوات. دع الشباب في مكانه. المعلومات التي لدينا تقول إنهم ليسوا بشرًا حقيقيين، وإنهم بمجرد صعود النهار سيختفون.

وقف في مكانه غير مصدق لما يسمع. ما الذي يقوله السيد الوزير هل وصلت الأمور إلى هذه الدرجة من الخلل. هل صار الوزير يؤمر بالحر والشعوذة. يعرف عنه أنه يحضر أحياناً «حضرة» من حضرات الصوفية يعدها له مسؤول العلاقات العامة مع صفوة من الجماعة الصوفية، وصفوة من الممثلات الجميلات وقعن في أسر الحضرة والغياب عن الوعي. لكنه يحضر لهذا السبب، وتقام الحضرة له بعيداً على طريق الآثار في فيللا محاطة بالحراسة الشديدة. ما الذي جرى إذن للوزير؟ هل ينصب له فخاً ليمود بعد قليل يؤنبه، وقد ينقله من عمله إلى عمل أقل قيمة؟ لكنه لا يستطيع أن يكرر كلام الوزير. إذن فليها هو بليته. لقد أهداه الوزير قميص نوم جديدًا كما أهدى زملاءه من قبل. فليستخدمة الآن. لكن من يمكن أن يتصل بها؟

دق جرس الباب فأمر الطارق بالدخول. هذا الضابط الذي يعمل سكرتيراً له يدق الباب دائماً في الوقت غير المناسب. لكن الضابط لم يدخل. دخلت صافيناز عيسى مبتسمة وقالت:



- سعيدة إنك أمرت بدخولي مباشرة.

أدرك أنه بالفعل أعطى الضابط أوامر بذلك وقال وهو يلوم نفسه  
لماذا نسي أنه رتب ليلة رائعة:  
- أهلاً صافي.

ورقف يُقبلها ويضحك، ثم سألها:

- كيف وصلتِ إلى هنا؟ وما أخبار المظاهرات في الميدان  
الكبير؟

- لا توجد أي مظاهرات في الميدان. الميدان خالٍ تمامًا بشكل  
مثير.

- طيب الحمد لله.

قال ذلك وهو يفكر فيمن أرسل يقول إن المظاهرات في الميدان.  
أرجأ حسابه للغد. لكن الوزير أيضًا كان يعرف وقال له أن لا يفعل  
أي شيء. إذن كانت هناك مظاهرات حتى لو كانت أشباحًا كما قال  
الوزير.

- مالك؟

سأله وهي تخرج سيجارة من علبة السجائر وتشعلها وتنفث في  
وجهه دخانها المعتمر بالحشيش.

- هيا إلى الداخل ندخن براحتنا يا قمر.

أخذها من يدها ودلفا إلى حجرة خفية بين الجدران. دون أن يصاد  
أوامر لأحد كان يعرف أن الضابط سكرتيره ومن معه لن ينقصوا عليه  
الوقت. الوزير يعرف فكيف سينقصون هم عليه ذلك. احتاج عمرا  
طويلا ليصل إلى هذه المكانة. خمس وخمسون سنة الآن. ابتم وهو  
يقول: «وهل تريد للضباط الصغار أن يفعلوا ذلك في مكاتبهم؟ كانت  
البلاد خربت رغم أنهم يفعلون والله العظيم»



نوال التعليقات على القيس بوك:

«الشوار في ميدان التحرير. أعداد قليلة لكنها تزداد»

«يا جماعة أنا مش مصدق نفسي. البوليس لم يأتِ حتى الآن  
مضت ساعة كاملة»

«ههههههه أكبر هتاف يتم ترديده يا مرجع الأيام ورا بكرة عيشك  
تبقى خرا»

«أنا واقف في البلكونة وشابف ققط بتيجي من كل الشوارع  
وبعدين نخفي والشباب بيزيد»

«الحكومة بنست يا جدعان. عارفة أنها مش حتقدر تقبض على  
حد لأن كله حينحول لققط ويهرب»

«هي مش حكاية الققط دي كانت خلصت والفيران ملت البلد؟»

«أنا ما بقتش عارفة حاجة في البلد دي. قطة بتتو نو على الباب  
حافنة افتح لها»

«بكرة وزير الأمن والأمان يقول إنه رفض يفض المظاهرات بالليل  
ملشان التظاهر حق طبيعي للشعب واحنا بلد ديموقراطي»

«طبعا ما دا شغلهم. عجزهم بحولوه لفضل علينا»

«طيب وينوع النصيحة والهدى اللي وقفوا موضح القطط دا  
را حوافين ووضعهم إيه دلوقت»

«اللي يسأل عن بتوع النصيحة والهدى أحب أقول له إنهم  
مشغولين بالاستعداد لانتخابات مجلس الأمة، يا ترى حيفقروا على  
إيه المرة دي مع الحكومة»

«أنا لو من الحاكم ما اعملش انتخابات ثاني. صحيح السنة هي هي  
مس انتخابات ثاني وتزوير الدنيا حتولع فعلا»

«يا عم بلاش نصايح للحاكم لياخد بكلامك. إحنا متراقبين. خليه  
يولعها وخفيه يدي الإخوة في النصيحة والهدى على قفاهم ثاني»

«يا جماعة ما دام احنا في 2010 ليه ما سمعنش حاجة عن كاس  
العالم في كرة القدم بجنوب أفريقيا. مش كانت زي دلوقت؟»

«والله عندك حق. دا زي دلوقت يقى فات عليها أسبوعين. حتى  
شاكيرا ما فيش عنها أي أخبار رغم إنها رقصت وغنت في الافتتاح».



وهكذا بلا انقطاع امتلا تويتر والفيس بوك بالتعليقات التي أزعجت  
 سرّي باشا رئيس حماية الدولة ومدير «مُر» الذي أيقظه مساعدوه من  
 نومه يلففونه بما يحدث. مدير «مُر» بدأ يفكر أنه من الممكن أن يكون  
 الثوار قد اكتسبوا صفات جديدة هي أن لا يراهم أحد من السلطة  
 ولا يسمعهم وإلا ما ستر تاخر وزارة الأمن والأمان عن فض هذه  
 المظاهرة حتى الآن. لكنه سرعان ما عاد لمفكرة العام الماضي  
 وأهم أحداثه الداخلية فكتشف أنه في مثل هذه الليلة لم تحدث  
 مظاهرات. هل يريد الحاكم بحق أن يقنعنا بأن العام غير العام الفائت،  
 وإذا كان ذلك صحيحًا فهل يساهم الثوار في هذا الإقناع فلا نراهم؟  
 ارتبك واختلطت عليه الأمور فأمسك بالتليفون وحدث وزير الأمن  
 والأمان «مَم»:

- ما الذي يحدث في الميدان؟

- كما بلغك من تقارير. أنا أيضًا أبلغني رئيس حماية الدولة أن  
 كل التعليقات على تويتر والفيس بوك تؤكد وجود مظاهرات.

- طيب لماذا تتركها؟

- لأننا لا نراها. حتى الضابط الذي أبلغنا بها من قبل قال إنها  
 صارت غير موجودة فهو لا يرى شيئًا ولا يسمع شيئًا.

- وما تفسيرك للأمر؟

- يا سيادة اللواء هذه البلاد صارت خارج حدود العقل . كان على  
الحاكم من البداية أن يرسل الشباب ألف سنة إلى الخلف . كنا ارتحنا  
نحن وأحفادنا في الشرطة .

- كلامك معقول . ولكن ماذا كان يمكن أن يحدث في البلاد حين  
لا تجد أكثر من مليون أسرة أبناءها . هل كانت الثورة ستنتهي ؟ كان  
الشعب خوزقنا على الجبال .

- والعمل الآن ؟

- أنا لا أصدق كل ما يُقال . انزل من البيت وتمر على الميدان  
بفسك لترى الحقيقة .

كان وزير الأمن والأمان «مم» يفكر في ذلك بالفعل . ارتدى ملابسه  
المدينة بسرعة وقاد سيارته بنفسه . كانت الشوارع خالية كأنما يعرفون  
ممروره . الوقت متأخر الآن بالليل حقًا والسيارات والمارة قليلون .  
هذه هي المسألة ولا شيء آخر . سيصل إلى الميدان بسرعة . وبالفعل  
وصل في دقائق من بيته القريب من الميدان . رأى الميدان خاليًا تمامًا  
إلا من سيارات قليلة متوقفة وسيارات قليلة تمر بسرعة وأكثر من لافتة  
ورقبة معلقة على عواميد النور تقول : «لا تركن سيارتك في الميدان  
ولا أحد يعرف متى سيعود كينج كونج»

ضحك وأعجب بالشعب خفيف الظل ، لكنه رأى خيالات بشرية  
تنهر فجأة وتملا أرض الميدان . من أين تأتي ولا أحد على الأرض  
لانعكس خياله . هل يغامر ويقف بالسيارة التي يفودها بنفسه وينظر

لعله يصل إلى مصدرها. فليغامر ويفعلها. بالفعل أوقف السيارة جوار المبنى الإداري القديم الضخم ونزل منها يمشي على مهل إلى الميدان. بعد قليل وجد نفسه يمشي فوق الأخيلة. والأخيلة تترافض تحت قدميه كأنها تتألم. تجعد واقفاً ينظر إليها ثم أسرع يتعد لبظر إلى أعلى العمارات عله يرى أحداً فوقها ويكون ذلك سبب الأخيلة لم يرَ أحداً. أسرع إلى سيارته وأخذ طريقه إلى وزارته القريبة، لك حين ابتعد عن الميدان سمع أصواتاً كالرعد خلفه. نظر في مرآة سيارته أمامه خشية أن يكونوا تحركوا وراءه فلم يرَ شيئاً. إذن من أين ناني هذه الأصوات أيضاً. استدار بسيارته وعاد إلى الميدان فلم يرَ أخيلة ولا سمع صوتاً. أسرع من جديد إلى وزارته وهو خائف أن يكون قد أصابه العتة. يرى ولا يسمع ثم يسمع ولا يرى ثم لا يسمع ولا يرى! حين دخل الوزارة راح كل من يراه يتفرض ويحييه وهو في طريقه إلى مكتبه. ما إن جلس حتى صرخ: «يا مؤثر»، إذ لم يره خلف مكتبه عند دخوله.

احتاج مؤثر وقتاً قليلاً حتى يرتدي ملابسه. كان يسرع وصافي تضحك وتساله مش حستحى؟ وكانت تفكر في اليوم الذي تنقل فيه من «المؤثر» إلى الوزير الأكثر تأثيراً!

ما إن دخل مؤثر وقدم التحية للوزير الذي أدرك ارتبائه إذ رأى سوستة بنطلونه مفتوحة حتى قال:

- اتصل بزفت هالة أورد جازم وأبعت لها عريّة تجيها.

## 14

التقى الحاكم أمير أبو العساكر مع السر عسكر ومدير «مُز» ووزير الأمن والأمان «مَم». كانت هذه رغبة مدير «مُز». قال إن لديه معلومات خطيرة ولا بد أن يناقشها الحاكم مع أصحاب القرار.

جلسوا حول منضلة الاجتماعات الخاصة التي يتصنرها الحاكم الذي قال باسمًا بلا مبالاة لمدير «مُز»:

- قول يا سيدي ما هي المعلومات الخطيرة التي عندك.

سكت رئيس «مُز» لحظة ثم قال:

- أرجو أن يفهم سيادة الحاكم ما أقول بصدر رحب.

- اتفضل يا أخويا. الثورة وخلصناها في يومين. اوعى تقول لي

هناك ثورة ثانية.

من جديد سكت مدير «مُز» لحظات بينما راح الجميع ينظرون إليه

ثم قال:

- نحن في مازق كبير سبه أنا أرجعنا الأيام عامًا إلى الخلف.



صارت نظراتهم أشد دحشة واستطرد:

- الآن وقد انتهينا من أكثر من نصف عام 2010 كل شيء حدث مرة أخرى بحذافيره حتى حكاية فاضل سعيد. وهكذا فالشباب مصممون أن يعيدوا كل شيء كما كان. إنهم يقولون للناس إننا أعداء الزمن عامًا إلى الخلف لم تغير فيه الأحداث ومن ثم يتظرون شهر يناير لتحدث ثورة أخرى. فلنجمعهم على ذلك وخاصة أننا مستعدون كما قلت لكن نغير منها قليلًا لنخب معهم من ناحية ونوفر جهدًا رغم استعداداتنا. ما أقصده هو انتخابات مجلس الأمة. إذا أعدنا الانتخابات وتكون النتيجة أفضل من العام الماضي ولا نزورها كثيرًا نكرر تطلعاتهم. لقد كانت الانتخابات المُزوّرة أكبر عامل من عوامل الثورة.

قال الحاكم:

- عندنا وزير الأمن والأمان يقدر يمنع أي ثورة خصوصًا بعد ما استوردنا له هربات جديدة وأسلحة أشد فتكًا مما كان لدينا من قبل.

ثم وجه حديثه لوزير الأمن والأمان «م»:

- إيه رأيك يا أستاذ يا بتاع هالة أورجازم أنت؟

ارتبك الوزير فقال الحاكم:

- لا تزعل. كلنا نعرف. لست وحدك. كل واحد هنا عنده

أورجازمه.

ضحكوا فنظر حوله وقال:

- الهانم قد نسمعتا تبقى مصيبة.

ثم سكنت لحظة وتساءل:

- قل لنا يا وزير الأمن. هل ستعجز عن صد أي شيء يفعله

البن؟

قال الوزير:

- في البداية أريد أن أعيد التأكيد أننا لم نقل فاضل سعيد. هو

شاب حشاش وأنتم تعرفون القصة لكن جهات أجنبية لعبت في

الحكابة. كما أنني لم أزور الانتخابات إلا بتعليمات من ابن فخامتك،

وكان رأيي أن ينجح بعض المعارضة كدبكور يعني.

قال الحاكم:

- خلاص يا سيدي. عارفين القصة. أجب عن سؤالي.

قال وزير الأمن والأمان «مَم» بعد أن ابتلع ريقه:

- أسهل شيء الآن يا مولاي هو إيقاف أي ثورة. وكما تقول

معاليك لدينا أسلحة جبارة. حتى الغاز المسيل للدموع صار لدينا من

النوع المحرم استخدامه دوليًا.

قال مدير «مُز» للحاكم:

- اسمح لي أقول لفخامتك واسمحولي أقول لحضراتكم إن كل ما يحدث مقدور عليه، لكن الأحداث تعود لأن التاريخ عاد بشهوره وأيامه وساعاته. فلنجرب أن نفضلها بحدث غير متوقع مثلاً.

قال الحاكم:

- طيب. دعنا من الكلام الكثير. ماذا تريد بالضبط؟

- بعد ثلاثة أشهر سيحل موعد انتخابات مجلس الأمة التي جرت في 2010، وفكروا.. في رأي أن نعيدا بتيبة أفضل.

قال وزير الأمن والأمان «م»:

- أنا غير مقتنع بهذا الكلام. الأشياء التي عادت من 2010 هي أشياء صغيرة. أن نعيد الانتخابات سنخلق هدواً جديداً هم نواب المجلس الحالي.

لكن وضع أن الحاكم كان يفكر بنهضة بعيداً حتى قال:

- هناك حل أحسن.

سكنوا يتظرون فقال:

- أن نعلن للناس أننا أخطأنا في الحساب وأنا سنعود إلى التاريخ الذي استبعدناه. بعد أربعة أشهر سنكون في عام 2012 ونحقق لنا تماماً أن الثورة راحت على العبال.

قال السر عسكر:

- وهل يمكن أن نفتح الشعب بتغيير التاريخ مرة أخرى؟ أظن  
سكون الأمر صعبًا يا سيدي الحاكم.

قال الحاكم بانفعال:

- طيب ماذا أفعل لكم؟ لا كده نافع ولا كده نافع. أنا لن أقدر أرمي  
الشعب كله لا قدام ولا ورا. شوفوا نحن لن نأخذ قرارًا الآن. ننهي  
الاجتماع ونتقابل فيما بعد نكون لكرنا بشكل أفضل.

انصرفوا في ارتباك وحيرة وعاد الحاكم إلى زوجته يضحك. دخل  
مها غرفة النوم وقال:

- محتاج أمدد شوية وافكر. مدير «مزة» قلب دماغي.

راح يخلع ثيابه ويرتدي بيجامته الجديدة التي وصلت مع عشرات  
بهرها أمس من باريس خصيصًا له كالعادة، ثم تمدد فوق السرير.

كانت هي قد ارتدت ثيابًا للخروج إلى اجتماع هام في مجلس  
المرأة والأطفال الذي تبناه فقال لها:

- انتظري. أريدك أن تفكري معي.

- مستعجلة يا حاج!

فالت ذلك وهي تضحك ثم خلعت حذاءها وتمددت بملابسها  
الأنيفة جواره. سأله:

- ما الحكاية؟

- مدير «مزر» يقول إن كل شيء حدث في 2010 يحدث الآن في البلد.

سكت قليلاً ثم ضحكت وقالت:

- ليس كل شيء، لكن صدقه وخلاص.

- ماذا تعنين؟ هل تعرفين شيئاً حدث في 2010 لم يحدث بعد الآن علينا إليها.

ضحكت من جديد وقالت:

- أسأل الربير اللي ما بقاش يتهز.

- أنا باتكلم في إيه وانتي في إيه؟

- ألم تسألني؟ ها أنا أجيبك. في 2010 كنت تنام معي مرة كل شهر. هذه السنة ولا مرة.

سكت بهز رأسه. لكزته في صدره وقالت:

- أنت الذي بعيد الناس والأيام إلى الوراء. لماذا لا تعيدنا شيئاً يا أخي؟

سكت قليلاً وقال:

- هنا ما لا أستطيعه. مَنْ أقذفه يرجع على حالته.

- على فكرة أنا قرأت أن هناك أبحاثاً تطيل العمر إلى الأبد في  
لبونثا.

- ماذا تعنين؟

- يعني سيطرة على الجينات تمنع الوفاة والمرض.

- طيب لازم نرسل لهم نحبز مكان في الدواء.

- أنا توليت الموضوع وهم على اتصال بي. لم يصلوا إلى التجارب  
النهائية بعد.

- يا بنت الإيه!

- شفت مراتك بتعمل إيه؟ يعني تخيل نفسك تخطب في الشعب  
بعد 300 سنة من الحكم وتقول لهم حين انتخبني أجدادكم منذ  
300 سنة وعدنهم أن أهتم بأحفاد أحفاد أحفادهم الذين  
هم أنتم.

استدار وأخذها في حضنه وقال:

- طيب ما الشعب نفسه سيطول عمره؟

- لا تخف. أنا مع زوجات الرؤساء والملوك في إفريقيا وآسيا  
محاول إقناع الشركة التي تقوم بالأبحاث أن يكون بيع الدواء للرؤساء  
والملوك فقط.

- أنت جبارة!

وابتعد عنها قليلاً ينظر إليها متحدثاً وقال:

- لكنك لم تقولي لي شيئاً أقنع به ربيس «مُر» بأن هذه السنة رغم أنها 2010 غير الزفة التي يتحدث عنها.

سكت قليلاً تفكر وتساءلت:

- هل 2010 التي مضت كان فيها ديناصور؟

- لا طبعاً.

- خلاص. إذن هذه سنة جديدة غير الزفة التي عملتم اجتمع من أجلها. أقوم لأن فستاني تكسر ولازم أغيره. والله حرام الناس تتظرنني كل هذا الوقت من أجل موضوع تافه مثل هذا، وحرام أيضاً أرمي الفستان دون أن أخرج به، أنا التي تعودت أن أخرج بالفستان مراراً قبل أن أرميه!



## 15

لم يعد أمام نزار إلا أن يطيع شيماء التي قالوا إنها زوجة الزعيم.  
قالت له خلاصاً من الأمر إنها ستخبر الزعيم بشفائها فلا حاجة لها  
بطبيب. لقد ادعت المرض حتى لا يمسا بسوء، واستعرف الآن كيف  
نواجهه. قال نزار:

- سيقتلك.

قالت:

- لا. هو يحتاج إليّ ويتمناني وسيَظر. سأخلق له كل يوم عذراً،  
ونحن النساء نعرف كيف نخلق الأعذار.

وأشارت إلى الكلیم المعلق على الحائط وقالت:

- عزيزة هزت يونس من السجن في زناتة. الفبي لا يفهم معنى  
الرسم الذي على الكلیم. أنا متفائلة به وأنا التي سأساعدك على  
الهروب.

هز نزار رأسه وقال:

- كانت هذه كلمتي يوم قامت الثورة في زناتة. كل المثقفين تقريباً قالوا في الفضائيات والصحف «لاوند ليست زناتة»، أنا قلت عزيزة فتحت باب السجن ويونس سيخرج من السجن في لاوند كما فعل في مصر ايم ومن قبلها في زناتة.

لقد أدهش نزار من قبل أنها كانت تعرفه وأنها كانت تتابع الثورة. بل هي من الثوار في بلدهم. طالبة في السنة النهائية من كلية الهندسة في جامعة أيدوس. صديقتها للأسف سقطت من الشرفة حين حبسها أهلها حتى لا تخرج إلى الشارع. قفزت فماتت. لم تستطع أن تتنظر ولم تقدر المصافة بين الشرفة والأرض. صار الهاتف في الشارع يناديها كأنها تنتظره منذ عشرات السنين هي التي لم تبلغ العشرين من عمرها. أما هي فقد استطاعت الهروب من أهلها. لقد مر اليوم بسلام عليها وحين عرفت في مساء اليوم التالي مع زملائها أن الثوار تركوا الميدان الكبير عادوا هم إلى بيوتهم مقهورين. سألتها نزار:

- وهل صدقتم أننا تركنا الميدان الكبير؟

- في البداية نعم وشعرنا بالقهر لكن بعد ذلك عرفنا كل شيء.

- عرفتم أنهم خلدونا بغاز من الطائرات وألقى بنا الحاكم في

العام القاتل.

- عرفنا كل شيء.

- يعني تعرفون أن هذا العام ليس 2010 وأنها لعبة مقيّنة من النظام.

- كل شيء. حتى هروبك هنا نعرف أسبابه. تريد أن تثبت للنظام أنه على حق وأن هذا العام ليس 2010 الذي مضى حين يرى أن المقبوض عليهم ليسوا كلهم من سبق القبض عليهم فيطمئن أن العام القادم لن يحمل ملامح 2011.

- من قال لك هذا كله؟

- شهيرة.

- إذن شهيرة تعرف أنك هنا؟

- لا. ولا أهلي. أنا هنا منذ يومين فقط. قلت لأهلي سأسافر إلى العاصمة، خطفوني في الطريق. ربما غدا يطلق أهلي حين لا يجدوني اتصل بهم بالموبايل.. ستكون مرت ثلاثة أيام بلا اتصال.

- إذن لا بد أن تهربي غدا على الأكثر.

- لا تقلق. دعني أنا أخرج معك حتى نهرب معًا. ولو تأخرنا أكثر يكون أفضل، نحقق فكرتك.

- لم تعد فكرتي تروقني الآن يا شيماء.

سكنت لحظات ثم قالت:

- أنا سعيدة هنا.

ابنم وقال:

- هل هذا معقول؟

قالت:

- أفضل من السجن.

- لكنك مخطوفة وهم عصابة فظيعة.

- لم يخطفوني بمزاجهم. تعليمات مدير الأمن في المحافظة لهم.

إخفوا هذه البنت بعض الوقت.

كان هذا الحوار بينهما يوم التقى بها وغاب زوجها وراء الجبل. لم يجد فرصة مرة أخرى ليتحدث معها. اكتفى بأن يلقي عليها تحية الصباح إذا ظهرت خارج المفارة. ترك لحيته تطول وهو يرثي الجلاية، وكان يدعو الله كل يوم أن لا يمرض أحد آخر ويطلبون من العلاج.

منذ ساعات حضر لقاء الزعيم مع رجاله. قال الزعيم:

- لم تشرقوا عربة البريد في الموعد الذي أخبرتكم به. قلت لم

تأت في الموعد، لكن أحدًا منكم لم يعرف الموعد بعد.

قال أحدهم:

- ولماذا البريد؟ هناك عربة نقل أموال ضخمة تتحرك من البنوك

كل أسبوع. لماذا لا نخطفها فتكون ضربة واحدة وإلى الأبد.

وقال آخر:

- ومدير الأمن لن يطلب الكثير.

سأل الأول الزعيم:

- أفضل شيء أن تعرف منه موعدها.

أجاب الزعيم:

- أنا لا. لا أسأله في شيء من هذا ولا يراني إلا نادرًا. ثم إنني أريد

أن أتزوج شيماء على منة الله ورسوله.

نظر إليه نزار ثم غص الطرف بسرعة. لقد أخطأ الزعيم وأعلن

امنه أنها ليست زوجته. لم يندهش أحد من الرجال. هم يعرفون

طبعا. انهم أن الزعيم لم يلاحظ نظرتة إليه.

قال نزار:

- أفضل شيء أن تتظروا عربة البريد يومًا كاملاً. نهارًا وليلاً.

ولا بد أن تمر في ساعة معينة من اليوم.

نظروا إليه معجيين. كيف فاتهم هذا؟ قال الزعيم:

- والله يا دكتور تنفع زعيم بدلاً مني.

ضحكوا كلهم وابتسم نزار فقال الزعيم:

- خلاص. من صباح بكر تتظرونها حتى صباح اليوم التالي.

قسموا أنفسكم على ساعات اليوم. لا أريد أن يكون هنا غيري وغير  
الدكتور ومن يعود منكم في مواعده.



تمددت ماهيتاب ونورها ن على الأرض. كل منهما على مرتبة  
لا يزيد ارتفاعها على خمسة سنتيمترات. كانت لكل منهما بطانية  
واحدة. الجو حار ولا يستخدمانها كثيراً. لا هما ولا بقية بنات ونساء  
العنبر اللاني كان عددهن عشر سجينات من المدينة الساحلية فاروس  
فقط. لم تكن بينهن السيدة إكرام التي هفت من البلکونة. كن يعرفن  
أنها في حبس انفرادي.

كانت ماهيتاب تشد بصوت هادئ ما ظلت تحفظه من قصيدة  
تعشقها:

ومثيت في الليل

خجلان مكشوف

إكمن الليل عريان مكشوف

أفراح الناس

وجراح الناس

على صدر الليل عنايد وصفوف

وعيون الليل والضلمة جبال

فاردين على وش السما هريال  
الماظ مبلور  
في كاسات بنور  
بفرش للتورع الأرض خيال.  
وسكتت ماهيتاب قليلاً ثم عادت تشد في شجن وتأمل عميق:  
الشارع نايم تحت جناح الليل همدان  
وعيون التور  
تعبانه بتنصرع العملاق  
والكون ملفوف  
بعباية  
نسجها الليل بالخوف  
وف بحر الظلمة رأيت على بعد  
نسج  
حلفت بعيني  
لقتها بمامة وكاسرة الطوق  
وسكتت مرة أخرى لحظات أغلقت فيها عينيها لتعود:



مبني

ورميت مع المحلو سلام

قالت سلامين

أنا قلت لو حلتك ليه يا حمام

ووليفك فين

مالك بالليل ورجال الرعب

خليك يا حمام

هابش للحب

شالت بجناح

حطت بجناح

ورتنى جراح

نحت الجناحين

وقالت لي

زمان الحب ما راح

ويلى لنا سنين في الليل ضايعين

وصمت من جديد وظهر في عينيها حزن سرعان ما تحول إلى

عزم، ثم تابعت الإنشاد ونورها ن تأملها في دهشة وتأثر:

وقالتها وطارت في ثواني  
وانا شارد وخيالي يصور  
وغمزني الفجر وصحائي  
ولقيت الكون بادي بنور  
وصحيت من غفوة سرحاني  
على صوت يقول  
الله أكبر

ومكنت ماهيتاب لحظات طالت فقالت نورهان:  
- هذه القصيدة عظيمة جداً.

كانت دموع تترقق في عينيها. أما ماهيتاب فقد جففت دموعها  
براحة يدها وقالت:

- أنا آسفة. المفروض نكون أقوى من كده. معلىش.  
قالت نورهان:

- لكن الدنيا فعلاً هس هس كأنه لم يوجد قبلنا بشر ولا حياة.

ودخلتا في صمت مفاجئ حتى تساءلت نورهان:

- هل حقا ذكرك الصمت الذي حولنا بالقصيدة؟ بخيل لي أنك  
نعمين قصة حب.

سكت ماهيتاب لحظات ثم قالت:

- لماذا والحياة ممثلة بالشباب يتعلق القلب بشاب واحد  
لا جدوى من حبه؟

ابتسمت نورهان. تألفت عيناها ثم سألتها:

- إذن كما توقعت. هل الأمر سر؟

سكتت ماهيتاب فقالت نورهان:

- نزار؟

- مصطفى.

ركزت نورهان عليها النظر في دهشة وتساءلت:

- مصطفى الذي نقول عنه جميعًا إنه أخونا أكثر من أي شيء آخر؟

- ربطت بيننا صفحة كلنا فاهل سعيد والتفت به مرة وحدي في

لاوندة. قال لي إنه يحبني.

- قال لك ذلك فعلاً؟

- هذا ما جرى. وأمضينا يومين من أجمل أيام عمري. شقنا مينما

وشقنا مسرح وأكلنا في مركب على النهر وحسبت أنني طابرة من

الفرح. ولما عدت لفاروس أرسل لي على الخاص في الفيس بوك

يعتذر صمًا جرى. قال لي لقد كان ما جرى اندفاعًا وعندما عاد إلى

البيت فكر أنه مرهون للاوند. للثورة. بعد أن تنجح الثورة يمكن أن  
ينجح الحب

كان العبر ممتدًا أمامهما طويلاً عريضاً يمكن أن يسع ثلاثين فردًا  
لكنهن عشر فقط وعلى الأرض يدون نبات منذ أزمان، ولا توجد  
موافد غير نافذتين أعلى الجدار المقابل، هما عبارة عن مستطيلين  
يرتفع كل منهما عشرين مترًا خاليًا إلا من خواير معدنية متفرقة  
على طوله الممتد مع طول الجدار. قالت نورهان شاردة تفكر في  
ماهيتاب:

- الحمد لله أننا ما زلنا في الصيف. في الشتاء هذه الفتحة رغم  
طبقتها يدخل منها برد شديد. لكن هل تعرفين الشاعر أحمد فؤاد  
نجم؟

- لا. قرأت له فقط.

- هل تعرفين متى كتب هذه القصيدة؟

أجابت ماهيتاب:

- لا.

قالت نورهان:

- كان مرة هربان من البوليس في بلدهم مصر ايم. زهق من حبسه  
في البيت. بيت بعيد في منطقة خالية تقريبًا من السكان. هل تعرفين  
من خبأه هناك؟ سعاد حسني قبل أن تأتي من «مصر ايم» لتعيش في

بلدنا. في ليلة زهق من الوحدة، ترك البيت وجاء إلى نصف العاصمة.  
عاصمة بلدهم مصر ايم. وقف في ميدانها الكبير عند الفجر والدب  
هس هس ولا أحد في الطرقات ووجد نفسه يردد هذه القصيدة. هي  
أطول مما قلت.

- أعرف. هذا ما أحفظه منها لكن كيف عرفت هذه الحكاية؟

- قابلته مرة عند ناس في سهرة. كان يزور لاوندة بعدما كان  
مسنوحًا من السفر في مصر ايم. جاء يزور مقبرة سعد حسني بعد ما  
ماتت ا كنت قرأت القصيدة قبل أن ألقاه. قلت له قصيدة الليل من  
أجمل الشعر الذي قرأته لكنها غير مشهورة مثل اشعارك في الثورة.  
سألته كيف كتبها. حكى لي الحكاية.

سكنت نورهان قليلًا وابتسمت ابتسامة سعيدة ثم قالت:

- ظل طول السهرة واخذني إلى جولته وفراعه على كني.

- للأسف لم أقابله، نحن في فاروس محرومين من كثير مما في  
لاوندة. العاصمة تختلف طبعًا وأنا دائمًا أحدكم رغم أن مدينتنا  
كانت عاصمة العالم في يوم من الأيام.

وسكنت ماهيتاب قليلًا ثم قالت:

- ورغم أنني قلت شعر من قصيدة الليل أعرف أن كلها عدة أيام  
ونخرج كلنا. لكن هل تعرفين ما يشغلني؟

- لا؟

- أنك لم تكوني معنا العام الماضي ومن ثم يمكن أن ينسوك هنا.

- لا. ما دمت عُرضت على النيابة إذن سأعرض على المحكمة معكم.

- صح.

فأنت ماهيتاب ضاحكة ثم أردفت وهي تضحك أيضًا:

- العام الماضي حين قبض علي لم يكن أحد من البنات يسهر معي مثلك. في ليلة شعرت بأنها لن تنتهي ناديت على الحارسة وطرقت الباب من الداخل بقوة. الغريب أن لا أحد من النائمين استيقظ. وصلت الحارسة تسألني في فزع من شرّاعة الباب الصغيرة: «فيه إيه هابنت الكلب». قلت لها: «خلي عند أمك دم واقضي اتكلمي معايا ضوية».

ضحكت نورهان واستطردت ماهيتاب:

- السجن خبرة كبيرة جدًا خصوصًا عالم الجنائيات. شيء يفوق العقل من العذاب.

- لا تحكي لي أنا أعرف كل شيء. هل نيتي يا بنت إني رد سجون؟

ضحكتا من جديد. ساد صمت لحظات ثم تساءلت نورهان:

- لقد قبض على جميع زميلاتنا ما عدا نزار حتى الآن.

- أكم تربه قبل اختفاله؟

- قال إنه سيذهب إلى شهيرة في الجنوب. وآخر خبر وصلنا في زيارة اليوم أن شهيرة قبض عليها في الصباح.

- كانت زيارة مهيبة. جابروا لنا الخبر المهبب معاهم.

- الغربب أن شهيرة لم يقبض عليها العام الماضي. لم يقبض عليها أبنا من قبل.

- يا بتي الدولة عايزة تفهمنا أن ما نعيشه أيام جديدة وأن ما مضى لن يعاد لكنها وقعت في شر أعمالها.

ضحكت نورهان وقالت:

- المدهش أن نزار يريدهم أن يعتقدوا ذلك أيضًا حتى بطمتموا أنه لن توجد بناير جديدة. يعني هم يحفرون قبرهم كالعادة بأيديهم.

- لو يفهمون كانوا جعلوها 2012.

ردت نورهان:

- تريدن أن تزدي في عمرنا سنة بالمجان!

ضحكتا ثم سكتا قليلًا. قالت ماهيناب:

- تعرفي أنه كان يمكن أن لا تكون لنا مشكلة مع الشرطة لو

ابتمدت الشرطة هن السياسة.



سكتت نورهان قليلاً وقالت:

- هذه هي المشكلة. لقد تابعت الصفحة التي أنشأها بعض الضباط على الفيس بوك.

- صفحة «الناشر في السياسة»؟

- أجل. وفكرت أننا لا بد نشجعها.

- أنا كمان فكرت في هذا. بعد أن نخرج لا بد أن نشجعها.

.. ممكن. المهم أن لا تغلقها وزارة «مم».

ضحكتا. ثم عادتا إلى الصمت قليلاً حتى قالت ماهيتاب:

- لا أدري كيف حدثتلك بما جرى بيني وبين مصطفى. رجائي منك أن يظل الأمر سرّاً بيننا. لقد انتهت القصة.

عاد الصمت من جديد. أخذت نورهان رأس ماهيتاب في صدرها ثم تركتها وتشاءبت. ضحكت ماهيتاب ثم قالت:

- وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

قالت نورهان:

- أفهم من هذا أننا ستكلم في غير المباح.

ضحكتا والنفت كل منهما ببطانيتها ونامت.

\*\*\*

جاء أمر عاجل من النيابة بالإفراج عن أحمد خشبة والدكتور مصطفى. فتح جندي الحراسة باب العنبر ونادى عليهما وقال: إفراج. نظر إليهما بقية زملاتهما مندهشين ثم ضحكوا وصفقوا ووقفوا يزفونهما قبل الخروج:

- واحد يا ورد. اثنين يا قل. ثلاثة يا ياسمين. أربعة يا أجده ناس طيين. خمسة بلدنا لينا مهما حاولوا الماخيطة...  
وارتفعت الضحكات عالية والجندي واقف والسخرية في عينه يقول:

- أهو كل ما واحد ياخذ إفراج أسمع العبط دا وبعدين ترجعوا ثاني. يا أولاد العبيطة كفاية بهيلة ليكم ولأهاليكم.  
ضحك الجميع وانصرف الجندي بعد أن أغلق باب العنبر ومشى معه أحمد ومصطفى إلى مكتب المأمور الذي استدعوه من منزله وسط الليل. ما إن رأهما حتى قال:

- أهضاً مثل العام الماضي صحتوني في نص الليل لأخرجكما.

صار وزير الأمن والأمان «مم» مهمومًا. ليس بما يحدث في البلاد لكن لأن سؤالاً أرق عليه ذهنه وهو لماذا لا تكون له ميزات مدير «مزر» فتخرج الثعابين من بين يديه ونخرج أيضًا من عينه قنائف من لهب. ولماذا لا يكون هو وليس الحاكم سي الألفاظ، مَنْ يستطيع أن يلقي بالناس في أي زمن يريد؟ فكر كيف لم يكن يعرف هذه الميزة في «الحاكم» إلا هذا العام بعد أربعين سنة له في الحكم معه. وكيف كان يسمع ذلك عن مدير «مزر» لكنه لا يصدق لأنه لم يرَ بعينه. هو الذي يعمل على استقرار البلاد لينعم الحاكم بالحكم وليتفرغ الجيش لمراقبة الحدود، فلماذا لا تكون له هذه الصفات وأحسن منها أيضًا؟

كان في الغرفة الخاصة به في مبنى حماية الدولة ممددًا على السرير الواسع وأمامه هالة أورجازم تغير قميص نوم بعد آخر لتعثر على واحد منها. لم يكن متبهاً إليها لأنه في لحظة فكر أنه آن الأوان أن يخلص منها. غيرها كثيرات ينتظرن في الطرقات. وحين سأله: «لم نفلني أي قميص نوم تفضل اليوم؟»، قال لها أن ترتدي ما تشاء فليس لديه الرغبة الآن، كما أن الفياجرا الخاصة به، والتي تُصنع له وللحاكم

ورجاله الكبار خصيصاً في مصانع الدواء الكبرى في سويسرا، لم يصل منها شيء جديد. لقد نفذ ما لديهم إلا قليلاً جداً عند الحاكم نفسه الذي يخفي عنهم أنه لا يمارس الجنس بعد زوال البروستاتا، وهو لا يستطيع أن يطلب ذلك منه، ليس لأنه سيرفض بل لأنه سيفكر كيف حقاً يقوم وزيره بممارسة الجنس أكثر منه هو الذي لا يمارس الجنس أصلاً، ستكون مصيبة!

قال لها:

- تعالي إلى جواردي على السرير لكن لا تفكري في شيء منفعة اليوم.

تمددت جواره ضاحكة ومالت عليه تحفضه فتركها تقرب بجسدها الممشوق من جسده. قالت:

- طيب اخلع بيجامتك علشان يكون الكلام حلو.

- قلت لك لا تفكري في جنس اليوم.

قبلته وقالت:

- طيب. ما الذي يشغلك إلى هذه الدرجة؟

- أريد أن أكون مثل أبو العاكر.

نظرت إليه بدهشة:

- تحكم بدلاً منه؟ تعمل عليه انقلاباً؟

- لا. نحن لا نعمل انقلابات. الانقلابات تعملها الجيوش.
- إذن ماذا تقصد؟
- أريد أن يكون لدي القدرة أن ألقى بالناس إلى زمن بعيد. أو حتى إلى المستقبل.
- نظرت إليه في دهشة أكبر فقال:
- هناك ما هو أخطر. مدير «مُز» تخرج من بين أصابعه الشعابن نمشي على الأرض تفكك بأي معارض له لو أراد.
- ثعابين؟!!
- أجل وهذا سر نجاحه في عمله ونمك الحاكم به.
- اعتدلت وجلست فوق السرير مربعة ساقيها وقالت:
- أنا في ذهول.
- لا بد أن أكون مثلهم. عندي شكوك أن الديناصور الذي ظهر في الميدان من أصائلهما.
- لإرهاب الثوار؟
- لا طبعًا. الديناصور حطم عرباتنا وألقى بجنودي إلى النهر.
- شوف يا حيي. لو الحاكم يريد التخلص منك سلقني بك بعيدًا أو يرأف بك ويقلبك من منهبك. لن يحضر إليك ديناصورًا لأن جنودك وعرباتك حماية له.

- تقصدين أنه مدير «مُز»؟

- ولا هذا أيضًا. هي البلد كلها فيها سحر. لكن.

- ماذا؟

- أنت لا تشم برفاتي الجديد.

- أنا مشغول بما قلته لك، لكنه على أي حال جميل.

- طيب تحب تشوف أنا عملت إيه في حبيك؟

- أي حيب؟

أشارت بين ساقها وقالت:

- هذا. هات إيدك هات.

ومدت يدها نحب يده فجذبها وقال:

- قلت ألف مرة النهارده لا. فكُري معي أو اتركي.

- طيب. خلاص. سأفكر معك. أمامك طريقان. إما أن نلجأ

لأصحابك المتصوفين فلا بد أن لديهم معرفة بالكرامات. أجل. ما

يفعله الحاكم ومدير «مُز» كرامات.

- شايعة كده؟

- طبعا.

- كرامات لأذى الناس؟

- سَمَّها كما تشاء.

- وانظريق الآخر.

- أو نصل إلى البنت الشامية التي تشبه معاد حسني. ومن بدري ربما تكون معاد حسني نفسها هادت إلى الحياة. لا نَسَ أنها صحتكم.

- هي ضحية المخابرات في بلدها ولنا نحن.

- يعني أنت عارف أنهم قتلوها!

- غير متأكد. لكن أقصد قبل ذلك. في بداية حياتها الفنية استخدموها كثيرًا. ويمكن تكون فعلًا انتحرت لما تعبت وتخت ونغير شكلها. لكن كيف أصل إلى البنت الشامية؟

نزلت هالة من فوق السرير وراحت تخلع قميص النوم وترتدي ثيابها وتقول:

- ابدأ بمعاد حسني. اذهب إلى قبرها وطلّع فلوس كثير لله ولذبح ذبيحة واتين واطلب منها تعطيك كرامات الحاكم ومدير المخابرات.

نظر إليها بدهشة شديدة فقالت:

- باي باي يا جدو.

نظر إليها في غيظ فقالت:



- حاقول لك ليه غير كده النهارده. دا اللي صرفته على «حيك» بسد عجز الموازنة لي البلد ا عليه العرض.

ضحك وارتفع صوت ضحكه وقام يخلع بيجامته ويرتدي ملابس ويقول:

- اريد ان اسالك: كيف حقًا لم تلعب دورًا كبيرًا حتى الآن؟ كيف لم تكوني نجمة التمثيل؟

- كنت فاكهة ان شكلي وجسمي سيفتحان لي الطريق. لافيت الحكاية موهبة وياما ممثلات وحشة صارت نجيمات.

- اول مرة احرف ان النجومية موهبة.

- كلهم مثلك. كل اللي نام معايا قال لي النوم حاجة والفن حاجة لذلك جئت لك. كنت فاكراك متاعدي لافيتك مثلهم. تاخذ اللي نفسك فيه وتنسى.

ضحك وقال:

- انتظري حتى ياتي الضابط ينقلك بسيارتي إلى بيتك.



في صباح اليوم التالي كان العقيد مؤثر يقف أمام وزير الأمر والأمان «مم». سأله الوزير:

- هل تعرف أين توجد مقبرة سعاد حسني؟

اندحش العقيد مؤثر للحظة ثم قال:

- الممثلة يا افندم؟

- طبعًا. هل هناك غيرها؟

- معروفة يا افندم.

سكت الوزير لحظات ثم تنهد وقال:

- طيب غداً تشتري ثورًا معتبرًا وتذبحه هناك وتوزعه على  
الغلبة.

- لكن ما المناسبة؟

- ما فيش مناسبة. مزاجي كده.

تردد العقيد مؤثر ثم قال:

- المسألة تحتاج إلى احتياطات يا افندم. يعني مثلاً أنا لا يمكن  
العمل هذا وأنا بالزى الرسمي. أي شخص معه موبایل يمكن أن  
يصورني دون أن أشعر وينشر الصورة على الفيس بوك والناس نال  
ما علاقة وزارة الأمن والأمان بعماد حني.

قال الوزير:

- نصرف كما ترى. المهم تدبّع الثور غداً عند القبر وتوزعه بأي  
طريقة. تفعل ذلك ثلاثة أيام متوالية تبدأ من الغد. انصراف.

تحرك العقيد مؤثر خارجاً ثم توقف واستدار وقبل أن يتكلم قال  
الوزير:

- ثمن الثيران والعملية كلها من صندوق خدمات الشرطة..  
وابتم وقال:

- بضاعة أتلها الهوى!

خرج العقيد مؤثر بينما قال الوزير لنفسه: «أنا عارف أن هذا كلام  
فارغ لكن أنا كنت أحب سعاد حسني وكنت أتمنى دائماً لو كنت في  
بوليس بلدها أيام الشباب».

لكن العقيد مؤثر ما لبث أن عاد بعد دقائق متوتراً وقال:

- مظاهرات كبيرة يا أفندم في الميدان لشباب النصيحة والهدى  
رافعين المصاحف ورافعين يقط وشعارات دهنية.

انتبه الوزير. نظر إليه لحظات لا يتكلم ثم قال:

- اطلب لي زفت الشيخ شمعدان. وشرف أمي لأجعله يرقص  
بالشمعدان في الكباريهات.



نصف ساعة وكان الشيخ شمعدان في مكتب سرّي بك فايز رئيس  
حماية الدولة الذي استقبله واقفاً ثم جلس الاثنان. سرّي بك خلف  
مكتبه والشيخ شمعدان أمامه. قال سرّي بك:

- الوزير كلمك بنفسه لكن طلب مني أن أجلس معك. أمامك شيء من اثنين. إما أن تصدر أوامرك من هنا لرجالك أن يتركوا الميدان، وإما لن نعود إليهم وسنقوم قوات فض الشغب بفضهم بمنتهى القوة. أرواح رجالك في عنقك.

ابتسم الشيخ شمعدان الذي حرص على أن تكون المصباح الكهربائي معه. راح يُسِّج بصوت غير مسموع ثم قال:

- أتم يعرف الوزير أنني صرفتهم بالفعل قبل أن أتحرك من البيت؟ نظر إليه سرِّي بك مندهشاً بفكر وما معنى اللقاء بهذا الرجل الآن، ولماذا كلفه الوزير بذلك؟ قال:

- هل ممكن أعرف لماذا نزلتم إلى الميدان؟

قال الشيخ شمعدان:

- إذن استعنا بالله. المسألة بياطة أنه في مثل هذا الشهر هام 2010..

قاطعته سرِّي بك:

- هل هناك 2010 أخرى غير هذه؟

ابتسم الشيخ شمعدان وقال:

- دعك من هذا الحديث. كلنا نعرف الحقيقة.

حملق فيه سرِّي بك فاستطرد الشيخ شمعدان:

- في مثل هذا الشهر اتفقتم معنا على مئة مقعد في مجلس الأمة.  
ثم خذلتمونا وزورتم الانتخابات ولم نحصل على مقعد واحد.  
لا تضايق مني. هذه حقائق.

- ماذا تعني بهذا الكلام؟

- ما دمنا لعبنا معًا ورجعنا بالتاريخ سنة ورا إذن ضروري نعيد  
الانتخابات وننفذ اتفاقنا السابق الذي لم ينفذ.

ضحك سرّي بك وعلا صوته:

- حضرتك عايز الحاكم يحل المجلس الحالي ويدعو لانتخابات  
جديدة وتنجحوا فيها؟ حضرتك طيب جدًا. اللي راح راح يا معلم.

سكا لحظات أطرق فيها الشيخ شمعدان إلى الأرض ثم قال:

- ارفع طلبي للوزير يرفعه للحاكم.

- أنا أقول كلامًا أعرفه. هنا موضوع تمت مناقشته في دائرة مغلقة  
بين الحاكم ورجاله. كان اقتراحًا من مدير «مُز» ورفضه الحاكم في  
النهاية. لاحظ كلامي. مدير «مُز» وليس شخصًا عاديًا.

- والله ما دام الأمر كذلك فلن أستطيع منع الشبان من النزول  
إلى الميدان مرة أخرى. هذه رغبة كل قواعدها. أنت تعرف أنا  
ديموقراطيون.

ضحك سرّي بك وقال:

- طبقًا. ديموقراطيون جدًا! اسمع. أنا سأتركك تعود إلى قواعذك  
رساخبر الوزير بكل ما قلت، لكن عليك أن تعرف أن هذا لن يتم.  
الميدان مفتوح وخلي شبابكم ينزل يرفع المصاحف. نحن بحاجة  
إلى مصاحف كثيرة نوزعها على الناس في الجوامع. تفضل.  
وأشار إليه بالخروج فخرج الشيخ شمعدان مسرعًا.

## 17

صرخ الشيخ شمعدان في أعضاء هيئة مكتب «النصيحة والهدى»:

- قلت لكم هذه مغامرة فاشلة. قلت لكم لن يستمعوا إلينا، وأر هذا الحاكم عنيد لن يتراجع في قراره.

قال الدكتور شعبان محمد الطيب العالمي:

- كان يمكن بقليل من الضغط، أنت الذي طلبت أن يترك الشباب الميدان متصورًا أن الوزير سيستمع إليك.

قال المهندس زكي فاضل:

- لو استجابوا إلينا كنا سنكسب الانتخابات ونقول للناس إن رئيسنا مجنون يلعب كما يشاء في الأيام والشهور وإنا وافقناه لنكسب حقنا الذي أضاعوه علينا.

قال الشيخ شمعدان ساخرًا:

- وما دام قد عاد إلى التاريخ الخطأ وجدناها فرصة أن نعيد الأمور إلى نصابها ونخوض الانتخابات وننجح. نحن انتهازيون جدًا. أليس كذلك؟



قال أستاذ الحقوق الدكتور ميسرة عبد الله بهدوء:

- لا داعي للتوتر. ما جرى قد جرى. المهم الآن هل ستوقف أم  
سأمر الشباب مرة أخرى بالتزول إلى الميدان؟

قال الشيخ شمعان:

- الآن لا بد من الميدان. هم أجبن من أن يهاجمونا لأنهم يحتاجون  
إلينا.

ابسم شعبان محمد الطيب العالمي ساخرًا:

- انزلوا الميدان يا شباب. اتركوا الميدان يا شباب. انزلوا مرة  
أخرى يا شباب. هذا ليس سمعًا ولا طاعة. شبابنا ليسوا عبيدًا وابدأوا  
بسرّبون منا.

فكر الشيخ شمعان قليلًا ثم قال:

- دعك من العاصمة وشبابها الآن. لدينا عشرون محافظة. ابدأوا  
بمدن الجنوب بعد غدٍ ثم مدن الشمال في اليوم التالي وهكذا كل يوم  
حتى يتجيب هذا النظام لنا.

حطّ عليهم الصمت. كانوا يفكرون في صحة ما يقول. اعتبروه  
دلائلًا مقنعة ويمكن تنفيذه. لكن شعبان محمد الطيب العالمي قال:

- مسألة تحول الشباب المقبوض عليهم إلى قطة انتهت. إنهم  
بمصدرون أناس الذين فعلنا ذلك. سيكشفون عندما يتم القبض على

شبابنا أنهم لم يتحولوا إلى قطة ومن ثم سيكتشفون كذبتنا وسبكر  
اعتقالهم لنا كيفاً جدياً.

قال الشيخ شمعان:

- من قال لك إن توقف تحول الشباب إلى قطة لم يكن لنا فيه يد.  
وماذا فعل ألف خان إذن؟

نظروا إلى بعضهم جميعاً في حيرة فقال شعبان محمد الطيب  
العالمي في استسلام وقد أدرك أن الشيخ شمعان قد خدعهم وجعل  
ألف خان يوقف تحول الشباب إلى قطة:

- إذن دعه يعيد الأمر إلى حاله مرة أخرى وبسرعة.

قال الشيخ شمعان مبساً:

- رثيت معه كل شيء.

نظروا إليه بإعجاب فقال:

- وأخفيت في مكان جديد لن يصلوا إليه فيه أبداً، ولن أظهر قرب  
لهم مهما طلبوا مني. من الآن ترك ألف خان البلاد وعاد إلى راجستان  
لا بد أن يعرف الجميع ذلك.



كان الزعيم حمدان منفعلاً وسط الظلام وحوله رجاله بين الجبال  
وهو يب فيهم بينما كان تزلز يتسم ولا يظهر ابتامته.

- كم يوماً تتظرون عربة البريد الآن وفي النهاية تأتون لي بعربة  
بهدايا طيب أطفال.

قال أحدهم:

- يا معلم هي نفس الماركة ونفس النوع. هل كنا نتركها؟  
- طبعاً لا. لكن عرفتم أنه طيب أطفال لماذا لم تتركوه في  
الطريق؟

قال الثاني:

- لقد كمنا وجهه ومنعناه عن النطق ولم نعرف مَنْ هو وأسرعنا  
بالسيارة إلى الجبل. لم يكن لدينا وقت للحديث معه ولا لتركه في  
الطريق لأن الصدفة جعلت موكبنا المدير الآمن يمر من نفس الطريق.  
حسبك تشكرنا أننا استطعنا أن نهرب به دون أن يلحظ ذلك أحد.

- طبعاً. لماذا لا أشكركم؟! الآن أصبح لدينا اثنان لا حاجة لنا  
بهما.

ارتبك نزار ثم قال:

- الطيب لم يَرِ أحدًا حتى الآن يا زعيم، ومن ثم يمكن أن نأخذوه  
في وسط الليل أو في الصباح كما هو مخطط لا يرى ولا يتكلم إلى  
طن الجبل وتتركوه هناك قريباً من الأسفلت.

- هذا ما سأفعله. الصباح رباح. كله يذهب لينا.

قال الزعيم حمدان ذلك فقال نزار:

- وإن كنت أفضل أن يبقى.

نظر إليه الجميع في دهشة وسأله الزعيم حمدان:

- ولماذا؟ ما فائدته؟ لا أطفال لدينا وشكله مسكين أهله في انتظاره.

قال نزار:

- طيب الأطفال يفهم أكثر في أمراض النساء. على الأقل لم  
كشف على امرأة لا تتحي منه.

قال الزعيم حمدان بانفعال:

- إيش يعني يكشف عليها. يسألها وتجاوب ويكتب لنا اسم  
الدواء.

قال نزار:

- أنا قلت لحضرتك رأيي كطبيب للكبار والأمر لك.

- خلاص. ناموا والصباح ليها ألف حل.

ونادى الزعيم رجلاً من رجاله:

- أنت يا جتور. خذ دكتور الصغار هذا في مفارة وحده. لا يعرف  
اسمك ولا شكلك.

انتهت الجلسة وأحس نزار أن حيلته لم تنفع. كان يود أن يبقى طبيب الأطفال لأن اختفائه قد يصبح قضية في الصحف. وقد بشر نهاية البوليس في البحث عنه والوصول إلى الخاطفين ومن ثم سيقبض البوليس على الجميع وهو معهم وكذلك شيماء ويكون ذلك طريق الخروج من هنا. سيقولون عثرنا عند قطاع الطرق على أكبر ناشط سياسي ومعه ناشطة من الجنوب اسمها شيماء وسيحكمي هو القصة للمحقق الذي يصدقه. طبعاً لن يذكر له أن شهيرة هي التي أوصلته إلى قطاع الطرق. سيقول إنه هو الذي عبر النهر إلى البر الشرقي حيث توجد جبال وهضاب درسها في المدرسة وقرأ عنها وكيف ناوي الآلاف من قطاع الطرق، وإنه فعل ذلك ليختبئ من البوليس الذي يقبض على النشطاء بلا سبب، وإنه كان يود أن يعيش وحده يزرع ويربي الدجاج ويتعدى السياسة. فكرة مجنونة سيطرت عليه لكنه وقع في يد قطاع الطرق. ولن يجروا الزعيم حمدان أن يقول إن أحداً طلب منه أن يخفيه عنده لأن ذلك يعني أنه يعمل في السياسة وهذه مسألة لم يمارسها. إذن عليه الآن أن يجد طريقة للوصول إلى الطبيب بعد أن بناموا. كيف سيخدع الحارس الذي يسهر بين المغارات والثاني الذي يجلس فوق أعلى جبل. هل يستطيع؟

في منتصف الليل خرج من مغارته. لا يعرف لماذا نظر في المرأة قبل أن يخرج. هل أراد أن يلتقي على نفسه النظرة الأخيرة. من هذا

الذي لي المرأة؟ هذا رجل ترك ذقنه فطالت، ولم يعد بعثني بنظافته.  
جلبابه الأسود جعله مثل شبح.

خرج حاقياً بفكر كيف يهرب مع شيماء ويساعد الطبيب على الهرب. لكنه راح يتنشق هواء الليل البارد. وقف يتنفس فاتحاً الطريق إلى صدره يمتلئ بالهواء. هذه الصحراء التي امتلأت باللصوص. التي أهملت من كل الأنظمة السياسية بينما كانت جديرة بالعمران. والتي كان يمكن أن تأوي الآلاف من أهل البلد الفقراء، هؤلاء الذين إذا اشتد حودهم نزحوا إلى العاصمة فملأوها بالعادات القبلية والريفة التي لم تعلمهم الأنظمة الحاكمة تغييرها إلى الأفضل. مثل هذه الصحراء كثير يحيط بمجرى النهر الكبير كان يمكن أن يتفرق فيها الناس فيخف الزحام عن المدن الكبرى ويسود العمران. هذا الوطن المُبْتلى بحكامه. ماذا كان يمكن أن يحدث أيضاً لو ألقى بهم الحاكم الشيطان إلى العصور القديمة؟ كيف كان سيكون حاله؟ عارياً إلا من ورقة شجر!

وجد نفسه يضع يديه بين ساقيه كأنه يخفي هورته. ابتسم وفرر أن يخرج من أفكاره التي لم تعد بذات فائدة الآن، خاصة وهو يرى الحارس جالساً بين المغارات على مقعد قديم وجواره سلاحه الأكمي تقدم إليه وألقى عليه التحية ثم جلس على الأرض. سأله الحارس:

- سهران ليه يا نزلر أفندي؟

- نم ياتني النوم. أشعر بقلق.

- نيه؟

- لا أعرف. هل متضايق من وجودي بعض الوقت؟

- لا طبعا، تشرقني والله يا دكتور.

ثم ضحك الحارس وقال:

- صار لدينا دكتوران الآن. خير ربنا كثير.

وضحك. فكر نزار هل يمكن أن يخطف منه السلاح الآلي ويصوبه إليه برعبه، ويجعله يفتح باب مغارة الدكتور، ثم ينتقل إلى مغارة الرئيس حمدان يأخذ شيما ويهربون جميعا. ابتسم. أي صوت من هذا الحارس سينه الحارس الآخر فوق الجبل الذي سيوقف الجميع ويقتلونهم. ليس أمامهم إلا الصبر، لكن حتى يأتي ذلك اليوم ألا يكون الزعيم حمدان قد اغتصب شيما. آخر ما كان يخطر بباله أن مدير الأمن على علاقة برجال الجبل. هؤلاء الذين لا يصل إليهم أحد.

قال نزار:

- هل فتشتم سيارة الطيب جيدا؟

- طبعا. كنا نبحث عن الأموال. لم نصدقه في البداية.

- وكيف صدقتموه؟ ألا يمكن أن يكون كذب عليكم؟



- طبعًا يمكن أن يكذب علينا، لكننا لم نجد أموالًا. وجدنا أدوية كثيرة في السيارة، وأدوية تعني أنه دكتور.

سكت نزار قليلًا بفكر ثم قال:

- وابن هي الأدوية؟ هل مازالت في السيارة؟

- مكانها. قال إنها لا تصلح إلا للأطفال.

سكت نزار من جديد ثم قال:

- ألا يمكن أن أراها؟

ابتسم الحارس وقال:

- ليه. عيل أنت؟

- لديّ صداع شديد وربما يكون فيها دواء للصداع نبيه الدكتور.

- والله أنا كمان دماغي مصدعة شوية. تعال معي.

لم تكن السيارة بعيدة. كانت في انحناء الطريق بين الجبال. أخذ

الحارس إليها. كانت حقيبتها الخلفية مفتوحة. فيها أدوية كثيرة مبعثرة.

راح نزار يقلب فيها ويقرّبها من عينه تحت ضوء النجوم ويقرأ. ينطق

بعض أسماءها بالإنجليزية فيتسم الحارس ويتأكد له أنه طيب بارع!

وجد أيضًا بعض الحقن. مط شفّيته وقال:

- ليس من بينها أدوية للصداع.

- إذن هيا نعود.

عادا إلى مكانهما الأول. كان نزار قد وجد بينها زجاجة «مُخَدَّر» صغيرة عرفها من اسمها الذي ذكره الدكتور مصطفى أمامه أكثر من مرة. أخفى الزجاجة عن الحارس الذي لم يتبه إلى نزار وهو يضعها في جيب جلابيه. ما فائدتها له حقًا، وهل فكر في تخدير العصابة التي أوتيه وحققت له الاختفاء الذي يريده؟ لم يتردد. إن لم يكن من أجل الدكتور فمن أجل شيماء. يستطيع حقًا الآن أن يطلب منهم العودة إلى البلدة. لقد مضى أكثر من شهر ونصف الشهر. لا يعرف كيف استطاعت شيماء خداع الزعيم كل هذا الوقت فلم يفتصبها. مضى أكثر من شهر ونصف سيشفعان له في طلب الرحيل. سيحملونه في سيارتهم ويدورون به بحيث لا يعرف الطريق إليهم أبدًا. ويمكن أن ينفع المخدر شيماء والطبيب بعد أن ينصرف هو. هكنا لن يشعروا بخيانتته ومن ثم لا خطر على شهيرة ومرسال الذي أتى به هنا. صار سعيدًا. لقد أرسل له الله حلًا من الحلول، ولينم قرير العين الآن.

ودع الحارس مبتسمًا وأسرع إلى مفارته.

## 18

في منزل نزار التقى مصطفى ونورهان وماهيتاب وأحمد خشبة وشهيرة التي أفرج عنها أيضًا. كانت الفكرة أن اللقاء في عيادة مصطفى بعد خروجهم من الحبس سيكون مرصودًا ومن ثم طلب مصطفى من والدته نزار أن تعطيههم فرصة الاجتماع لديها فنزار غالب والبوليس قد لا يتوقع ذهابهم إلى هناك كما ستكون معهم شهيرة لتعرف منها شخصيًا أن نزار في أمان.

جلست معهم السيدة كريمة والدته نزار تسمع إلى ما قالته شهيرة والكل صامتون حتى انتهت شهيرة فقالت السيدة كريمة:

- رهان نزار خاطئ. قلت له ذلك منذ البداية. ليس معنى بقاءه بعيدًا عن الحبس أن النظام سيصدق أكثر أنه لا ثورة قادمة. النظام أعد نفسه للقضاء على أي ثورة أخرى.

- لكن هنا ما حدث يا أمي ولا حيلة لنا في رجوع نزار إلا بإرادته.

هكذا قال مصطفى فقالت نورهان:

- المهم أنك اطمأنتِ عليه وشهيرة ضامنة قطاع الطرق.

ضحكوا جميعًا إلا الست كريمة التي قالت:

- طمنوني أنتم ماذا ستفعلون؟ هل يمكن أن أبقى معكم في الاجتماع أستعيد ذكريات زمان؟

قائلا وهم يضحكون:

- طبعًا يا أمي. تنورينا.

فتحت عينيها على اتساعهما، وهيات أذنيها للسمع. هؤلاء الشباب كيف حقًا لا ينهزمون.

قال أحمد خشيبة:

- مهمتنا الآن هي التركيز على القيس بوك أكثر من أي وقت مضى.

قالت نور هان:

- بالضبط. مثل العام الماضي. لن يقبضوا علينا جميعًا مرة أخرى. انت فقط يا أحمد ناقص لك مرة.

ضحكوا فقال أحمد:

- أنا على طول رايح جاي على المعتقلات. شكلي لن أنهى تعليمي الجامعي أبدًا.

ضحكوا وقالت ماهيتاب:

- في مدينتنا أماننا عمل كبير. لن نتوقف قبل أن تتم محاكمة قتل قاضل سعيد، رغم أن قاضل لم يبعث ليقتل مرة ثانية، الصفحة الجديدة تجمع الملايين حولها. أكثر من العام الماضي، لكن القتل لا يزالون أحرارًا، وما دام الحاكم أعادنا إلى الوراء فسأنتي له بكل ما يكرهه منا.

قال مصطفى:

- طبقًا مثل العام الماضي، وكالعام الماضي خليكى أنتِ على تويتر أكثر.

قالت شهيرة:

- أنا على الاثنين. لن أغير ما فعلته العام الماضي أيضًا.

هنا قالت الست كريمة:

- هل تتقون إلى هذا الحد في الفيس بوك وتويتر. أنا لا أصدق أنهما سبب الثورة. كيف تأتي الثورة من قضاء افتراضي.

تبادلوا النظر. لن يرد عليها أحد ردًا قد يشعرها بفارق الزمن بينها وبينهم ولن يذكروها بما حدث أول العام. قال أحمد خشبة:

- بالمناسبة يا ماما فيه صفحة على الفيس عاملينها ضباط شرطة اسمها «الناش في السياسة» ولولا الفيس بوك لم نكن نعرف عنهم شيئًا.

تحيّرت ماما كريمة لحظات ثم أدركت معنى ما يقول وقالت:

- إذن لا بد أن تشجعوهم. آفة الشرطة الياسة. لكن هل سينمرون؟ ربنا يتر عليهم.

قالت شهيرة ضاحكة:

- يا ريت يا ماما تعملي لحضرتك صفحة على الفيس بوك.

قالت نورهان:

- يا سلام لو فعلت ذلك ستغير الدنيا حولك.

قالت الست كريمة:

- لماذا تويتر لا؟

قالت شهيرة:

- التويته مائة وأربعين حرفاً فقط. على الفيس تكتبي براحتك.

- إيه التويته دي؟

- التفريلة يعني. هو معمول للتفريد حتى شعاره عصفورة لكن نحن قلبناه ثورة.

ضحك الشباب بينما هي راحت تنظر إليهم في حيرة ودهشة  
وقالت ماهيتاب:

- على الأقل ترسلي رسائل لتزار.

نظرت إليها شهيرة معاتبة. رأت الست كريمة نظرتها فقالت:

- ما لك يا شهيرة تغيرت هكنا، ما له تزار؟

- لا شيء يا ماما. فقط المنطقة التي بها نزار ربما لا توجد بها  
شبكات اتصال. حتى لا تقلقي يعني من عدم الرد عليك.

قالت الست كريمة:

- طيب نزار لم يأخذ اللاب توب معه. اعملولي صفحة  
وعلموني.

صفقوا وهضوا «هيه» وقال مصطفى:

- الليلة حفلة في تويتر على «النصيحة والهدى» والدولة العيطة.

قالت الست كريمة:

- لي طلب واحد. أن تتركوا شهيرة تنام عندي الليلة. شهيرة حلوة  
جداً ومن زمان لم أر الغمازات الحلوة هذه عند أحد وأنا أمي كانت  
مكننا ولذلك أحبها أبي ووقع في دباذيبها.

ضحكوا وقالت شهيرة:

- وأنا ساكون سعيدة جداً يا أمي.



#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_ينونوا. أبوة كانوا فاكرين حيفوا  
قطط ويهربوا من السجون.

#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_ينونوا. قال إيه ويقول لك هم  
اللي منعوا الثوار تتحول لقطط. طيب كتم نفعتكم نفسيكم.



#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_بنونوا. يقول لك واحد قابل  
الشيخ شمعان قال له «هو» طلع بجري.

#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_بنونوا. مش غيرنم تواريخ ابامنا  
مع الدولة العيطة. إن شاء الله حييكنم لقوم لوط تحولوا العواميد  
ملح.

#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_بنونوا. كمان حكاية الراجل  
الراجتاني اللي جابوه في السر طلع اتفاق مع الحكومة.

#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_بنونوا.. عمركم ما بتفهموا  
درس التاريخ. طول عمركم ضد الدولة العيطة وتجروا عليها في  
أول ندا.

#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_بنونوا. رغم أن الثورة فشلت بس  
الحمد لله كتم حركبرها وتمسكوا البلد وترجعوها ثاني للمسكر.

#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_بنونوا. أبوة خلاص خلدنا الدرس  
وعمركم ما حنطولوها لما نعمل ثورة ثاني.

#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_بنونوا. يا جماعة كفاية كده تريقة.  
نورتنا ما كملتش ولازم يبقوا معانا ثاني. دول برضه فصيل وطني.

#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_بنونوا. وطني إيه يا بتاع الليبرالية  
الواسعة انت. حتعمل زي بنوع مصر ايم. علي النعمة لو مسكوا الحكم  
لبرجعوه لأبو العساكر.

#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_ينونوا. صحيح ما فيش فرق بين  
السمع والطاعة والأمر والطاعة.

#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_ينونوا. شوفوا احنا لازم ندافع  
عن المسجونين منهم لأن التظاهر حق لكل مواطن لكن تعاون معاهم  
لا.

#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_ينونوا. طيب السؤال هم بعد ما  
ساعدوا النظام في كل حاجة ضد الثورة يتظاهروا ليه؟ حد عارف؟  
#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_ينونوا. يقول لك عايزين يعملوا  
انتخابات مجلس أمة ثاني ما دام السنة هي 2010.

#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_ينونوا. طيب من هما اتفقوا مع  
النظام ساعتها والنظام ضحك عليهم. ما بيحرموش. ولا الانبطاح  
ضية.

#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_ينونوا. عايزين حقهم بعد  
مازوروا التاريخ مع الدولة العيطة.

#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_ينونوا. آخر المعلومات يا شباب  
أن فيه في مدن الساحل والعاصمة شباب قرر الخروج عن التنظيم دا.  
#النصيحة\_والهدى\_عايزين\_ينونوا. بصراحة النظام هو سبب  
وجودهم. فقر البلد وهما لقوا التربة صالحة للضحك ع العقول.  
معركتنا مع النظام.

«النصيحة-والهدى-عائزين-ينونوا. كنت منهم. سبتهم من ساعة ماغيروا التاريخ. عارفين ليه. لأن ولا واحد من اللي استشهدوا رجع للحياة. يقوا كذاين.

«النصيحة-والهدى-عائزين-ينونوا. إحنا ممكن نقضي عليهم أسرع من النظام. عارفين ازاى. نعمل جمعة للبكيين والمأبوهات.

«النصيحة-والهدى-عائزين-ينونوا. سيوكم منهم. خلبنا في الأيام الجاية. صحيح النظام مش عارف أنه لما بعيد السنة بعيد الثورة؟

«النصيحة-والهدى-عائزين-ينونوا. عارف ويستعبط. محضر لنا أسلحة فتاة من عند خالتك فتكات بس إحنا شعارنا بامرجع الأيام ورا آخرتك زي الخرا.

«النصيحة-والهدى-عائزين-ينونوا. ميكم منهم. إحنا مشكلتنا مع أبو العساكر. قولوا ورايا.. بامرجع الأيام ورا آخرتك زي الخرا.

من غير هاشتاج أرجوكم:

«بامرجع الأيام ورا آخرتك زي الخرا»

«بامرجع الأيام ورا آخرتك زي الخرا»

«معاكم النصيحة والهدى واحنا معانا معاد حني يا معفين»

«سعاد أصلها من الشام ويقولوا أصلها كردي كمان وبتكر،  
الظلم من اللي شافه الأكراد. بلدها اللي اشتهرت فيها بأفلامها ما  
استحملتهاش وبت عتدنا عشان تموت في أرضنا، أرض اللاوند.  
يعني بتحبنا أكثر من أي بلده»

بانو بانو بانو.. على أصلكم بانو

والسلمي يبطل سهيانه

ولا غني ولا صيت.. دولا جنس غويط

وكتاب ما يبان من عنوانه

بانو.. أبوه بانو

\*\*\*

جربنا الحلو المتعاقب أبو دم خفيف

وبلقنا معاه إخوة شقايق فاكرينه شريف

أناريه مش كله على طول الخط

الطبع الردي من جواه نط

خلاص بقي مهما انشال واتحط..

ما فيش دمة حزن علشانه

بانو.. أبوه بانو.

وراحت أغنية سعاد حني تكرر بشكل كبير.

## 19

لم تكن الليلة التي قضتها شهيرة مع ماما كريمة، كما صارت نادبها، ليلة عادية. جلست شهيرة تنشى لها صفحة على الفيس بوك، وحين سألتها هل لديها إيميل ضحكت ماما كريمة وقالت:

- نزار حاول إقناعي أكثر من مرة أن يكون لي إيميل لكنني دائماً كنت أقول له ومن سيرسل لي رسائل؟ أنا ست تركت العمل والسياسة من زمان وأعيش على «معايش أبوك» وعلى ريع المنزل الذي تركه لي أبي ولا علاقة لي بأي شخص أو هيئة أو مصلحة..

قالت شهيرة ضاحكة:

- ألا تستخدمين الإنترنت أبداً حتى ولو لقراءة الصحف والمواقع الإلكترونية؟

ضحكت ماما كريمة وقالت:

- أنا من الجيل الورقي. لا أقرأ صحيفة إلا وهي بين يدي. تماماً كالكتب.

قالت شهيرة ضاحكة:

- سيكون لك إيميل وصفحة على الفيس بوك، وشيئا نسبيا متفرمين بالإنترنت، ولن تشتري الصحف، وستعرفين بالأخبار لحظة وقوعها، وستشكين بعد ذلك من إدمان الإنترنت.

سكتت ماما كريمة باسمه فسألتها شهيرة:

- فيم تفكرين يا ماما؟

- الغمازتان اللتي في خدودك حلوهن أوي يا شهيرة. هابزة أكلهم اكل ا

احمر وجه شهيرة وقالت باسمه:

- وبعدين بآه. أنا بادوخ من الكلام ده.

ضحكت ماما كريمة وقالت:

- بعد ما كتتي تفكريني بماما نسيت ماما وصرت أحبهم جدا، لكن خلبنا في الفيس بوك.

في دقائق صار لماما كريمة صفحة على الفيس بوك. وفي دقائق جلست ماما كريمة أمام اللابتوب وشهيرة ترشدتها كيف تطلب صداقة الأعضاء وكيف توافق على الصداقة وترسل الرسائل وتتابع المناسبات وتدخل على صفحات الصحف الإلكترونية. قالت ماما كريمة:

- أريد أن أطلب صداقة نزار ابني، وسأرسل له رسالة أيضا.

قالت شهيرة:

- ليكن. لكن لا تتظري ردًا منه الآن ولا تقلقي. بين الجبال قد لا توجد شبكة للإنترنت كما قلت لك من قبل.

سكنت ماما كريمة لحظات ثم قالت:

- يعني لو رد عليّ يكون خرج من هناك.

- بالضبط.

- إذن سأنتظر الرد كل يوم حتى أطمئن عليه.

رفضت ماما كريمة أن تنام شهيرة في حجرة وحدها، تركت حجرتها وذهبت لتنام معها في حجرة الضيوف التي بها سريران. فدمت لشهيرة من ملابسها المتزلية قميص نوم قالت إنها اشتريته مع ثياب أخرى منذ أسبوع ولم تلبسه. «سيكون واسعًا قليلًا عليك لكن لن يكون طويلًا ولا قصيرًا»

- ماما حضرتك لماذا تريدین أن تنامي في نفس الغرفة؟ أنا سأقرأ أي كتاب من مكتبة نزار. أنا أسهر كثيرًا وأيضًا سأشغل بالفيديو ونوتر.

- أريد أن أتحدث معك طول الوقت.

سكنت شهيرة متأثرة ثم قالت:

- طيب اسمحي لي أن أدخل المطبخ وأتركيني أنا أعد العشاء لك وأحضره هنا وأنتِ اجلسي قليلًا على الفيديو بوك حتى تتدبري أكثر.



ذهبت شهيرة إلى المطبخ وراحت ماما كريمة تتابع صفحاتها على الفيس بوك. رأت اقتراحات بأصدقاء فوافقت عليهم ورأت أصدقاء وافقوا على صداقتها فوراً هم نور هان وماهيناب وأحمد خشن والدكتور مصطفى.

«الله الله الفيس بوك يا ماما كريمة».

هكذا تقريباً قالوا جميعاً. دخلت على صفحاتهم وراحت تقرأ وجدت آلاف الأصدقاء لهم وآلاف مؤلفة من المتابعين ومحبي صفحاتهم التي جعلوها مستقلة عن حساباتهم. صفحات بعناوين بكرة ترجع بلدنا. يا شعب يا طيب كفاية ذل. حقنا خنبيه. الشارع لنا. و صفحة كلنا فاضل سعيد، وجلست واجمة وهي تتابع ذلك كله كيف حقاً اختلف هذا الجيل عن جيلها وزوجها رحمه الله؟ وراحت تفكر في هذا التطور المرعب الذي سمعت عنه ولم تمارسه. إن كلمة عبارة على الصفحة يقرأها الآلاف أمر يختلف عن اجتماع سري بين أعضاء الحزب الشيوعي زمان. اجتماع لا يعرف به إلا أعضاء الخلية. خمسة. عشرة على الأكثر يبلغون من يتقنون فيهم للتظاهر أو للاحتجاج. قد يستغرق الأمر أسبوعاً وليس ثانية من الزمان. لذلك ألقى المحاكم المجنون بالشباب عاماً إلى الخلف، ولم يعرف أن فرا الفضاء الافتراضي صارت فيهم ومن ثم عادوا في دقائق. لن تصدق أبداً حكاية البنت الحلوة التي تشبه سعاد حسني التي أعادتهم للحياة هؤلاء الشباب مسحورون بإمكانيات الإنترنت. وبحثت عن صفحة

«الناش في الياسة» التي قالوا لها إنها لبعض ضباط الشرطة. وصلت إليها في لحظة. ضغطت «لايك» وأحست بالفرح. استدخل عالم الثورة الذي غاب عنها دائمًا. لكنها تركت التعليق على الصفحة إلى ما بعد. ما الذي يمنع أن تكون هذه الأشياء مراقبة؟ لا يجب أن نغامر بالحدث في الياسة على الملا الآن. لكنها رأت صورة لفتاة جميلة تطل عليها مع صور أخرى يطلب أصحابها صداقتها. كان جمال الفتاة أخاذًا وكانت ترتدي «مايوه». ذكرتها بشواطئ زمان. نأقت نفسها إلى الصيف مع المرحوم زوجها وأصدقائهما. لقد ضاع ذلك الزمن. دخلت صفحة الفتاة فوجدت كل المعلومات غالبة عنها حتى تم الصداقة. وافقت على طلب الصداقة فانفتحت الصفحة عن ساء عاريات ومشاهد جنسية فظيعة جعلتها تغلق عينها لحظة وتحس بالرعشة في جسدتها من الخوف. ما هذا القيس خرا؟ وفتحت عينها بهدوء ونزلت أسفل الصفحة لتجد فيديوهات جنسية أيضًا. عادت إلى أعلى الصفحة وقررت إلغاء الصداقة وعرفت كيف تفعل ذلك. نفست الصعداء وبدأ أنها تخلصت من عبء فظيع.

دخلت شهيرة تحمل صينية عليها عشاء بسيط من الجبن والصلالة والفاكهة. أبسط ما وجدته في المطبخ. ليس مهمًا أن تأكل بقدر ما هو مهم أن تقدم الطعام لماما كريمة من يديها.

لاحظت شهيرة شحوبًا واضطرابًا على وجه ماما كريمة فألقتها:

- هل حدث شيء في غيابي؟

هزت ماما كريمة رأسها ثم راحت بخجل تحكي ما جرى وشهرا  
التي شحب وجهها أيضًا وأحست بالارتباك سرعان ما ضحكت  
وقالت:

- القيس بوك مليء بأصناف البشر يا ماما. مستكشفين كل شيء  
بنفسك، وفيما بعد تحذفين من تشائين من بين أصدقائك، وهكذا  
لك فيه حرية مطلقة ولن يطلع أحد على أسرارك إلا من تريد. انركي  
صفحتك اليوم ولعدة أيام مفتوحة لمن يشاء الكتابة أو التعليق، وبعد  
ذلك اجعلها لأصدقائك فقط أو لأهم أصدقائك أو لك فقط. لديك  
الإعدادات سترين فيها كل ما يرسلك إلى ما تريد، ولن يجبرك أحد  
على مشاهدة أو صداقة من وما لا تحين. في النهاية يهتما منه الثورة  
صنعناها منه ومنعناها من جديد.

بدت شهيرة لها وهي تقول جملتها الأخيرة على غير ما رآته فيها  
من جمال. تصميمها على فعل ما تقول أظهر قوة تلغي شيئاً من أنوثتها  
قالت في نفسها:

- أنتِ خسارة في هذا الغضب والله يا شهيرة. أنتِ أجمل من  
سعاد حسني، ومن يدري ربما أنتِ من أنقذ الأولاد ولا نعرف.



بين جبال عالية يعلو قممها الجليد وفي وديان بينها أنهار مياه تجري  
دافقة يملأ خريرها الفضاء جلست هديل على حافة أحد الأنهر تاكل

لفاحة من شجرة وحيدة يتجاوزها الجليد وتظل خضراء طوال العام  
ولا يتهى ثمرها ولا يسقط. كانت بين قزمة وأخرى من التفاحة  
لهحك وهي ترى الفراشات الملونة تطير أعلى الشجرة وتبتعد لتعود.

احست برغبة في الوقوف فوقفت لترى بعيداً عنها «كينج كونيغ»  
لأدماً يمد قدميه كأنه على موعد تأخر عنه. أشرقت الفرحة بوجهها  
ووقفت تلوح له بيدها الرقيقة فأسرع إليها أكثر وهي تتقاذف من الفرحة.  
ما إن وصل أمامها حتى قفزت إلى كتفه هي التي كانت قد صعدت  
سرعة فوق تلة عالية. أدار رأسه أكثر من مرة سعيداً وهي براحتها  
الإلهية راحت تمشي على وجهه فيشعر بالسعادة تتسلل إلى جسمه  
الضخم موجات أثيرة من الفرحة. مد يده أمسك بها أمامه يتأمل فيها  
ووضعها على صدره تحيط بها كفه حتى لا تنزلق فقالت له:

- مبروط؟

وجاءها صوته هادئاً مفعماً بالرضا ومشى بها بين التلال وفوق  
الردبان حتى وصل إلى نهاية الوادي فقالت:

- سوف أعود. لا تقلق. أهي الآن في انتظاري.

وضعها كلها على شفته لحظة ثم أنزلها وهي واقفة وأمسك بيديها  
ينظر في راحتيها ويتأمل أصابعها. كان يود أن يعبر عن رقة الأنامل  
بأصغر صوتاً مرخاً أخافها بقدر ما أسعدها ثم تركها وراح ينظر إلى  
كفيه السوداء وين يضعهما على قلبه.

لم يطل الوقت بهديل وصارت في متصف صالة البيت جالسة نهر  
ساقبها في فرح وقد صارت ترتدي فستاناً من الحرير وتعطر جسمها  
كله برائحة زكية ولمعت عيناها بلمعة الثقة وكاد الجمال يصرخ في  
الفضاء يقول أنا هنا واسمي هديل.

- دائماً مبسوطة ما بنعرف ليه يا هديل. أشركينا معك.

قال الأب فقالت الأم:

- أخاف أن تركنا هديل يوماً. هل رأيتها اليوم وهي تعود؟

ضحكت هديل سعيدة وقال الأب:

- لا.

- كانت الفراشات تطير أمامها بكل الألوان. كنت أطل من نافذة  
البيت. ما إن وصلت إلى الباب حتى كانت الفراشات خلفها وحولها  
أشارت إليها أن تعود فعادت كلها.

تساءل الأب:

- تحدثين مع الفراشات يا حيتي؟

ضحكت هديل وهزت ساقبها وقالت:

- هم إخوتي. قلت لهم أن يعودوا إلى البيت.

نظر الأب إلى الأم في دهشة لكن الأم كانت سعيدة. هذه هدية  
السماء التي خصهما الله بها لا تتكرر لأحد ولن تتكرر لهما مرة  
أخرى. قال الأب:

- لا أعرف أين تلهين لكنني أعرف أنك دائماً ستعودين وإلا  
ما خصنا الله بك.

قالت هديل:

- لا تقلق يا أبي. أنا لا أترككم إلا إذا أراد أبي ذلك! وأبي هو من  
يعيدني إليكم!

ارتبك للحظة من كونها تخاطبه بالآب وفي الوقت نفسه تتحدث  
من الآب الحقيقي، لكنه أحس بالرضا كما يحس دائماً وهي تتحدث  
معه أو مع أمها زوجته، ثم سألها:

- هل صحيح أنك تقابلين وحشاً من العصور القديمة الآن في  
الجبال؟

هفت هديل:

- نعم.

سأله الأم:

- كيف عرفت؟

قال الآب:

- هي حدثنا عنه. لقد ذهب ورامها إلى البلاد القريبة وهو الذي  
عاد بها.



قالت الأم:

- صحيح. لقد نيت ذلك.

صفت هديل بسعادة الأطفال فقال الأب:

- لا تنهبي مرة أخرى قبل أن تخبريه وإن كنت لا أعرف لماذا  
وإن تلهين.

قالت هديل:

- أذهب إلى البلد الذي كان يوماً حقولاً للغناء. كنا ننزل من  
الجبل نعبّر البحر لنفني فيه ونعود. صار الآن خراباً. وعندما غنت  
البنات ومعهن الأولاد من جديد نكل بهم سلطانه وهم ليس معهم  
إلا أصواتهم الحلوة. أبي همس لي وأنا نائمة أن أذهب. ولما قلت  
له أحتاج قدرة وقوة قال هي لك، الزمان خادمك والمكان يطيعك.  
أعادني إلى حالتي الأولى. بنت الرب.



جلس مدير «مُز» إلى مكتبه ينظر إلى النتيجة الموضوعة أمامه  
يفرأ تاريخ اليوم ويهز رأسه. في مثل هذا اليوم فتح باب الترشيح  
لمجلس الأمة. وفي مثل هذا اليوم كان هو في فيبرتشا. لقد أعيدت  
الأيام لكن فشل سعيه لإعادة الانتخابات ولم يذهب في مهمة إلى  
فيبرتشا. إعادة الانتخابات ونجاح «النصيحة والهدى» وغيرهم.



كان سيفنع الناس أكثر من غيره أن هذا هام جديد رغم أنه يحمل رقم العام الفالت. الحمقى يعيدون كل ما فعلناه. وزير الأمن والأمان يفعل ذلك. كان عليه أن يقبض على أعداد أكبر أو أقل بكثير. والمحققون يوجهون نفس الاتهامات. كان عليه أن يزودهم بقائمة اتهامات جديدة على رأسها الاتصال بسعاد حسني في العالم الآخر وتشجيعها على استخدام قوة الآلهة في معارضة الحكم. ههههه. وضحك. بالها من نهمة ستجعل كل متهم يصاب بالجنون. على أي حال لقد بدأ شهر نوفمبر واقترينا من نهاية العام، هي خطوة للنجاة ولم بعد موضوع إقناع الناس بأنه نفس العام أو عام مختلف له أهمية كبيرة. المهم أن يمر يناير القادم دون ثورة ولا اضطرابات، ولن يعود موضوع التاريخ هذا يشغل أحدًا. سيتمود الناس على الخطأ الذي صار حقيقة. سيقوم وزير «م» بلوره أما هو، مدير «مُر»، سيقوم بأكبر عمل يهيئ له الفوز بالحكم وهو القضاء على ظاهرة سعاد حسني. سيداً أولاً بالقبض على كل البنات اللاتي يشبهنها. وسيعرف الجميع أنه لا وجود لهذه الحكاية أصلاً، وتنتهي القوة الجديدة للشباب. كل الشباب. العملاء ومن يتجاوب معهم ومن يقتنع بما يقولون!

دق التليفون ورفع السماعه فوجد من يكلمه بلغة إنجليزية. كانت هناك دعوة له أن يسافر إلى فيبرتشا لحضور ندوة عنوانها «تعذيب بلا موت» واعتذار أنهم تأخروا عليه في الاتصال يومين لكنهم أجّلوا الندوة يومين آخرين حتى يصل.

ترك التليفون ووقف وسط الغرفة حائراً كثيراً. لا فائدة. حتى فيبروتشا! إنهم يعيدون العام الفائت بكل حنافيه.

أحس أن ما يحدث كله من تدبير الحاكم، لا يمكن طبقاً أن يكون من تدبير السر عسكر الذي منذ قذفه الحاكم إلى الخلف سنة وأعاد، هو، وهو يلين له بالفضل والتقدير. هل تكون من تدبير وزير الأمن والأمان «م»؟ هنا أقل من أن يفعل ذلك. لن يشغل نفسه بالتفكير أكثر. المشكلة الآن هي أنه سينهب إلى فيبروتشا فهل سيقابل كل من قابلهم في لقاء العام الماضي؟ كان من بينهم رئيس مخابرات دولة إسلامتون ولقد مات في مطلع هذا العام. كما أنه سيؤجل القضاء على ظاهرة سعاد حسي حتى يعود.

لقد أربك الحاكم كل عقولهم ويجلس الآن يضحك مع أحفاده ويلعب «أناري». عليه الآن أن يخبره بسفره. هل يستطيع وهو الذي أعطى لهم تعليمات أن لا يتصل به أحد أثناء لقائه مع أحفاده قبل الفداء! ليس أمامه غير ذلك مهما كانت النتائج. لا بد أن يركب الطائرة هذا المساء.

بعد منتصف الليل شهدت المقابر خارج العاصمة حالة من الحركة الغريبة. عشرة رجال شرطة في زي مدني دخلوا المقابر وأخذوا حراسها الأربعة الذين شاء حظهم أن يكونوا موجودين تلك الليلة، إلى أربع عربات ملاكي يفودها سائقون في زي مدني أيضًا.

- لا أحد يخاف. سنبتعد بكم وسنعيدكم بعد ساعة. لو انتشر الخبر ستكون نهاية كل منكم.

ثم يرد أحد من الحراس المذعورين في ثيابهم الرثة ورائحتهم الغريبة. كان الظلام حولهم يملأ الدنيا. لا شيء مضيء هنا فكيف جاء هؤلاء ولماذا؟

- لا يسأل أحد منكم لماذا يحدث هذا؟ يعني ولا كلمة حتى نعيدكم.

ثم وضعوا كل حارس في سيارة وحوله اثنان من رجال الشرطة في زيهم المدني وابتعدوا به عن المكان كثيرًا جدًا.

وظل شرطيان آخران من العشرة على باب المقابر العام بعد أن أغلقاه من الداخل.

تحرك العقيد مؤثر في زيه المدني أيضاً أمام وزير الأمن والامار  
«م» الذي صار يرتدي جلباباً فوقه بالطور من الصوف الخفيف وحوار  
عنه كوفية وفرق عينيه نظارة سوداء رغم الظلام.

أمام مقبرة سعاد حسني أشار العقيد مؤثر إلى الوزير أن هذه هي  
المقبرة. قال الوزير بعد أن فتح الباب الحديدي لحوش المقبرة.  
- ابتعد أنت.

تراجع العقيد مؤثر ووقف الوزير وحده. رفع يديه أمامه وأخذ في  
قراءة الفاتحة ثم قل أهوذ برب الناس ثم سور قصيرة أخرى. ثم «قل  
هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد»

لقد اكتشف قبل زيارته أنه لم يعد يحفظ من القرآن غير الفاتحة  
وكثيراً ما ينهيها بسرعة فيقول «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله  
رب العالمين اهدنا الصراط المستقيم. آمين» لم يكن صعباً أن يعيد  
حفظها بسهولة، كذلك حفظ سوراً أخرى قصيرة، ثم أضاف إليها  
سورة «يس» وأسماء الله الحسنى جميعها. كل ذلك في يوم واحد.  
أدرك بعدها أنه لا يزال يتمتع بعقل كبير.

بعد أن قرأ عدداً من السور القصار، تقدم وجلس على الأرض  
متربحاً فوق العتبات الخرسانية أمام باب المقبرة الحديدي الصغير  
ونظر إلى المقبرة وراح بكلم نفسه..

«هل معقول أن الفتاة التي أعادت الشباب من العام السابق هي أنت؟ وكيف تظهرين في أرض بعيدة عن لاوند؟ وكيف تفعلين ذلك وهو عبء كبير علي من جديد، أنا الذي لم يكن لي أي علاقة بك وأنتِ تنفذين أوامر المخابرات في بلدك، فلقد كنت هنا ضابطًا لا يعني أحدًا. ولا كان لي دخل بموتك متحرة أو بجريمة ارتكبت لي حزنك من مخابرات بلدك. لقد ضعفت يا سعاد أنا قاهر الشعب الفروي. ضعفت جدًا وبدأت أصدق أنك تعودين للانتقام. ضعفت وبدأت أصدق أن المخابرات هي التي قتلتك لذلك تعودين وتفعلين ذلك. لقد أطلقت كل كلابي في كل مكان ليتعرفوا عليك، وليكبوا لي تقريرًا حقيقيًا عنك، وهل أنتِ حقًا معيدة الشباب إلى الحياة، أم هي أكلوبة صنعها الشباب المأجور لذكروا الناس بأمر لا يد لي فيه. حتى الحاكم لم يكن له يد. أنا أعرف. هو يحبك جدًا. ويحتفظ لك بشرائط «عارية» أهدها له حاكم بلدك بتفريج عليها قبل أن ينام فلا ينام. يتصب يا سعاد فتدخل عليه زوجته فتضيع صورتك من أمامه، وينكمس مَنيّه ولا يجد حيلة بقولها لزوجته إلا أن البروستاتا نخذه. لقد أجبرته على استبدالها بأخرى في فيبوتشالينام معها هي التي أصابها الجنون. كانت تصرخ ولا تتصور أن أحدًا يسمعها في حجرتها، ولم تعرف أنهم هناك ضحكوا عليه، ووضعوا له بروستاتا من ورق يذوب مع أي سائل يمر به، وينزل في النهاية مع البول.

إنه كثيرًا ما يكي بالليل على البروستاتا الضائعة ويقول كانت حلوة زي الفل. تصوري هو في الثمانين وهي في السبعين ولا يكف عن الاشتهاه بلا هدف، ولا تكف هي عن الرغبة بلا نتيجة! ثاني إلب الفياجرا من الخارج فيوزع علينا منها ويحتفظ لنفسه بالكمية الأكبر ويقول إنه يستعملها وأنا أعرف أنه كاذب. لقد نسيت أسماء الحكام قبله، ويخيل لي أنه الحاكم الوحيد لهذه البلاد منذ أن خلقها الله. يا سعاد رئيس الـ «مُر» له يدان تخرج منهما الثعابين، أما هو، الحاكم، أمير أبو العساكر، فيستطيع أن يعيد الناس إلى أزمنة بعيدة. إنه ينسى حتى الآن أن يعيد نفسه أربعين عامًا إلى انوراء ليقابلك فقد ينام معك. هل تركيني أرشده إلى ذلك قد يرتاح؟ أعرفه جيدًا. يقول لي: «تريد أن تتخلص مني. أشوف سعاد وأنام معاها ماشي لكن من يضمن لي الرجوع يا روح أمك» ويا ريت حتى يقول يا روح أمك. أكيد أنت عارفة بيقول إيه. المهم يا سعاد.. أنا سأصدق أنك أنت التي تحيي الموتى. أنت تستطيعين ذلك. طول عمري أقول إن ربنا هو الذي خلقك مباشرة زي حوا وآدم. لا يمكن أن يكون لك أب وأم مثلنا. وأنا في حاجة إلى بركاتك. أي شكل من أشكال البركة يا أجمل نساء العالمين».

كان العقيد مؤثر في وقفته منحنًا. لقد قال له الوزير إنه سبغ الفاتحة على روح سعاد حسني ويعود، وهكذا بما وزعوه من لحوم الذبيحة وبالفاتحة سيغني شرها ويكسب ودها. لكنه تأخر كثيرًا



ما عليه إلا أن يتظر، وليكرمهم الله فلا تظهر ثعالب وكلاب تفد كل شيء.

كان وزير الأمن والأمان «مَمْ» مذهولاً. بعد أن توقف وجد دموعاً حقيقية تنزل من عينيه، وأحس بيد رقيقة تمسحها عنه. تردد أن يمد يده بمسك باليد التي تمسح دموعه، لكنه فعلها فوجد يداً أرق من النسيم لأنامل مثل الأثير، لكنه وجد اليد غير متصلة بأي فراع فالتقى بها على الفور مذهولاً يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم. بسم الله الرحمن الرحيم؟» لكنه سمع صوتاً هادئاً يقول: «لا تخف. أنا طالعة بنفسي. أسفة يدي خانتني لكن أرجعتها».

وأحس بصوت باب المقبرة الصغير يتحرك وينفتح بهلوه. مع انفتاحه كانت تهل عليه رائحة عفتة. كم جثة في المقبرة. هذه رائحة جثث جديدة. القديمة لم يبقَ منها إلا عظام جافة، ولن تعود إلى الحياة منها إلا عظام سعاد حني. وراها تُقبل عليه واقفة. كيف خرجت من الباب الصغير؟ إذا كانت عادت للحياة ياروح أمك مش حتعرف تخرج من الباب الصغير؟ قال لنفسه ذلك فاخطط ضحكه الساخر بفرحته وهو يراها في ثوب من الدانتيل يكشف كل جسمها الجميل وتبسم ابتسامتها التي تملأ الكون بالفرح وتملأ السحب بالدهشة فتبيض في السماء في قلب الشتاء وتصنع الربيع. الربيع. الدنيا ربيع والجو بديع فعلاً. ها هي نمة حلوة تهب عليه رغم روائح المقبرة العفتة.



وقفت أمامه فوقف بسرعة. وجد نفسه يؤدي التحية العسكرية  
ولا يدرك أن العقيد موثر رآه يفعل ذلك فأسقط في يده وقال في نفس  
لقد جُنَّ معالي الوزير.

- ماذا تريدني أن أفعل؟

- أن أكون مثل الحاكم أو أكون مثل مدير الـ "مُز"؟

- وماذا سافعل بذلك؟

- سأخلص منهما.. وأعدك أن أخلي سبيل كل الشاب المسجون  
وسأكون معهم في الميادين أحبيهم من أي عدوان عليهم بما أمتلكه  
من قوة جديدة، وأبني بلدًا ديموقراطيًا حقيقيًا.

- وإذا لم تفعل ذلك؟

- أعيدني إلى ما كنت عليه..

- طيب. هذا يعني أنك تريدني أن أوقف نشاط قريني.

- قرينك. هل لك قريني؟

- طبعًا. الفتاة الشامية هي قريني. أو الأصح أنني قرينتها. آه إنها  
ابنة الإله الذي وشم ظهرها بمعبد، وخلقني أنا بعد آلاف السنين  
لأكون مثلها. إذن أنا القرين.

- وماذا بعد؟

- سأرجل ما تريد إلى أن تفعل شيئًا مما تقول.

- سأفرج عن الجميع، ولن أصوب النار لأحد منهم حتى لجماعة النصيحة والهدى.

- ليكن رغم أنهم سيخونون الشباب من جديد ويخفون معكم ضدهم. سأنتظر حتى تُخَيِّب أملهم في الاتفاق وأفعل لك ما تريد.

- طيب وإذا ما فصلني الحاكم من العمل.

- لن يفصلك. سأظهر له في الحلم واليقظة أشغله عنك وعن الحكم نفسه من جديد.

ورآها تراجع فخاف أن تختفي وتعود إلى مقبرتها فمد يده بسرعة بمك بها فوجدتها لا تزال أمامه واقفة. هو الذي خشي أن تراجع فخبيل إليه أنها تراجعت بينما ظلت واقفة تبسم.

كان العقيد مؤثر قد ازداد قلقه ثم بدأ الخوف يظهر على وجهه إذ رأى من بعد شبكا قائم السواد يتقدم على مهل. شبكا عاليًا ارتفع بصره معه إلى أعلى فوجده طويلًا جدًا. مسح عينيه بكفه متصورًا أنها خيالات عقلية لكن الشبح يزداد سوادًا ويسمع الآن صوت دقات قدميه خفيفة تقترب منه فيملأ الصوت. تجمد في مكانه فسمع صوت أنفاس تقترب مع دقات القدمين. هل هنا عزرائيل جاء يذود عن مفانمه. هل يمكن؟ وإذا كان عزرائيل حقيقة ألا يكون قد جاء ليأخذه هو أيضًا؟ حاول أن يتراجع قليلًا ناريًا بعد ذلك أن يطلق ساقبه للريح، لكنه لم يجد القدرة على الحركة، وأكثر من ذلك صارت قدماء ترتعشان ويكاد

يقع، لكنه سمع صوت خرير مياه ضعيف أحس بها تنزل في سرواله. حاول بكل جهد أن لا يتزل شيء من مؤخرته ونجح. لكن الماء لا ينقطع نزوله ساختاً على فخذه حتى خرج من السروال فوق حذائه ومشى أمامه على الأرض فرآه رغم الغلام. يقترب صوت وقع قدمي الشبح ويزداد البول وهو لا يصدق أن في ثيابه كل هذا الكم منه وكأنه لم يبول منذ عشرات السنين، رغم أنه وهو يقف ينتظر أن ينتهي الوزير فتح سرواله مرة حين ضغط البول عليه وتبول.

اقترب الشبح أكثر فأكثر من هو. كينج كونج الذي ظهر في الميدان. صحيح أنه لم يكن في الميدان وقتها ليراه لكنه رأى الأفلام عنه، وسمع بيان الحاكم عنه، وتأكد له الآن أن كلام الحاكم حقيقي وإلا في أي زمن هم. لبسوا في عصور ما قبل الميلاد. حقاً يخرج كينج كونج من الفيلم ليكون واقعاً. تماماً كما تخرج الاحتجاجات من الإنترنت. يظل يبول ورعبه يزداد. لا ينتهي بوله ولا يستطيع أن يجري. في لحظة تصور أن خلفه طابوراً من الناس يولون. هذا هو التفسير المقنع لهذا الكم من البول. اقترب الشبح أكثر ووصلت إليه أنفاسه تكاد تطيره من مكانه. تمنى لو فعل به ذلك، لكنه كان مقبداً إلى تراب الأرض ولن يتحرك أبداً. سبيلتهم كينج كونج وسيلتهم وزيره ليفعل آخر ما عنده ويصرخ قد ينبه الوزير، لكن الصرخة لم تخرج تضاملاً وازدادت ضربات قلبه واستسلم للموت. كينج كونج صار أمامه لكنه يمر لا يلتفت إليه. في هذه اللحظة فقط استطاع أن يأخذ

فناً عميقاً، ويغمض عينيه غير مصدق نجاته، ويرى كينج كونج يتجه إلى حيث الوزير وسعاد حسني. يا أله يا أرحم الراحمين. سيموت الوزير. سيلتهمه كينج كونج ولا عودة له إلى الحياة أبداً.

كان الوزير أيضاً قد سمع دقات أقدام تقترب ورأى الشبح الأسود يزداد وضوحاً. قالت سعاد ضاحكة:

- لا تخف. سيدخل معي.

صار الشبح واضحاً للوزير فقال وهو مرعوب يقاوم سقوط البول:

- إنه كينج كونج.

- قلت لك لا تخف.

- إذن أنت من فعلت ذلك بالشباب حقاً. أنت التي ظهرت أعلى الممارات في الميدان وحملك كينج كونج إلى السماء.

- انتهت المقابلة الآن. لا تحدث كثيراً. افعلي ماقلت لك.

تراجعت وهو منجمد مكانه من الرعب، فدخلت المقبرة من بابها الصغير بظهرها ووجهها إليه تضحك، ودخل كينج كونج خلفها وانغلق الباب بالأحجار. كيف دخل هذا العملاق الأسطوري من باب صغير جداً. هذه قدرات سعاد حسني. وتهلل وجهه. إذن سيفعل ما قالت له، وسيفعل هي ما وعدته به، وإلى الجحيم بالحاكم ومدير الـ «مُز» وكل رجال الدولة.



لم يكن الوزير نائماً يحلم بما جرى، ولم يكن يفكر فيه فينجلي أمامه. لقد كان ذهابه حقيقياً إلى مقبرة سعاد حسني. وتأكد له أنه حسني لم يمسي وهو نائم.

في صباح اليوم التالي دخل عليه العقيد مؤثر يقول:

- الصحافة والتلفزيونات كلها يا معالي الوزير في المقابر عند سعاد حسني.

وقف الوزير في غيظ وصرخ:

- ماذا تعني؟ يزورونها أم عرفوا أنني ذهبت إلى هناك؟

- لا هذه ولا تلك يا أفندم. «التربية» رأوا في الصباح آثار أقدام كبيرة بين المقابر لا يمكن أن تكون لبشر، أذاعوا الخبر على الواصلين لزيارة موتاهم، وحذروهم من الدخول فقد تكون هناك وحوش ضخمة، ومن لم يصدق تركوه يدخل ليرى آثار الأقدام بعينه.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- كل من رأى آثار الأقدام خرج بحكي لأصحابه وأهله أو يبلغهم في الموبائل. وصل الخبر إلى الفضائيات والصحف فأرسلت مندوبيها للتصوير وإجراء حوارات مع التربية.

- خلاص. لا علاقة لنا بالأمر. لقد عرفت ما أريد.

عقد المكتب القيادي لجماعة «النصيحة والهدى» اجتماعًا قالوا إنه سيضع النقاط فوق الحروف، وسيخرجون منه برنامج عمل لا يتقاعسون فيه. الشيخ شمعان تصدر المائدة المستطيلة وبقائه ألف خان وعلى الناحيتين بقية أعضاء المكتب. كان الزال الأول كيف لم يستطيعوا تحويل شبابهم الذين قبض عليهم إلى قطة ليخرجوا من سجونهم؟ انتظروا إجابة من ألف خان الذي مشى بيده على لحية الطويلة التي جعلته أشبه بابا نويل خاصة أن وجهه أحمر مثل وجوه الأوربيين، ثم قال بلغة عربية مكثرة ما يعني أنه أمرٌ بوقف ذلك، ولقد فعله، وهو يفعل كل شيء للمرة واحدة، فإله لم يعطه القدرة على تكرار المعجزات. كما أنه وقد أوقف التحول إلى قطة لا يستطيع أن يفعل التحول نفسه.

هنا نظر شعبان محمد الطيب العالمي إلى الشيخ شمعان، وبدأ الغضب كالعادة على وجهه حين يتكلم منفعلًا وقال له:

- هل كان من الصعب أن تعرف ذلك من مولانا ألف خان قبل أن تأمره بوقف التحول إلى قطة؟



سكت الشيخ شمعدان وتبادل باقي أعضاء المكتب النظر إليه. بعد لحظات قال لآلف خان:

- لكن هل تفعل كل شيء في جبال راجستان مرة واحدة؟ لو كان الأمر كذلك لمات رجالكم من زمان.

- في بلدي أفعله أكثر من مرة، بل ودائمًا، لا أفقد معجزاتي بل أعمل الشيء وعكسه أيضًا. لأنني هناك آكل من كلاًها وخضرها وفاكهتها ولحومها. أرضي هي مصدر قدرتي وليس كرامات الأولياء.

بدأ الأمر مربكًا للجميع. الفكرة التي راودتهم وأقلقتهم أن حضور آلف خان هنا صار بلا معنى ولا هدف، وهكذا ضاع شبابهم. أردف آلف خان:

- هل تستطيعون إحضار طعامي من بلادي؟ لو فعلتم فعلت ما تريدون.

ارتبكوا أكثر. حتى لو فعلوا فسيحتاج الأمر وقتًا والسلطة الآن صارت أكثر حرصًا على مراقبة الحدود، ولو طلبوا من مدير «مزا» أو وزير الأمن والأمان «مم» أن يساعدهم، وأخبروه أنهم سيكونون للنظام ظهيرًا أقوى لا هدف له بعد الآن إلا أن يستمر النظام الحاكم، يشكك كلاهما فيهم، وسيدركان أنهم في مأزق. ثم أنهم أشاعوا أن آلف خان ترك البلاد.

قال الشيخ شمعدان لآلف خان:



- لقد أبعدت يد الحاكم عن مؤخرته. هل يمكن أن تعيدها مرة أخرى إليها فيحتاج لنا ونقول له إن إبعادها يكون مقابل خروج شابنا. اظن هذا أمرًا سهلًا.

قال ألف خان:

- للأسف لا لنفس الأسباب. قلت هنا أفعل الأمر مرة واحدة ومن الصعب أن أفعل عكسه.

قال ألف خان ذلك فراحوا ينظرون إلى بعضهم في حيرة حتى قال الشيخ شمعان:

- نحن ننظر إلى بعضنا كثيرًا جدًا متدهشين محبطين. علينا أن نكون مؤمنين كما كنا دائمًا وكان آبائنا. إما أن نستمر في التظاهر، أو نتغير إلى بناير حين يخرج الشباب في ثورة جديدة وننضم إليهم من أول لحظة.

قال أستاذ الحقوق ميسرة عبد الله:

- وهل سيقبلنا الشباب مرة أخرى؟ ادخل على صفحاتهم أو على الفيس بوك وتويتر واقرأ ما يقولونه عنا.

بان الأسف شديدًا على وجه الطيب العالمي، وراح يركز على أسنانه ويضم شففيه ثم قال:

- نو ظللنا نخرج في مظاهرات سيأتي شهر بناير وفي السجن منا خمسون ألفًا على الأقل، وهم من خيرة الشباب.

قال الشيخ شمعدان:

- لكن لو حصلت الثورة ستقوم وزارة الأمن والأمان بفتح السجون  
كما فعلت في المرة السابقة. هل نبيت أننا كنا مسجونين؟  
هنا قال ألف خان:

- ويمكن لو سجنوكم وفشلت الثورة لا يخرجونكم. بنسونكم  
إلى الأبد.

راحوا ينظرون إلى بعضهم في حيرة من جديد فاستطرد:

- فلينزل المبادئ في المظاهرات من الآن شباب الصف الثاني  
الأقل قدرة، وليبقى شباب الصف الأول حتى يناير.

بدأوا في الابتسام واستمر يتحدث:

- المهم أن نوقف قدرة الحاكم على الإلقاء بالناس في زمن بعيد.  
هنا ابتسم الشيخ شمعدان وتراجع بظهره سعيدًا وقال:

- هل يمكن أن تفعل هنا مولانا ألف خان؟

- أحاول وحتى الآن لم أشعر بالنجاح.

قال الطيب العالمي:

- حاول. حتى لو فعلته مرة واحدة سيكون أثره كبيرًا. نحن  
لا نحتاجه إلا مرة واحدة.

قال ألف خان:

- إذن دعوني أقيم الصلاة وأعتكف إياهاً أخرى لأرى الإثم أصل.

\*\*\*

بينما نزار يفكر في طريقة لا تثير ريبة الزعيم حمدان ورجاله في العردة من الجبل، فكر على نحو مفاجئ كيف حقاً لم يعرف أحد أن شيماء مخطوفة هنا؟ كيف لم يصل الخبر إلى «مرسال» وهو قريب إلى العصاة وأهل ثقة لديهم؟ وهل إذا وصل الخبر إلى مرسال سوف ينقله إلى شهيرة؟ لا يمكن. إن ثقتهم فيه من كونه لا ينقل أخبارهم. إذن كيف يمكن نقل الخبر إلى شهيرة، أو إلى أي أحد؟

نفض الفكرة عن رأسه وقال لا حلّ إلا في الهروب. هروبه هو أولاً. وإذا فشل هروب الطيب وشيماء بعده يكون هو وسط الناس ويستطيع أن ينشر الأمر على صفحات الفيس بوك وتويتر. «الداخلية تتعاون مع قطاع الطرق وتخطف الناشطة الياضية شيماء».

إذن فليمضوا في خطتهم. لقد صار طيب الأطفال الشاب حلقة الوصل في الحوار مع شيماء الآن. هو الذي يسمح له المعلم حمدان بالجلوس معها عدة دقائق كل يوم يتابع حالتها التي هي في الحقيقة لم تكن معاناة من أي شيء إلا الخطف والتفكير في أهلها وماذا يعانون الآن. لقد صار الزعيم حمدان بائساً من الزواج منها، ومثل أي مجرم حقيقي لا بد أن يفتح باباً مرة للشهامة ومن ثم لم يشأ أن يفتصبها. يريد لها بإرادتها لشعر بالزهو؛ لذلك سكت عنها كل هذا الوقت، ويوم

أن تفعل معه ذلك سيخايل على مدير الأمن ويزهر عليه. من ناحية أخرى صار نزار يجلس مع الطبيب وقتاً طويلاً وحينهما في الوادي وسط ظلام الليل أو نور النهار.

قال الطبيب:

- أخشى أن تفشل خطتنا فيقتلونني وشيما.

قال نزار:

- لماذا تفشل؟ ستضع لهم شيما المخدر في الماء.

- أخشى أن يفيقوا ونحن في الطريق.

- ألا يمكن أن تزيد الجرعة بحيث ينامون يوماً كاملاً؟

- لا يمكن لأن ما لدي في الزجاجة قليل جداً قياساً على عددهم.

- يعني كم من الوقت يمكن أن يتم تخديرهم؟

- على الأكثر نصف ساعة.

فكر نزار قليلاً في الذين خدروهم في الميدان. مقادير «البنج»

التي استخدمت لتخديرهم. كم بقوا مخدرين وكم كانوا سيفنون لولا معجزة معاد حسني. ابتسم ثم قال:

- اسمع. يمكن أن تكتب اسم المخدر في روشة وتطلب منهم أن

يشتروه دواءً لشيما. سيحضرونه من صيدلية في البلد ولا يدرون أنه مخدر.

ابتسم الطبيب وقال:

- وما أدراك إذا كان حفظنا سيئًا وقال الصيدلي لمن سيذهب إليه  
«ليس عندنا هذا المخدر وابحث عنه في صيدلية أخرى»، سيعود من  
ذهب قائلاً «إنني أرسلته ليشتري «بنج» وليس دواء.

سكت نزار وهو يشعر بالإخفاق ثم قال:

- هل تستطيع ركوب الجمل؟

- لم أجرب لكن لا أظنه صعبًا. لكن لماذا تسألني؟

- لا يجب أن تهربا مثيًّا. هنا جملان الآن بعد أن ذبحوا جملًا من  
قبل. بعد أن تخنقهم اركب جملًا وثيماء تركب الآخر. الجمل أيضًا  
سيعرف طريق الهروب أفضل منكما.

- تقصد أنهم لن يصلوا إلينا بعد أن يفيقوا لأنهم سيكونون  
بلا جمال؟

- أجل.

- طيب والسيارة؟

- هم خلعوا بطاريتها حتى لا تهرب بها. افعل فيها أي شيء يعطلها  
لو أعادوا البطارية. انزع البوجيهات مثلًا فلن تدور.

هز الطبيب رأسه وقال:

- فكرة. نكن لن افعل ذلك الآن. سأفعله بعد ان يتم تخديرهم.  
متى سترحل انت حتى نهرب نحن؟

قال نزار:

- غدا سأطلب من الزعيم حمدان ان يتركني ارحل، وسأشكره  
على استضافتي. في اليوم التالي لرحلتي تهربون وسأكون في انتظاركم  
عند شهيرة. عنوانها تعرفه شيما.

سكت الطيب قليلاً وقال:

- لا أستطيع ان اصدق انك ضيف هنا! هؤلاء الناس لا يستضيفون  
أحدًا أبدًا. لقد استمعت اليوم لحديث الزعيم حمدان مع أحدهم  
يقول فيه «عندنا صيد وفير. الذكور الأول مطلوب من البوليس.  
يمكن ان نعيده لكن بعد ان يتركنا مدير الأمن نسرق عربة البنك. دي  
قصاد دي».

سكت نزار قليلاً وهو يشعر بارتباك حقيقي. هل خائنه شهيرة أم  
ان هذا اكتشاف الزعيم حمدان وحده. لا بد أنه كذلك. قاطع طريق  
ينفذ لمدير الأمن ما يريد لا بد ان يبيع ويشتري أيضاً معه في الحديث،  
ولا بد أنه أخيره عنه فتعرف مدير الأمن عليه. لقد غير الزعيم رايه  
وطمع في أموال البنوك. واستطرد الطيب:

- لذلك لا أنصور أنهم ستركونك.

نظر إليه نزار في حيرة فاستمر الطيب:

- ولو طلبت منهم العودة ورفضوا ستزداد رقابتهم عليك؛ لذلك  
الفضل شيء هو أن تهرب معنا. لا داعي للنف والدوران. هي معركة  
وسنخوضها مباشرة.

وجد نزار ما يقوله الطيب هو الصواب أو الأقرب إليه، وقال  
الطيب:

- سهرت غداً بعد الغداء. استعد لركوب الجمل معي.



أصبح الناس ليجدوا على جدران العمارات المحيطة بالميدان  
شعار «الخروج على الحاكم حرام شرعاً. إذن أعيذوا الملك فادي».   
كان الشعار متكرراً بشكل مثير، وتالت على وزارة الداخلية المكالمات  
تؤكد أن الشعار وجد أيضاً على جدران العمارات في كل الميادين  
الكبرى في البلاد. ارتبك العقيد مؤثر وارتبك اللواء سرّي فايز مدير  
حماية الدولة الذي كانت المكالمات تأتيه في الوقت نفسه التي تأتي  
لمؤثر، وضحك الحاكم وهو يتناول إفطاره مع زوجته وقال:

- مش ناقص غير ابن الهبله دا اللي يرجع للحكم. من ابن حرام فكر  
في هذا؟ لا يوجد غيرهم النصيحة والهدى. حسبي معاهم قريب.

قالت سناء هانم:

- على مهلك سيادة الحاكم. النصيحة والهدى طول عمرهم  
رائعين هنا الشعار مناصرة منهم للحاكم، وليس من أجل تغييره.



هناك جماعات دينية كثيرة جدًا في البلاد لا بد من وقفة معها. وأرجوك  
لا تصف الملك بابن الهبله لأنني نفسي أكون مثل أخواته البنات. أميرة  
أو ملكة.

ابتسم الحاكم وقال:

- ضباط عملوا عليه انقلابًا جاءه الحرس الملكي طلبوا بسمع  
لهم يهاجموا الضباط، قال لهم سأترك الحكم حتى لا يُقال عني إنني  
تسببت في إراقة دماء شعب اللاوند. يا أخي تك نيلة. ودا شعب دا؟ دا  
حتى اسمهم لاوندين! ولاد لاوندي يعني. لكن الحمد لله وضع لنا.  
سكت سناء هانم وسكت هو لحظة ثم سألها:

- أنا حتى الآن لا أفهم هذا الشعب ولا أعرف ماذا تعني لاوند.  
ولا أظن أن حاكمًا قبلي عرف..

وضحك قائلاً: كلهم ولاد لاوندي!

ابتسمت وقالت:

- أنا أعرف. الأستاذ برقوق الخبير الثقافي شرحها لي. قال لي  
اللاوند محاربون قدماء في أعالي البحار. هذا الشعب منذ آلاف  
السنين كان يغزو البلاد البعيدة عبر البحار.

ابتسم الحاكم ساخرًا وقال:

- والله ما مضيعك غير برقوق هذا وشكته الذين زرعوا في دماغك  
ان ابتنا يورث الحكم. من ساعتها الجيش رافض ومدكن والشعب  
هضبان.

ثم ابتم اذ تذكر كيف تراوده سعاد حني كثيرًا في الأحلام. كيف  
انه يستيقظ أحيانًا ناظرًا حوله خشيّة أن يكون أصدر صوتًا ما. إن سعاد  
حسني تتحدث معه ويرد عليها. هكذا يتصور. لكنها الليلة جاءت  
نركب قنطروس أفزعه حين رآه حصانًا نصفه الأعلى لرجل وقالت  
هذا جدك وأنا أحبه من أول الزمان. لقد استيقظ فرحًا بحق واتبه إلى  
انه هذه الليلة بالذات نام على سرير مستقل في غرفة أخرى. كان يتظر  
استحلامًا بلا خوف لكن سعاد أفزعه بالقنطروس. لكنه ضحك بعد  
أن أدرك كل شيء وقال لنفسه لماذا حقًا خاف من القنطروس. اليس  
بجده؟ لقد أخبره وزير الأمن والأمان أن لا أحد يحمل لقب قنطروس  
في لارند كلها غيره، إذن ماذا يحدث لو ذهب إليه ليراه مرة؟ تمنى لو  
أخذته سعاد إليه وأعادته. بل فكر أن يفعلها ويذهب بنفسه ويستطيع  
العودة. ما دامت سعاد بدأت تظهر له في الأحلام فستظهر له في  
الحقيقة.

كانت سناء تتابع شروده وتندهش لكنه لم يقل لها شيئًا.

على الناحية الأخرى كان وزير الأمن والأمان في دهشة من تطور  
المعركة مع جماعة النصيحة والهدى. إنهم لا يكفون عن النزول إلى  
الشوارع والميادين ويقبض على شبابهم رغم أنهم لا يدركون أنه

سيفرج عن جميع الشباب تنفيذًا لوعده لسعاد حسني. لقد صار أمامه الآن العقيد مؤثر واللواء سرّي فايز فقال لهما:

- أولاً أريد مسح كل الشعارات التي على جدران البيوت.

- في كل البلاد يا أفندم؟

هكذا تساءل العقيد مؤثر فأجاب الوزير:

- نعم.

- وبعد ذلك؟

تساءل اللواء سرّي فايز فقال الوزير:

- وحتى يحدث ذلك يتم الإفراج عن كل الشباب المقبوض عليهم في المظاهرات والاحتجاجات.

تبادل اللواء والعقيد النظرات في استغراب فقال الوزير:

- عندما ترونني وزملاؤكم وقد صارت لي قدرات الحاكم وقدرات مدير «مزة» سخر حون لأنني سأستخدم ذلك لراحتكم.

نظر إليه اللواء سرّي فايز في حيرة شديدة، بينما العقيد مؤثر راح يستعيد ما جرى ليلة ذهابهما إلى المقابر. هل تم حقًا اتفاق ما بين الوزير وسعاد؟ وإذا بالوزير يضحك بقوة ويقول:

- ألا تلاحظون أن مقاعد الاجتماعات لم تعد تخرج منها

خوابير؟

قال اللواء سرّي فايز.

- الحقيقة يا افندم اننا لم نجلس في مكتبك من وقتها. دائما نقف.

قال الوزير في ثقة وفخر:

- أنا جريتها اليوم ووجدتها أكثر راحة من ذي قبل. انصراف.

كان مظهر نزار وشيماء مثيّرًا للارتباك والشفقة حين رأتهما شهيرة والداهما. لكن صدمتهما كانت كبيرة في أن شيماء كانت مخطوفة لدى قطاع الطرق بتنسيق مع مدير أمن المنطقة. قال والداهما لنزار:

- ادخل إلى الحُمام أولاً احلق ذقنك واستحم ثم ارتدي جلباباً من عندي حتى نشري لك بللة وملابس جديدة.

وقالت شهيرة:

- وأنت يا شيماء تدخلين بعده ثم نتحدث فيما يجب أن نفعل.

لم يطل الوقت وكانت شيماء ونزار وشهيرة معاً. تركهم الأب قائلاً لهم وهو ينهض:

- لا تفكروا في شيء مما حدث. لا تقلقوا من قطاع الطرق. ما دمتم تركتم الجميلين أسفل الجبال سيمودان. هم لن يتحدثوا في الموضوع ولن يبحثوا عنكما ولن يضرؤا بشيء. أعني لا تقلقوا علينا. لن يستطيعوا مواجهة العائلة لأننا أرسلنا نزار لحمايته لا لاستغلاله في صفقة مع مدير الأمن.

بعد أن خرج الأب من الغرفة ناءت شيماء:

- كيف حقًا تعرفون هؤلاء الناس يا شهيرة؟

اجابت شهيرة:

- نحن لا نعرفهم. مرسال هو الذي يعرفهم.

- لكن مرسال قريبك كما عرفت من نزار.

- أجل. إنه مفيد في بعض الأحيان. إنه يمنع قطاع الطرق من

القرية كلها. لا نألبني كيف عرفهم. المهم الآن طمئني هل اعتدى عليك أحد.

قالت شيماء:

- متدهشين حين أقول لك إن الزعيم باختياره لي منع عني أي

سوء من رجاله. والأهم أنه صبر عليّ كثيرًا حتى هربت. أنا مندهشة من قوة احتماله.

قال نزار:

- أحيانًا يلوذ المجرمون بشيء من الإنسانية ولو مرة. يحركهم

اللا شعور كأنما يكفرون عن أفعالهم.

شملهم الصمت لحظات ثم ناءت شهيرة:

- ماذا نفعل؟

قال نزار:

- فيما يخصني لقد كان هذا اختياري. لكن ما حدث مع شيماء.  
لا يجب أن يمر.

قالت شهيرة:

- المهم الآن هل لدى شيماء الرغبة في فضع ما جرى؟ نحن في  
الجنوب ولن يصدق أحد أنها عادت سليمة لم يفتصبها أحد هناك.

سكت نزار. بل وأطرق إلى الأرض. قالت شيماء:

- لقد فقدت صديقتي الجميلة التي قفزت من البلكونة لتنضم  
للثوار فماتت، ولا أعرف ما هو حال أهلي الآن، لكن سأواجه الأمر.  
المهم أن أصل إلى أهلي في الصباح.

- تستطيعين أن تخبريهم الآن أنك هنا. وانت يا نزار لا بد أن تخبر  
ماما كريمة فوراً.

كان كل منهما بلا تليفون محمول. أعطتهما شهيرة تليفونها وتحدثت  
شيماء أولاً، ولا يعرف أحد ماذا قالت أمها على الناحية الأخرى. لقد  
انفجرت شيماء في البكاء فانتقلت شهيرة جوارها تحيطها بذراعيها بينما  
أطرق نزار متأثراً. ثم ضحكت شيماء وقالت وهي تبكي:

- أمي تحركت من سريرها. قال لي أبي إنه أصابها شلل بعد  
اختفائي كل هذا الوقت وكادت تموت، تحركت حين قال لها إنني



أهيس. تريد مني أن أسافر إليهم الآن. أجَلْتُ الحديث معها عما جرى حتى أذهب.

قالت شهيرة:

- الليل دخل هل تعرضين نفسك للخطف من جديد؟

ابنم نزار وقال:

.. شيماء تعودت.

ضحكوا. وتناول التليفون الجوال وتحدث إلى أمه، بينما التليفون يذق قال:

- متبكي امي. أعرفها.

أخبرها بعودته وأنه سيرحل إلى العاصمة في الغد. وسكت لحظة بسمعها ثم قال:

- لا تبكي ماما لم أكن سأناخر أكثر من ذلك. سامحيني. الفكرة المجنونة التي سيطرت علي هي السب. أجل هذا تليفون شهيرة. سأسلم لك عليها. عملت لك صفحة على الفيس بوك؟ تمام. اكسي عليها «نزار ظهر وكلمني».

قررت شيماء أن تبقى إلى الغد. وفي غرفة نوم الضيوف تمدد نزار على سريره ينتظر الصباح ليعود إلى العاصمة. لم يكن من السهل أن ينام. لا يشعر بالتعب فقد نام كثيرًا في مغارة الجبل. كان يفكر مهمومًا أكثر من كل وقت مضى.

فساد كبير في هذا الوطن يجعلنا غرباء فيه. وطن يبدو كأنه لم يكن من الأصل مهيئاً لنا. لقد كنت أرى القمر بالليل وأنخيل أنني محب بقول شعراً الحبيته في البادية ما دامت قد انقطع منها الأحباء وصارت لقطع الطرق. من هنا مرّ آلهة بلدنا القديمة ونزلوا إلى المدن ملأوها بالخبر ففقدتهم الناس وعبدتهم وبنوا لهم هياكل ونماثيل ومعابد ورسومهم ونحتهم في قلوبهم وعلى الأحجار والجدران والأعمدة. هذه البلاد التي تسمى «لاونده» منفورة للسرقة منذ دخلها الأجنيبي، وحتى بعد ذلك حين خلصت لأولادها راح يحكامها بمرقونها. تحدثوا كثيراً عن ظلم الأجنيبي وتفوقوا عليه في الظلم والنهب. وليتهم يعرفون درس التاريخ.

لقد جاء الطيب الشاب محمود محمد محمود ليسرع من عودته وعودة شيماء. لقد سافر مباشرة إلى العاصمة بعد أن اتفقوا معه أن لا يتحدث في شيء قبل أن يستقروا على ما يفعلون ثم يخبرونه. ماذا كان مقدراً له أن يحدث لو لم يتم خطف الطيب الشاب؟ تسليمه إلى رجال الشرطة هو أبسط الأمور لكن العصابة كانت ستحتفظ به كثيراً تراوغ به وتساوم وتكذب أكثر ثم في النهاية تسلّمه جثة.

أحس بالارتباك وشيء من الخوف. كم كان أحمق في مغامرته وماذا يفيد أن تقتنع السلطة بكفبتها من أن هذا عام جديد حقاً أو لا تقتنع. عليهم في كل الأحوال التمهيد لثورة أخرى وإن كان هذا العام 2010 كما قررت السلطة العبيطة أو 2011 كما هي الحقيقة.

المهم الثورة وليس الزمن. الزمن لا يمر بين الجبال. لكنها تجربة جديدة يا نزار قد تكتبها يوماً. ما الذي يمنع؟

وسمع طرقات خفيفة على باب غرفته. لقد انتصف الليل بل واقترب الفجر. لا بد أنه أبو شهيرة. فتح الباب ليجد شهيرة أمامه في ملابس نوم محتشمة. روب يخفي كل جسدها وفراعيها فوق ما نرديه. لكنه ارتبك وشهيرة تتحدث بصوت خفيض:

- تعال.

ازداد ارتباكها.

- آجي فين؟

قالت هامة من جديد وهي تمد يدها تمسك بيده وتشده:

- تعال ما تخافش ما تخليش صوتي يعلى. بابا يصحى وماما.

مشي معها غير قادر أن يصدق. خطرات ودخلت به شهيرة غرفة نومها فوجد شياء تجلس في ملابس نوم أيضاً أعارتها لها شهيرة وفوقها روب يغطي جسدها تماماً وتمسك في يدها التابليت الصغير الذي يخص شهيرة وتقدمه إليه. أمسك به وهو واقف وجده مفتوحاً على النيس بوك ر على صفحة الدكتور محمود محمد محمود الذي كتب:

« ليس لي علاقة بالياسة من قريب أو من بعيد، لكنني مررت بنجربة لا يمكن تصديقها. خطفني قطاع الطرق في الجنوب وأنا عائد

إلى المدينة من المستشفى البعيد بسيارتي. كانوا كما عرفت فيما بعد يتظنون عربة أموال البريد التي قالوا إنها تشبه سيارتي لذلك أخطاروا وخطفوني أنا. إلى هنا والأمر ليس له علاقة بالسياسة، لكني بعد أن وصلت مغربي العينين إلى أعلى الجبل وجدت فتاة مخطوفة اسمها شيماء سعيد ووجدت شاباً من الناشطين السياسيين المعروفين اسمها نزار حسين. نزار لم يكن مخطوفاً كما قال لي. لكنه أراد أن يتعدع عن السياسة فجاء إلى الجنوب ليعيش بعض الوقت مع قطاع الطرق ليرى عالمًا غريبًا. لن أقول الحقيقة هنا ولا من أوصله لأن ذلك قد يترتب عليه مشاكل كثيرة، لكني عرفت أنهم - قطاع الطرق - استغلوا وجود نزار وسامو موابه - ما دام شخصاً مطلوباً للبوليس - مدير الأمن أن يسلموه له نظير أن يتركهم يسرقون سيارة أموال البنوك التي تتحرك كل أسبوع إلى العاصمة. سمعهم صدقة يقولون ذلك ولم يتصوروا أنني سمعهم نزار اقنعني أن أهرب وشيماء بعد أن يتأذّنهم في العودة والحق به عند صدقة لهما لن أقول اسمها أيضاً. أخبرته بما سمعت. كان معي زجاجة مختر صغيرة استخدمتها شيماء التي يرغمونها أن تعد لهم الطعام، وضعتها في المياه التي يشربون منها مع الغداء. كان البنج قليلاً ولم يخلدوهم أكثر من نصف ساعة. أخذنا الجميلين اللذين عندهم. ركبنا أنا ونزار جملاً وشيماء جملاً وهربنا تاركين الجميلين أسفل الجبل. الآن اعتبر نفسي واحداً من شباب السياسة. هذا بلد يحكمه لصوح ولر أتخلي عن إسقاطهم. سترونني في كل عمل سياسي بعد اليوم،

كان نزار يقرأ مذهولاً حتى إنه لم يجلس إلا بعد أن انتهى. جلس على المقعد ينظر إليهما في دهشة كبيرة. وكان على الصفحة صورة لشيما لا يعرف كيف حصل عليها محمود. قالت شيما:  
- قدر الله وما شاء فعل. لا تخافوا على أهلي. ولا علي من أهلي.

قالت شهيرة:

- إذن لا بد من الحشد حول الموضوع في كل الصفحات.

نظر نزار إلى التابلت وقال:

- ألف وخمسة شير حتى الآن. سأنقل إلى تويتر حتى أرى هل وصلهم ما كتب.

وانتقل إلى تويتر فقال في دهشة كبيرة جداً وفرح:

- هاشاج شارك فيه حتى الآن خمسون ألفاً في ساعة واحدة.

- هات أشوف.

أعطى التابلت لشهيرة التي قربته من شيما وراحا تقرأن:

#حاكنا\_قاطع\_طريق. بسم النبي حارسه طلع من أيام  
الممالك.

#حاكنا\_قاطع\_طريق. وأنا أقول له حلت يه أكثر من مرة  
مستخبي في المغارة.

#حاكنا\_قاطع\_طريق. منه لله شايف الطرق حلوة أوي في  
البلدا

#حاكنا\_قاطع\_طريق. اتاري النور بيتقطع في الشوارع كل يوم  
بالليل.

#حاكنا\_قاطع\_طريق. على فكرة مش مدير الأمن اللي اتفق مع  
المصابة يخطفوا شيماء. دا بلامته الحاكم يغير شكله.

#حاكنا\_قاطع\_طريق. امتى حيتي شجاع ويعمل اجتماعات  
الحكومة في بطن الجبل.

#حاكنا\_قاطع\_طريق. مش كفاية حاجتها الحلوة ماتت؟  
كمان تخطفوها يا معنفين.

#حاكنا\_قاطع\_طريق. يا شيماء كلنا بنحبك ومش حسب  
حقك وحاخد تارك.

#حاكنا\_قاطع\_طريق. حاكنا ازاي وهو مش عارف يفرق بين  
عربية الدكتور وعربية البريد؟

#حاكنا\_قاطع\_طريق. كنت عايز ترق فلوس البوستة؟ مش  
كفاية عليكم فلوس البنوك.

#حاكنا\_قاطع\_طريق. شيماء جميلة أوي يا جدعان والريس  
عنده حق.



هنا قالت شهيرة:

- ياللا ياستي انبسطي بأه.

ابنمت شيماء وابنم نزار وظلوا يتابعون القراءة:

#حاكمنا\_قاطع\_طريق. شفت يا مولانا أنت وعصابتك. حذفتنا  
سنة ورا اسعاد حسني رجعتنا. خطفت حبيتنا شيماء جالها دكتور  
انفنها.

#حاكمنا\_قاطع\_طريق. انتم لسة عارفين. دا أنا كل يوم أشوفه  
واقف على الطريق الدائري مع عصابته بالسبوف والآلي يخطفوا  
العربيات.

#حاكمنا\_قاطع\_طريق. عرفتم يا اللي انسرفت عربياتكم يومين  
الثورة فين هي دلوقت. ياللا اطلعوا على قصر الحكم هاتوها.

#حاكمنا\_قاطع\_طريق. ألف سلام وتعبية للدكتور محمود محمد  
محمود. حتى اسمه يا جدعان بشير الحنين.

#حاكمنا\_قاطع\_طريق. كلها كام أسبوع ويناير جاي. تخليها 2011  
نخليها 2012 ترجعها 2009 هي آخرتك وعصابتك.

#حاكمنا\_قاطع\_طريق. سيكوا شوية من الكلام ده. حد عارف  
مين ورا اليفط اللي ظهرت في الميادين بتطالب بعودة الملك فادي؟

#حاكمنا\_قاطع\_طريق. بتوع النصيحة والهدى بيرجعوا في كلامهم  
في الخروج على الحاكم. نبيوا انهم كانوا مع الانقلاب القديم.



#حاكمنا\_قاطع\_طريق. دي جماعة جديدة من الشباب اسمها  
«ارجع يا فادي» كل أعضائها يغيروا أسمائهم بحيث تبدأ بحرف  
الفاء.

#حاكمنا\_قاطع\_طريق. أيوة سمعت بيها والنهارده قابلت خمس  
منهم اسمهم فاروق ويتين اسمهم فادية وفايزة.

#حاكمنا\_قاطع\_طريق. يبقى الدولة الهبة حتمبض على كل انلي  
اسم يبدأ بحرف الفاء.

#حاكمنا\_قاطع\_طريق. ومين عارف يمكن يقبضوا على كل  
البنات اللي شبه سعد حسني.

## 23

- أنت لازم تشوف لك حل في رجالك دول؟

هكذا دخلت الهانم زوجة الحاكم عليه مكتبه منفعة غاضبة. نظر إليها في دهشة وغيظ. هو لا يحب أن تأتي مكتبه دون موعد رغم أنهما يعيشان في القصر الحاكم نفسه. كان لديه بالفعل لقاء مع السر عكر ناظر الحرية ووزير الأمن والأمان «مم». نظر في ساعته فوجد هناك عشر دقائق باقية على بدء اللقاء.

- زعلان إني جئت من غير ميعاد؟

سألت وهي لا تزال واقفة فقال:

- اقعدى يا سناء. قدامى عشر دقائق على الاجتماع. لينك لا تفعلينها مرة ثانية. فيه إيه؟

- فيه كبير!

قالت ذلك بغيظ فقال:

- إلى هذه الدرجة! هل ختكت مثلاً؟ تعرفين أن البروستاتا ضاعت خلاص وهذه كانت شورتك الوردية.

- فيم تكلم؟ مالي أنا وهذا الكلام. أنا بأفكر أكتب عليه المحل مغلّق إلى الأبد.

نظر إليها في رعب وقال:

- يخرب بيت أهلك حد يسمعنا. الحجرة فيها أجهزة تنصت وأنا عارف.

- فليسمعوا ما يريدون. هم أيضًا حياة نسوانهم كلها معي على سيديها.

- طيب قل لي ماذا تريدون؟

- أنت لا تدري بما يفعله وزيرك للأمن والأمان.

- ماذا يفعل؟

- يروح كل ليلة عند مقبرة سعاد حسني يتكلم معها.

نظر إليها في دهشة وإبامة. ما معنى ما تقول، هل أصابها العت؟  
قالت:

- لا تنظر إلي هكذا. أنا لست مجنونة. أنا لي في الحُكم عبر  
لا تعرفها. اسألني لماذا يذهب؟

- لماذا؟

- لأنه مصدق أن مَنْ أنقذ الشباب هي سعاد حسني وأنها صديقة  
لكينج كونج لينهب كل ليلة بترجاها أن تعطيه كرامات أقوى مما  
عندك.

- وهل أنا عندي كرامات؟ أنا حتى لا أصلي!

- يريد أن تكون عنده القدرة ليرمي الناس وراءه وسيداً بنا.

- يا هانم هل تصدقين ما يقال؟ لا هناك سعاد حسني ولا كينج كرنج. كلها أوهام مجانيين. أنا يوم ما ألقيت البيان الخاص بكينج كرنج كنت أريد الناس تظل متصورة أنه موجود حقيقي. يعني أريد الشعب يفضل مجنون. فيه أحسن من كده؟ أحكم مجانيين براحتي!  
وراح بهز كفيه راقصاً وهو جالس. ثم قال:

- أنا من أعاد الشباب وطلعت إشاعة سعاد حسني حتى بصيهم الجنون. سعاد حسني تاني في الأحلام تقول لي ما أقوله أو افعله.  
زمت شفيتها وقالت:

- لن أصدقك. عليك أنت أن تصدقني. أنت لا تتابع صفحات الإنترنت. الشباب الآن يعتبرونك زعيم عصاة وقاطع طريق.  
قال بلا مبالاة:

- وما الجديد؟

كادت تصرخ وقالت:

- ستجتنني. أرجوك اسمع كلامي. ارم وزير الأمن والأمان ألف سنة وراءك قبل أن نخسر كل شيء.  
سكت قليلاً وقال:

- كنت سافعل ذلك دون ان تقولي او تفقدي صوابك.

ثم ضحك وهمس:

- هل صحيح بتفكري تكبني على صاحبنا مغلق إلى الأبد.

- ماذا سافعل؟ هل اضحك على نفسي؟

- بهذه الباطة؟

سكتت ولم ترد، فقال:

- يعني أنت من بين الشعب كله!

- لو اقدر أعملها في نسوان البلد كلها كنت عملتها.

قام مبتعدًا عن مكتبه يضحك وقال:

- لكن النسوان لا يمكن تفكر مثلك ولا تكون رغبتهام مثلك أبدًا.

عندهن دائمًا أمل.

وعاد إلى مكتبه بينما شردت هي لحظات ثم قالت:

- نفسي على الأقل أعملها في نسوان وزير الأمن والأمان هم.

وقياداتك كلها.

- لا. ابعدني عن قياداتي. اتركيني أنا أختار الوقت. أعملها في

نسوان النصيحة والهدى. خيلنا نضحك.

- كيف؟

- فكري فيها بعمق وستحدث. هذه أول الكرامات. هل تتصورين ان احدا ساعدني ارمي الاولاد في السنة الماضية؟ ابدا. انا نمتها راحست بربنا يقول لي اعملها وستحدث كما فعلت في الصحفي من قبل وفي السر عسكر. وباعتبار ان سرّي باتع، وأنت تعيشين معي خمسين سنة الآن، اكيد روحك شريت من روحي، المهم ابدني على صفيّر. يعني نوان قيادات النصيحة والهدى كفاية الآن، لكن من غير فسة لاننا نحتاج إليهم.

- لماذا لبرا جميعا؟

- لان الشر على كبير حرام.

- نعم يا اخويا!

ابتسم وقال:

- ثم أنت عارفة أن الأعضاء الصغيرين لا ذنب لهم يمشون في الطابور وراء الكبير.

سكتت تنظر إليه منهشة منه الذي لا يدرك المزامرات حوله لكنه قال:

- أقول لك. تمنى أي شيء يحدث في الغرفة الآن. نجرب.

نظرت إليه منهشة تبسم فإذا به يتخض من مكانه يلم ملايه من فوق الأرض وهي تضحك بقوة وهو يقول: «عملتي إيه الله يخرب بينك إحنا عندنا اجتماع».

راحت تساعده في ارتداء ملابسه وتقول:

- لم أكن أعرف أن كلامك صحيح. أردت أهزر معاك طلع جد.

انتهى من ارتداء ملابسه وقال في غضب:

- اخرجني. لا أريد أن أراك اليوم.

خرجت مسرعة تضحك وهو جالس مبسم ويضحك أيضًا وهو يقول لنفسه: «أنا اللي فكرت أنها ممكن تمنى كده فحصل، زمانها فاكدة نفسها السيلة نفيسة. يا رب نيران قيادات النصيحة والهدى يحصل لهم اللي فكرت فيه كمان. قادر يا كريم. كل واحد عنده أربعة ومستي كمان الحور العين!»

لكنه فجأة فكر أن كذبه عليها بأن سعاد حسني تزوره في الأحلام تملبه ما يفكر فيه حقيقة. لثلاث ليالٍ الآن يراها قادمة فوق كائن غريب نصفه الأسفل حصان ونصفه الأعلى بشر وتضحك وتقول له هذا جدك القنطروس أعيش معه بين الجبال والغابات فهل تود أن تراه. ليتك تفعل هذا. وينهض من النوم مبسمًا ويقرر أن يحكي لزوجته لكنه يتراجع فيقول عنه إنه مجنون، ويكتفي بالدهشة والابتسام.



فكر الشيخ شمعون كيف حقًا يلتقي بأعضاء المكتب القيادي اليوم بعد ما رأى. لقد جلست زوجته الأكبر سنًا أمامه بعد أن أخبرته بما جرى، وكانت تضحك وتضرب كفاً بكف:



- ماذا تقولين يا امرأة؟

سألها متصوراً أنها تداعبه. لكن هذا النوع من الدعابة لا نعرفه.  
قالت:

- لست وحدي. نحن الأربعة.

وضع الدهول على وجهه. قالت:

- وكالعادة أنا من تتكلم بالنيابة عن الجميع. اقنعتهن أن لا يتظرن  
مرورك عليهن خاصة أنك تتأخر كثيراً هذه الأيام.

نهض من مكانه يضرب هو أيضاً كفاً بكف. لا يمكن أن يكذب  
جميعاً.

ما حدث معها هذا الصباح حدث مع الأخريات. فكرت في  
الاستحمام. فتحت الدولاب لتأخذ ملابسها الداخلية. ما إن فتحت  
حتى خرج منه جراد كبير الحجم مختلف الألوان يرف بأجنحته دائراً  
في الغرفة ويحمل في فمه سراويلها الداخلية الرقيقة الصغيرة ولا يبدو  
أنه سيتوقف أو يتركها فيما تراجمت هي للحائط في دهول ورعب  
تكاد تنهار على الأرض. ما الذي يحدث هنا؟ لكنها جرت إلى النافذة  
فتحتها فخرج الجراد حاملاً «الكيلونات» الصغيرة، بينما انهارت هي  
في هدوء تكاد تفقد الوعي على السرير.

عادت إلى الدولاب تقلب باحثة عن سراويل باقية فلم تجد منها  
شيئاً. شردت لحظات في صدمة ثم فكرت كيف تعلن ذلك لزوجها؟

قررت أن تخفي الأمر خاصة أنه لن يقترب منها إلا بعد ثلاثة أسابيع،  
فلكل واحدة من الباقيين يوم، ولا يمر على الأخرى الآن إلا بعد أسبوع،  
هو الذي يتباهى أن الأجداد كان الواحد منهم يطوف على نساءه بفعل  
واحد. لكنها حين التقت ببقية النساء وجدتهن في حالة من الصمت.  
كل منهن تبدو مهمومة بأمر لا تعلنه.

- ما لكن أيتها الحريم؟

تبادلن النظر في حيرة وسألتهن واحدة منهن:

- هل دخلت الحمام اليوم؟

ارتبكت لحظة وقالت:

- أدخله كل صباح قبل أن أفاكن.

تبادلن النظر في حيرة من جديد. لم تتكلم أي منهن. سألتهن:

- ماذا يحدث في الحمام؟

وقفت أصغرهن سناً وقالت ضاحكة:

- لم يحدث أي شيء. المياه الساخنة موجودة والمياه الباردة

موجودة وكل أنواع الشامبوهات المستوردة. كل شيء كما هو إلا  
شيئاً واحداً.

وأشارت بين فغذيها فابتسمت الأخريات وأدركت هي أن شيئاً

حدث لهن مثلما حدث لها لكنها تساءلت:

- ماله؟

قالت الأصفر سناً وهي مستمرة في الضحك:

- كيف دخل الجراد إلى دوالينا دون أن ندري. كيف يحمل

الجراد سراويلنا؟

ثم خاطبتها:

- ألم يحمل الجراد سراويلك؟

هنا ضحككن جميعاً إلا هي. كان عليها أن تعترف أولاً أنه جرى لها ما جرى لهن. اعترفت وتناقشن ووصلن إلى أنه لا يمكن أن يكون السبب الشيخ شمعدان. إنه لا يفعل شيئاً فيهن سرّاً كما أنه لا يخطر بباله أن يفعل شيئاً من هذا. قالت واحدة منهن:

- لو الكلام حلو كنا قلنا معجزة من عند ربنا، لكن أكيد من فعله يريد أن يغيظنا. ثم إن الجراد حمل كل السراويل. كل الغيارات يعني. من يفعل هذا غير شخص مقيم معنا؟

انتهين بعد النقاش إلى أهمية أن يخبرن الشيخ شمعدان بما جرى، حتى إذا كان هناك من يستطيع التسلل إلى حجراتهن يسمى هو لمعرفته. كما أن اليوم موعد لقائه بالأصفر منهن وسيعرف، وهي لا بد ستخبره بما حدث لهن جميعاً؛ لأنه يمكن أن يتخيل أنها قالت ذلك كي تغيظه على نظامه غير المشيع لهن. أو على الأقل تسخر منه هو الذي يحبهن ويعاملهن بالمعروف، حتى إنه يغيرهن كل عام بعد

أن يعطي كل واحدة منهن أكثر مما تطلب من مال وسكن! هذا رجل صالح لا يجب أن يكسر بخاطره أبدًا!

كان الشيخ شمعون يستمع إليها في ذمول وكان يغيظه أنها تضحك وهي تكلم. قالت في النهاية:

- يمكنك أن تدخل معي إلى حجرة النوم وتري بنفسك.

كان شارقًا بفكر هل هذه حرب جديدة يشنها عليهم حاكم البلاد ورجاله؟ وإذا كانت كذلك فكيف سيواجهها؟ هل يمكن أن يخبر مولانا ألف خان بشيء كهذا. هل يمكن أن يتناقش مع أعضاء المكتب القيادي في شيء كهذا؟ وهل يمكن أن تكون هذه رؤى من صنع خيال النساء اللاتي اردن أن يبدن أسفهن لآخره عليهن فيغير نظام المعاشرة. لكنه سري. سري ويتأكد بعينه.

أخذ زوجته إلى حجرة النوم وفتحت الدولاب وراحت تقلب ما فيه وتقول:

- كما ترى. لا توجد سراويل.

صرخ:

- مستحيل. لقد دخلنا في منطقة الحر.

أحس بالضيق بحاصره. لكنه في النهاية قرر أن يهمل الأمر ليعرف الحقيقة. على يقين هو أنها حيلة منهن.

دخل اجتماع مكتب القيادة نافضاً عن ذهنه ما رأى وما سمع. ما إن  
لقى السلام حتى ردوا عليه في فتور. ماذا جرى لهم أيضاً؟ لا بد أنهم  
سي ضيق من المظاهرات التي لا تعود عليهم بأي فائدة. ما إن جلس  
حتى قال:

- أعرف أنكم تريدون وقف المظاهرات خاصة أنه يتم الإفراج  
عن المقبوض عليهم في اليوم نفسه مما أثار تعاطف بعض الشباب مع  
النظام الذي لا يؤذيهم. إنهم لا يدركون حيل هذا النظام بعد.

قال الطبيب العالمي:

- هناك شيء جديد لا بد أن نتحدث فيه بصراحة.

- خيراً يا دكتور. تكلم.

- هل سألت زوجاتك عما جرى لهن اليوم؟

ارتبك الشيخ شمعان. بماذا يجيب؟ هل أخبرته نازة؟ هل  
حدث لزوجاتهم ما حدث لزوجاته؟ فليَظر. قال:

- لا أفهم ماذا تقصد. كنت قادماً من المسجد. تناولت إفطاري  
رودعتهن لأحضر الاجتماع.

قال عماد ليب تاجر الأجهزة للطبيب العالمي:

- أرجوك يا دكتور. هذا الموضوع ليس مكانه هنا، ولقد اتفقنا أن  
لا نتحدث فيه.

قال الطيب العالمي في غيظ:

- نحن لا نتكلم في شيء حرام. وما دام الأمر حدث لزوجاتنا فلا بد حدث لزوجات ناصحننا وهاديننا وأخشي أن يكون حدث لكل نساء التنظيم.

هنا أطرق الشيخ شمعان لحظات بهز رأسه وقال في أسف:

- لو حدث ذلك لكل نساء التنظيم ستكون كارثة، وسيفكر الكثيرون أننا نحارب قوى ميثافيزيقية لا قبل لهم بها، وسيخرجون من التنظيم هذه المرة زرافات.

قال الطيب العالمي:

- لقد وصلوا إلى لانتجيري زوجاتنا ولا فائدة في ألف خان هذا. دا مش محصل حتى ألف باء!!

حط عليهم الصمت لحظات طويلة حتى قال الشيخ شمعان:

- ما دمت تصارحتم بما جرى فنحن في حاجة لمن يستطيع منكم أن يعرف هل طال الأمر بقية نساء التنظيم أم لا.

قال المهندس زكي فاضل ساخرًا:

- وكيف نعرف؟

كادوا يضحكون. أحسوا حقًا بالرغبة في الضحك. لكنهم لم يضحكوا. مطروا شفاههم في حيرة كبيرة. قال الطيب العالمي:

- انسوا ذلك. أنا فعلاً أخطأت بالحديث فيه. سواء حدث أم لم يحدث لبقية النساء لا يجب أن نتحدث فيه. ثم إنه لو حدث لن يتكلم أحد، لا النساء ولا الرجال. سيثيرون بالحرص الشديد. المهم أنني عند رأي أن ألف خان لا قيمة له لأنه كان يجب أن يتبأ بهذا ويمتنع.

قال أستاذ الحقوق ميرة عبد الله مبتمًا:

- أنا على يقين أن ما جرى من فعل الحاكم أبو العساكر. إنه يهزأ بنا. أخشى أن يفعلها في الشعب كله ويطلب منا أن نبرر فعلته كما بررنا كل أفعاله السيئة. من اليوم أنا ضد أي تعاون معه. ولقد نمت مع زوجتي عندًا فيه ثلاث مرات قبل حضوري ولم تغير ثيابها.

لم يستطيعوا أن يمنموا أنفسهم عن الضحك. قال الشيخ شمعدان:

- قدّر الله وما شاء فعل. سأصدر أوامري بتوقف المظاهرات. لقد هاتفني وزير الأمن والأمان «م» قائلاً إنهم في حاجة إلى الراحة، وإن علينا أن نأخذ العبرة من إفراجهم كل يوم عن أولادنا. إنهم يستمدون لنعام الجديد ويريدون أن يتفرغوا لشباب العام الماضي.

قال الطبيب العالمي يائسًا:

- إذن ستعاون من جديد مع أبو العساكر.

قال الشيخ شمعدان:



- لو فعلها مرة ثانية ستقود نحن الثورة. نالنا قدس لنا ولن نسمح لأحد أن يهينه.

قال أستاذ الحقوق ميرة عبد الله في ياس:

- هذا التعاون الذي لا فائدة فيه والذي يضيع كل مجهودات ويجعلنا خونة في نظر الآخرين لا بد أن يتهي، لكننا نطيعك مثل كل مرة، رغم أن الكوارث دخلت أكثر الأماكن أماناً في يوتنا. هذه آخر مرة نطيعك يا سيدنا.

قال الشيخ شمعان:

- أنا أعرف ما أفعل. أبو العساكر إلى زوال قريب. دهونا نبتعد عن الثورة الآن ووقتها يفعل الله أمراً كان مكتوباً.

التي الدكتور مصطفى وأحمد خشبة ونورهان في منزل نزار. لم يكن نزار معهم. لقد أُلقي القبض عليه وهو في طريقه إلى البيت أثناء عودته من عند شهيرة. اجتمعوا مرة من قبل في عيادة الدكتور مصطفى، لكن هذه المرة ألحت ماما كريمة أن يكونوا معها في بيتها. قالت لهم أريد أن يقبضوا عليّ أنا أيضًا. كانوا هم يفكرون أنه لن يتم القبض عليهم مرة أخرى ما دامت أحداث العام الماضي عادت كما هي إلى حد كبير. وإذا تم القبض عليهم فلن يؤثر ذلك في مسيرة الغضب. ستكون الأسابيع القادمة حتى 25 يناير أسابيع غضب عارم. لم يكن سبب الاجتماع هو القبض على نزار الذي قطع رحلة لا معنى لها وتم القبض عليه في النهاية. كان السبب ظهور كتاب الهجوم الإلكتروني على الثورة والشباب والناضيين والنشطاء. كتاب حملت صفحاتهم عنوانًا واحدًا. #آسفين\_يا\_سلطانا\_كلامك\_حق.

دآسفين\_يا\_سلطانا\_كلامك\_حق. انسة دي 2010 لكن غير 2010

اللي فانت فعلاً. ربنا يحملك

«أسفين يا سلطانا\_كلامك\_حق. العيال بتوع حقوق الإنسان  
انكشفوا وحساباتهم في البنوك انراقبت وعرفنا مصادرهم»

«أسفين يا سلطانا\_كلامك\_حق. بقى معقول حد يصدق أن سعاد  
حني تحارب الراجل اللي مراته أم الستات كلها»

«أسفين يا سلطانا\_كلامك\_حق. اكس اللي يقابلك خلي البلد  
تنصف»

«أسفين يا سلطانا\_كلامك\_حق. يا ريت تحذف كل الماجورين  
دول إلى بلاد واق الواق ونخلص»

«أسفين يا سلطانا\_كلامك\_حق. بتوع النصيحة والهدى زعلانين  
منك علشان بتفرج عن عيالهم. نفهم بيبنوا أد إيه أنت عدو.

«أسفين يا سلطانا\_كلامك\_حق. والنبي يا حيننا كفاية على  
بتوع النصيحة والهدى كده. دول أخضر من العيال اللي مَرَعَتها فلوس  
الدول المخارجية»

وغير ذلك كثير جدًا. بل استطاعت هذه الكتاب المفاجئة أن  
تخترق كثيرًا من حجابات الشباب والمدونين وأعلنت بعد كل عملية  
مؤولبتها وبشت ضحكاتها في فيديو ملات الإنترنت.

كان الاجتماع لناقشة هذه الظاهرة الجديدة. طال الكلام  
والحماس في تفسير ما جرى. لقد لجأ النظام إلى الحرب الإلكترونية

هو الذي كان يعتبر ذلك لعب عيال. هنا تطور كبير في الصراع معه. لدى النظام الحاكم قدرات مالية على تشغيل المتخصصين في ذلك من الشباب، بل ومن خارج البلاد إذا أراد.

جلسوا يتحدثون عن بعض الأسماء التي عرفوها والتي فضلت المال على الثورة. كانوا في دهشة وأسف لكن ماما كريمة قالت:

- هذا عادي جدًا يحدث مع كل الحركات الثورية، بل وللثورات بعد أن تنجح أيضًا. الثورة الناجحة لا يجب أن تكفي بخلع رأس النظام. إنه أشبه بغطاء البلاء إذا رفع دون تنظيف البلاء يظهر ما نحنها من قرف على السطح ويكون تنظيفه هو المألة الأصعب. لذلك من الآن يجب أن تعرفوا أنه لا يكفي ثورة تخلع الحاكم فقط.

قالت نورهان:

- للأسف تحولوا بسرعة شديدة.

قال الدكتور مصطفى:

- المهم أننا لم نحول، وما زال الكثيرون مثلنا مستعدين للنضحية.

قال أحمد خشة:

- بأقول لكم إيه. خيلنا إحنا نشغل سيكم من ولاد...

قال كلمة قبيحة فرأى ماما كريمة تنظر إليه بدهشة وقد احمر وجهها خجلًا، أحس هو أيضًا بالخجل والارتباك لكنه ابتسم وقال:

- لا مواخلة يا ماما. ما ينفمش فيهم غير كله.

كان وجهها يزاد احمرارًا. لم ترد على أحمد. وقفت وقال:  
متصنة الانعام:

- اعمل لكم شاي وفكروا حتى اعود.

خرجت إلى المطبخ فقالت نورهان هامة لأحمد:  
- أنت غبي.

كان لا يزال مبتما فقال مصطفى:

- أنت مجنون والله. على أي حال ماما كريمة قلبها كبير. خنونا  
في المهم. ماذا سنفعل الآن؟

طال النقاش تلك الليلة وكلما كادوا يتهمون طرحت عليهم  
ماما كريمة فكرة جديدة تمكوا بها. كيف يقاومون هذا النظام به،  
لا يتوقعه. المظاهرات عرفها والاحتجاجات حفظها ووثائق الإدارة  
والترقيات عليها ملأت أدرجه وهم لبسوا بأهل عنف. سلمية  
سلمية هي شعارهم مع قوم لا يعرفون إلا صوت القنابل والرصاص  
وأمرت الدنيا في الخارج مطرًا عنيًا فجأة. قال أحمد خيبة:

- الشتاء وصل. تفاءلوا بالخير. هذه المرة سنكنس هذا النظام.

ضحكوا. قالت ماما كريمة:

- ما دام المطر شديدًا فيمكن أن نبتوا هنا خاصة أننا لم نتهم من

النقاش.

قال مصطفى:

- لا بد من طرق جديدة. كنا نفكر في ذلك.

قال أحمد خشبة:

- بالنسبة أين ذهبت سعاد حسني؟ هل تخلت عنا؟

نظروا إلى بعضهم في دهشة. قالت ماما كريمة:

- هل ما زلتم تصدقون؟

لكن نقرات سريعة على النافذة من الخارج لفت انتباههم. تبادلوا النظر بينما ماما كريمة تبسم. النقرات لا تنقطع. قالت:

- العصفور يا عيني يبحث عن الدفء. سأفتح له بسرعة.

وقفت ماما كريمة لفتح النافذة بينما ينظرون إلى بعضهم متوقعين شيئاً آخر. ما إن فتحتها حتى اندفع عصفور صغير إلى الغرفة بقوة كادت تجعله يصطدم بالجدار المقابل، لكنه استدار طائراً إلى النافذة من جديد خارجاً في سرعة فائقة تاركاً ورقة كانت بين منقاريه. وقفت ماما كريمة في ذهول بينما تناول أحمد خشبة الورقة الصغيرة جداً وراح يفكها فلا تنهي طياتها إلا بعد أن صارت في حجم الكف. راح ينظر إليها ذاهلاً ثم هتف:

- هديل تقول لكم ناموا فريدي العبد.



انتشرت في شوارع البلاد ظاهرة اختفاء عدد من البنات. في خلال ثلاثة أيام كانت عشرون فتاة قد اختفت من شمال البلاد وجنوبها. داع خبر اختفاء فتاتين فلم يتوقف عنده أحد في اليوم الأول. في اليوم الثاني كان العدد قد وصل إلى عشر فتيات.

على الفيس بوك كانت الحكايات.

«ابن اختي يا وزير الأمن والأمان. اختي في كلية آداب لاونده خرجت من الكلية مع اثنتين من زميلاتها. على الكوبري أمام الجامعة توقفت سيارة نيسان نزل منها شخصان بحملان بندقية آلية. أحدهما اختي من بين زميلاتها ودفعاهما إلى المقعد الخلفي للسيارة وأحاط بهما الاثنان وانطلقت السيارة التي كانت بلا أرقام. لم تعد اختي إلى المنزل منذ أمس. ذهبنا إلى قسم البوليس نحرر محضرًا بالواقعة تباطًا مأمور القسم ثم حرر المحضر وقال لنا إنها ليست الأولى اليوم. إن أكثر من بلاغ تم في عدد من أقسام الشرطة، وإنهم سيبحثون عنهم لكن ليس مؤكدًا أن يصلوا إلى شيء». إذن اختي لم يتم خطفها وحدها. من المسؤول عن خطف الفتيات يا وزير الأمن والأمان؟»

أكثر من «بوست» على الفيس بوك في أكثر من مدينة حمل القصة نفسها، ومع كل بوست صورة للفتاة المخطوفة. لاحظ أحد الشباب أن التشابه بين الفتيات وبعضهن كبير وأن في أكثرهن ملامح من سعاد حسني.



كانت الفتيات هناك بعيدًا عن العاصمة قرب منطقة الآثار القديمة  
في بلدروم كبير عميق قد أغلق بابه الموصل إلى سلم إلى دور أعلى.  
لانت في حيطان البلدروم أكثر من فتحة صغيرة يطل منها وجه يتكرر  
في الفتحات لا يعرفون هل هو جندي أم شخص عادي. جني أم  
إسان. كانت الفتيات جالسات على الأرض في حالة من الكرب.  
على وجوههن آثار ضرب بالأكف. شعرهن منكوش بنم عن جزمهن  
مه في الطريق. لم يكن يعرفن بعضهن. هذه أول مرة يلتقين. بعضهن  
جلسن يبكين في الأركان وبعضهن ظهر الغبط على ملامحهن.

انفتح الباب وتم دفع فتاة بقوة وهي تشتم «يا أولاد الكلب» نظرن  
إليها في ذهول. لا يعرفنها ولا تعرفهن. تتميز عنهن بنوتين على خديها  
الجميلين. كانت هي شهيرة تم خطفها من بلدتها وجيء بها في سيارة  
سريعة. وقفت تنظر إلى الفتيات وآثار تعب الطريق على وجهها إلا أن  
في وجهها وعينيها أيضًا كان تصميم على المقاومة وحدة في الانفعال  
كانها لم تأت كل هذه المسافة من جنوب البلاد إلى وسطها. نظرت  
إليهن وقالت:

- لا تخفن. سنكسب المعركة.

نظرن إليها في دهشة. عن أي معركة تتحدث؟ قالت إحداهن:

- من أنت؟ وهل تعرفين من خطفنا؟

قالت لهن:

- أنا شهيرة. ناشطة سياسية. أعرف أن الذي فعل هذا بنا هو النظام الحاكم. أبو العساكر ورجاله.

قالت أخرى:

- طيب أنتِ تشغلين بالياسة. نحن لا علاقة لنا بالياسة. نحن طالبات جامعة وموظفات. لماذا يخطفوننا؟

قالت:

- سنعرف الحقيقة اليوم أو غداً. المهم أن لا تياسن. لا نكبر نحن لا نملك المال ليخطفنا لصوص. هناك سر يعرفه حاكم هذا البلد، اللص، وسيظهر اليوم أو غداً.

قالت ثالثة:

- وهل سيأتي الغد ونحن أحياء. منذ يومين ولا طعام لدينا ولا ماء. سيقتلوننا.

قالت شهيرة:

- اخلمن الأحذية. دقوا ممي على الباب. لا بد أن نزعجهم حتى لو قتلونا.

وخلعت شهيرة حذاءها وراحت تدق على الباب الحديدى  
أقدمت واحدة ثم أخرى ثم تشجع الباقون وقمن بالدق على الباب  
بفيظ، وشهيرة تهف: «افتح يا كلب. افتح يا جبان» وتتحرك دائرة تنظر

من الفتحات الصغيرة التي لا تسمح لرأسها بالعبور فلا ترى شيئاً في  
المدى القريب. لكن صرخة عالية من إحدى الفتيات لفت انتباههن  
مبداً. كانت الفتاة قد تراجعت إلى الخلف في رعب ثم سقطت على  
الأرض مغشياً عليها. كان ثعبان قد دخل من إحدى الفتحات وصار  
يمشي على الأرض ويخرج من فمه لسانين طويلين يحركهما في كل  
الجهة. صرخت شهيرة:

- أبعدنها، ساعدني.

وبدا أنها لا تهتم بالثعبان فأمسكت الفتاة من كفيها وراحت تشدّها  
إلى الحائط القريب لكن الثعبان كان يمتد إليها والفتيات تصرخن  
وانهارت أكثر من واحدة وفقدت وعيها لكن شهيرة أسرعّت إلى  
حذانها الذي كانت قد خلعت وأمسكته وراحت تدق على رأس الثعبان  
لهرب خائفة والثعبان بدوره انكمش أكثر إلى الحائط فهتفت:

- اضربني معي. لا تخفن.

تشجعت أكثر من واحدة على ضرب الثعبان بحذانها فتراجع  
الثعبان أكثر حتى خرج من الفتحة الصغيرة التي جاء منها.

انهارت شهيرة على الأرض ووجهها قد غرق بالعرق الذي تشمر  
به يغطي جسدها. قالت:

- ما دام الثعبان قد دخل من الفتحة ولم يتّهِ فهي لعبة حقيرة. ليس  
حقيقاً أبداً. لماذا خفتن؟

لكنهن لم يسمعنها. كن فاقدمات الوعي جميعًا وهي بدورها راحل  
تهبط إلى الأرض على مهل من الإعياء ثم تملدت راکنة ظهرها إلى  
الحائط ومال عنقها إلى الجانب. لقد فقدت الوعي أيضًا.



دخل وزير الأمن والأمان مكتبه في منتصف الليل ثائرًا. كان رئيس  
حماية الدولة سرّي فايز في انتظاره جالسًا بينما وقف العقيد مؤثر  
جلس الوزير إلى مكتبه والثورة على وجهه وقال:

- رجع من فيبوتشا ليضّيع عليّ فرصة عمري.

نظرا إليه في دهشة فاستطرد:

- لقد خطف عشرين فتاة يشبهن معاد حني. قرر أن يقتل سماء  
حني مرة ثانية.

ظلا ينظران إليه غير مدركين ما يقصد فقال للواء سرّي فايز:

- كل هذا وأنت رئيس حماية الدولة لا تدري شيئًا.

تجهّم اللواء سرّي فايز بينما كتم العقيد مؤثر ابتسامته، ثم قال  
اللواء سرّي فايز:

- لينك توضع لي الأمر. ما الحكاية بالضبط. وما حكاية سماء  
حني مع مدير «مُر»؟

نظر إليه الوزير والفيظ يزداد ثم وقف مبتعدًا عنهم يدور في المكتب الواسع حتى إذا اقترب من اللواء سرّي فايز قال:

- واضح أنك بالفعل لا تدري شيئًا. لكن لا بد أن أسألك ولا تكذب عليّ فلن ينجيك مني أحد. هل أنت الذي أمرت بختف البنات اللاتي يشبهن سعاد حسني؟

ارتبك اللواء سرّي فايز وفرد كفيه أمامه في حيرة فقال الوزير:

- قلت لك لا تكذب عليّ.

قال اللواء سرّي فايز:

- لا أعرف شيئًا عما تقول. ثم ما هي جريمة أي فتاة تشبه سعاد حسني؟

عاد الوزير للجلوس إلى مكتبه وبدأ هادئًا قليلًا ثم قال ساخرًا:

- كيف لا تعرف ما يقال عن أن الفتاة التي أيقظت الشباب من الإغماء أول العام هي سعاد حسني؟

- أعرف سيادة الوزير لكن لا أحد يعرف من أين تأتي.

ضرب الوزير المكتب بيده بقوة أذهلت اللواء سرّي فايز والعقيد مؤثر وقال:

- لا أحد يصدق أنها ماتت. لقد خطف السيد مدير «مُز» الفتيات اللاتي يشبهنها بحثًا عنها. لا يصدق أن الأمر كله كذبة. يبحث عن

سعاد حسني بين بنات لاوند. سيقبض على الآلاف بلا فائدة. سيؤل  
علينا العائلات لأنه لن يقف عند العدد القليل الذي خطفه. إلى متى  
سنظل ندافع عن أخطاء هذا النظام؟ إلى متى يدفع رجالي الثمن؟

ظل اللواء سرّي فايز صامتًا. خابكته ابتسامة فككمها. لقد صار يفكر  
أن وزير الأمن والأمان فقد عقله لكن هل يقول له ذلك؟ لكن العبد  
مؤثر قال:

- أنا معك سيادة الوزير. مدير «مُز» يجب أن يظل بعيدًا عن عملنا  
كان عليه أن يناقش الأمر معك.

أشعل وزير الأمن والأمان سيجاره ونفث دخانه وبدأ يكظم في  
غيطه ثم قال:

- لا بد أن يعرف الحاكم. هؤلاء الناس يريدون نهايته.

وحط عليهم الصمت لحظات حتى قال العقيد مؤثر:

- كل الصور التي انتشرت على الفيس بوك للفتيات تؤكد أنهم  
يشبهن سعاد حسني بالفعل.

وقال اللواء سرّي فايز:

- يا معالي الوزير. هذه ليست أول مرة يقوم مدير «مُز» بعملنا  
سيتهي الأمر إلى لا شيء. لا عليك منه ولا داعي لهذه الثورة. أرح  
أعصابك سيادة الوزير.

نظر إليه الوزير وقال بهدوء وفي يأس:

- يمكن أن تنصرف.

خرج اللواء سرّي فايز يخفي دهشته وتعجبه من كل ما سمع. سكت الوزير لحظات طالت ويفكر كيف أن صفحة «الناش في السياسة» التي أنشأها الضباط الصغار ليست بعيدة عن مدير «مز» وظل العقيد مؤثر ينظر إليه بين لحظة وأخرى حتى قال الوزير بهدوء:

- كدت أعترف له بعلاقتي بسعاد حسني. إياك أن تذكر شيئاً من ذلك يا مؤثر.

- لا تفلت من ناحيتي أبداً سيادة الوزير لكن عليك بالفعل أن تشرح الأمر للحاكم. هؤلاء الناس يفتحون جبهات جديدة علينا. أخشى أن تتعرض الفتيات للاغتصاب ويتم تحميلنا المسؤولية.

سكت الوزير لحظات وقال:

- كنت على وشك النوم لكنه هو الذي أخبرني بنفسه. مدير «مز». قائد لي لا بد أن تصدر بياناً أنه لا صحة لخطف فتيات تشبهن سعاد حسني وأن هذه الصور التي تنشر على الفيس بوك سيتم التأكد من صحتها، وهل كان للفوتوشوب دخل في تزويرها ليصبحن شبّهات لسعاد حسني.

وسكتا لحظات حتى قال مؤثر:



- قبل أن أنسى يا معالي الوزير تلقيت اليوم برقيات من مديري الأمن لجميع المحافظات تؤكد على أنه تم التخلص من كل الفئران في البلاد.

نظر إليه الوزير في غيظ ثم هتب:

- إحتافى إيه ولا فى إيه؟

ارتبك العقيد مؤثر إلا أنه حاول أن يخفى ارتبائه بإبتسامة شاح وسكت قليلاً ثم تسامل:

- وهل سعادتك ستصدر البيان الذي طلبه مدير مؤه؟

هز الوزير رأسه وقال:

- نحن مضطرون. اكتب أنت البيان وانشره على موقع الشرطة الإلكتروني. سأصبر عليه حتى أتم اتفاقي مع سعاد حسني. ويومها نر أرحم أحنا. لا هو ولا الحاكم الفاضل.



جلست هديل في الصباح بين أيها وأمها حزينة. كان في بداها كوب من الشاي باللبن لا يبدو أنها تشرب منه. تركته على المنصدة جوارها ووقفت تمشي أمامهما في قلقٍ بادٍ على وجهها. تبادل الأب والأم النظرات ثم قالت الأم:

- ما بك يا هديل اليوم. لماذا تبدين حائرة؟

قالت هديل بصوت خفيض:

- ثم تعد تأتيني أخبار من بلاد اللاوند.

تبادل الأب والأم النظرات في دهشة أكبر فقالت هديل:

- كان الهواء يحمل لي الأخبار أولاً بأول لكنه منذ أيام صار يمر عليّ لا يحمل شيئاً.

قال الأب في حيرته وهو يتبادل النظر مع الأم:

- ربما لا توجد أخبار.

- ربما.

قالت هديل ذلك في يأس ثم خرجت في سرعة من أمامهما. بعد لحظة كانت تجلس على سفح الجبل أمام شجرة الخاج الوحيدة تنظر إلى الجليد أعلى الجبل رغم الصيف. مشهد مألوف لديها ولدى سكان المنطقة كل عام.

كيف حقاً لم تعد تأتيها الأخبار؟ هل ضاعت قدراتها غير الطبيعية؟ لم يحدث ذلك ستخفي. لن تعود إلى سنواتها القديمة قبل الميلاد بألاف السنين. ستخفي من الوجود تماماً. هذا يقلقها. أما بلاد اللاوند فلقد ساعدتها كثيراً ويمكن أن لا يكون لمساعدتها أثر الآن. الشباب هناك يعرف طريقه. لكنها قالت لهم آخر مرة: «ناموا قريبي العين»، كيف تقول ذلك وتخلي عنهم؟ لكنها في حاجة إلى مَنْ يساعدها هي. وابتمت حين سمعت صوت خطوات كينج كونج. لا يمكن له



ما كادت تقول ذلك حتى كان الفرس المجنح أمامها. قفزت فوقه  
وأشارت إلى كينج كونج إشارة الوداع ووقف هو يصدر أصوات  
البهجة ويهز رأسه فرحًا كالطفل وطار بها بيجاوس في الفضاء.  
كم من الوقت ستستغرق رحلته؟ متدفع بقدميها في بطنه أكثر من  
كل وقت ويبصل بها مثل شعاع من الضوء.



استيقظت الفتيات متعبات. كبير منهن لم يدركن أين هن إلا بعد  
لحظات فجلسن إلى الحوائط يبكين في انكار. لاحظن أكياما من  
الضمام في أحد الأركان تشيع منها رائحة الفول والفلافل، وجوارها  
زجاجات قليلة من المياه. زحفت إليها القريات ومشت إليها البعيدات  
في إرهاق. تناولن بعضها وجلسن يأكلن في حسرة. كانت شهيرة ترى  
هذا كله وتشم الرائحة. قالت بصوت متعب:

- لا تأكلن كثيرًا. ثلاثة أيام الآن وانتن جياع. قد يحدث لكن  
تلبك في المعدة. اشربين أكثر من الماء.

قالت ذلك ولم تتحرك من مكانها. تقدمت إليها واحدة منهن  
بزجاجة ماء. شربت شهيرة منها قليلًا وأعادتها إليها.

كانت الأضواء ضعيفة كما هي والأركان مظلمة. كيف دخل من  
وضع الطعام والماء ولم يشعرن به؟ فكرت أكثر من واحدة أنه قد  
يكون عبث بهن وهن فاقدات الوعي. ظهر الحزن عليهن. صارت كل

واحدة تشعر بما بين فخفيها وتترك أنه على حاله. لم تستطع واحدة أن تمد يدها إليه حتى لا تفاجأ بكارثة لم تدركها لكنها تظمن إذا لا تشعر بشيء سائل يسري بين فخذيها. لم يتم اغتصابها إذن. جاءت فتاة وجلست إلى جانب شهيرة ثم ألقت برأسها في صدرها وقالت في رعب:

- خائفة من الثعبان.

- لن يأتي.

قالت شهيرة ذلك في عزم وهي تفكر كيف حقاً دخل الثعبان من فتحة الحائط وكيف خرج دون أن يلدغ أي واحدة منهن. مَنْ كان يتحكم فيه. وَمَنْ الذي أراد إرغابهن كل هذا الرعب؟ اشتاقت إلى جهازها المحمول. تريد أن تعرف شيئاً عما جرى لهن. لا بد أن مواقع التواصل الاجتماعي تفسج الآن بالحديث عن اختفائهن. لن يعرف أين هن إلا إذا أراد صاحب الثعبان أو أصحاب الثعابين. لن ينعد الأمر عن أبي العساكر ورجاله. لو أن عصابة هي التي فعلت ذلك من أجل التجارة في أعضائهن مثلاً لقتلنهن. ليس لدى هؤلاء الفتيات شيء يدفعه لأحد إلا أجسادهن، ولا أحد اقترب منها حتى الآن. هو أبو العساكر ورجاله. لكن لماذا يفعلون ذلك بفتيات بريئات؟ كان يمكن أن تجد معها ماهيتاب ونورهان وشيماء وغيرهن لو أن للأمر علاقة ما بالياسة.

أحت برأسها يضيق بالتفكير . لن تصل إلى أي حقيقة حتى يظهر  
أحد. أي أحد.

ما كادت تنهي من التفكير وتسلم نفسها لليأس حتى أضاء ركن  
شديد الظلام من القبو الكبير. أضاء شيئاً فشيئاً بنور باهر والفتيات  
تراجعن في ذكر ينجمن حول شهيرة إذ بين الضوء يظهر شخص  
لوي الجسد جالساً على مقعد صغير . كان يتسم لهن بينما كن في  
لزع. عرفته شهيرة. إنه مدير إدارة المحن والأزمات «مُز» الذي قليلاً  
جداً ما تظهر صورته في الصحف. بينما انشلت السن الفتيات عن  
الكلام والصراخ قال هو:

- لا تخفن. بنات لا وند لا يمكن أن يمسهن أحد بسوء.

لم ترد أي واحدة منهن بينما وقف فبان طويلاً قوياً. لم يرينه في  
صورة كاملة من قبل. فقط صورة وجهه المربع قوي الملامح. هل هذا  
رجل في السبعين من عمره حقاً؟ يبدو في الخمسين. لم لا؟ رجال  
الحكم لهم طعام خاص وأطباء عالميون وكل شيء يتم لهم ليكونوا  
في أحسن حال. لَمَن سبتركون الحكم إذا هرموا أو مرضوا؟ ستخرب  
البلاد دونهم! هكنا يفكرون وهكنا يتصرفون في شئون حياتهم. لكن  
شهيرة قالت:

- إذن هو أبو الماكر ورجاله كما توقعت تماماً.



ابتسم واقترب منها ومد يده بداعبها من ذقنها فأبعدتها عنها في فورا  
فازدادت ابتسامته وقال:

- لماذا أنت هنا؟ أنت لست شبيهة بسعاد حني.

تبادلت الفتيات النظر إلى بعضهن في دهشة فاستطرد هو:

- أصدرت أوامري بالقبض على شبيهات سعاد حني. شهيرة  
جامت بالغلط. صحيح هي حلوة ويمكن أحلى من سعاد حني كما  
بالغمازتين اللتين على خديها لكن لنا في حاجة إليها.

إنه يعرف اسمها ويعرفها أيضًا إذا استمر يتحدث:

- طول عمر رجال الأمن يرتكبون أخطاء مثل هذه. أخطاء صغيرة  
لكن يمكن أن تسبب كوارث. يعني الآن مثلاً صرنا في مشكلة مع  
شباب الثورة المأجورين الذين منذ أمس ملأوا الفيس بوك وتويتر  
احتجاجات على اختفاء شهيرة. نحن فقط نريد أن نعرف من هي سعاد  
حني ينكم. أنا لا أعادي شباب الثورة.

حط عليهن جميعًا الصمت والحيرة بينما أحست شهيرة بالفراغ  
والفخر. إذن في الخارج الدنيا مقلوبة وهذا يعني أن الثورة لا تزال في  
طريقها وستشعل أكثر. قالت:

- ماذا تريدون من سعاد حني؟ سعاد حني هناك في قبرها.

عاد مدير «مُز» إلى مقعده وقال:



- أجل يا حلوة لكن سعاد حسني هربت. لقد حفرنا مقبرتها فلم نجد جثتها. سعاد حسني هي مَنْ أيقظتكم من التخدير مساء يوم 29 يناير. هي من أهدتكم إلى بيوتكم وهي من حولتكم إلى قطط لتهربوا من الزنازين. هل نسيتي؟

هنا ضحكت شهيرة بقوة وهي تشعر بالروح تعود إلى جسدها في تصميم لم تعرفه من قبل، بينما كانت الفتيات تنظرن إلى بعضهن في دهشة وحيرة ويكاد بعضهن يضحكن فهن لا يلدرين عن أي شيء يتحدث.

قالت شهيرة:

- نظام سياسي بصدق كل هذه الخرافات لم يعد له معنى ولا بد أن يرحل.

قال مدير «مزة» في هدوء:

- أنا معك أنها خرافات لكنها حدثت وصارت وقائع. هل نسيتي كيف ظهرت سعاد حسني فوق المصارة في الميدان الكبير وكيف حملها كينج كونج إلى السحاب وهربا معًا.

ضحكت شهيرة وراحت تضرب كفيها في بعضهما وتقول:

- سامعين يا بنات. سعاد حسني وكينج كونج. الخرافات التي يقولها أبو العساكر يقولها رجاله.

قال مدير «مز» وهو لا يزال على هدوله:

- أنا صابر عليك يا شهيرة لأنك مظلومة. لكن أبو العاكر هذا الذي تشمينه هو من يحميكم يا ولاد الكلب.

هنا خرج عن هدونه وارتعدت بعض الفتيات لكن شهيرة قالت:

- هذا لص قاتل وكلكم مثله.

تقدم محتثًا تاركًا مقعده رافعًا ذراعه ليضربها إلا أنها لم تراجع ونظرت إليه في عزم، وهو بدوره ضم يده وأعاد ذراعه وعاد يجلس صامثًا للحظات ثم قال:

- دعكن من شهيرة. ساعدنني أنتن فأساعدكن وأطلق سراحك من منكن هي معاد حسني التي تملك كل هذه القدرات السحرية؟ تشجعت إحدى الفتيات وكادت تتكلم بقوة لكنها بكت وقالت:

- ما لنا وسعاد حسني؟ نحن طالبات جامعات وموظفات في حالنا. نحن أصلًا لا نعرف شيئًا في السياسة. نحن يمكن نسبان فيه ثورة قامت، ويوم قامت كنا قاعدين في بيوتنا نتفرج على قنوات الأقلام. بتعملوا فينا كده ليه؟

لكن شهيرة انطلقت تضحك بقوة وتشير إلى رأس مدير «مز» ونصفق، وإذا بأكثر من واحدة تضحك مثلها وينظرن إلى رأس مدير «مز». بدا في حيرة. لم يكن يشاهد ما يشاهدنه. كانت فوق رأسه طفلة

صغيرة تشبه سعاد حسني هي هديل التي جاءت على ظهر بيجاسوس وكانت تمشي بيدها على رأسه وهو لا يشعر وتضحك ثم نزلت بيدها على وجهه مسحت وهنا أحس بشيء كالذبابة على وجهه فهش واختفت هديل بين دهشة الفتيات اللاتي لم يتوقفن عن الضحك بينما صمت هو وصار في ذهول وهو ينظر إليهن. نادى بصوت جبار: يا فرج! دخل فرج الذي كان في قوة فرج الذي ظهر في فيلم الكرنك والذي اغتصب سعاد حسني وإن اختلف وجهه. رحن بترامين في أحضان بعضهن في رعب وبعضهن سقطن إلى الأرض يصرخن بينما ظلت شهيرة واقفة في قوة. زعق مدير «مزة» وقال:

- من يحول المسجونات هنا إلى قطط؟ سعاد حسني لا يمكن أن نعرف الطريق إلى هنا.

راح فرج ينظر إليهن في حيرة ثم قال:

- يا افتد كلهن بنات شبه سعاد حسني. لا قطط نعرف الطريق إلى هنا.

وهنا انطلقت الفتيات تضحكن من جديد. كان ضحك الفتيات ثم صراخهن ثم ضحكهن أمراً مربكاً لمدير «مزة». لقد سمعه كله تنويعات من نونة القطط. كاد في لحظة يتصور أنهن عفاريت ولن بشراً وإلا كيف يفقدن قوتهن في لحظة ثم تعود القوة إليهن في اللحظة التالية. أجا. لا قطط في هذا العالم تملك هذه القدرات. وحين فكر

أن شهيرة ليست قطعة فهو يراها بالفعل كما هي فكر أنها خدعة. إنها لا تختلف عنهن. بل ربما ليست هي شهيرة التي قدموا له تقريراً عنها كشابة من نشطاء الثورة. لكن بدا فرج في ذهول وحيرة فسأله مدير «مُز» صارخاً:

- هل مازلت عند رايلك؟

قال فرج بهدوء ودهشة:

- معك حق يا أفندم. كلهن بعين واحدة ولا تشبه واحدة سماد حني. هل تأتي بدفعة جديدة من الفتيات؟  
زعم في مدير «مُز»:

- أنا أقول قطط وأنت تقول بعين واحدة!

وراح يرفس بساقه بعيداً عنه ويقول:

- كيف لا ترى القطط التي تصمد على ساقتي. إنها تحاول الصمود إلى كفي.

قال ذلك وهو يلقي يديه من فوق كفيه أشياء لا يراها فرج، ثم استطرد:

- هناك شيء غير مفهوم يحدث في هذا البلد. أنا أعرف من زمان أن لي أعداء في كل الأجهزة. لن أسمى لصالح الحاكم بعد اليوم. اتركهن يخرجن إلى الشوارع.

هنا تقدم منه فرج وهمس له:

- هكنا يباطة؟!

اجاب:

- اجل. لا تغتصبوهم. ليس هناك معنى لاغتصاب القطط.

احملوهم في سيارة إلى أقرب مكان للعمران واتركوهم.

## 25

لم تذهب شهيرة إلى قريتها. جلست مع «ماما كريمة» والددة نزار  
تنظر إلى هاتفها المحمول الجديد الذي اشترته لها ماما كريمة بعد أن  
استولى من خطفوها على هاتفها وقالت ضاحكة:

- أمي لم تصدق أنني شهيرة التي أكلتها. تقول لي إن صوتي تغير  
وصار يشبه مواء القطط. تطلب مني أن أعود بسرعة إلى البيت.

- صوتك بالنسبة لي لم يتغير. لكن استريحني هنا اليوم. سافري  
غدا ربما تنتهي أعراض القطط!

قالت شهيرة ضاحكة:

- سافعل ذلك. المهم أن لا أخرج بالليل إلى الشارع وأنتم نيام.

ضحكت ماما كريمة وقالت:

- نحمد الله على وجود القطط في الدنيا.

ضحكتا معا. ثم قالت ماما كريمة:

- ألم تكن هناك أي فرصة لتعرفن أين كنن بالضبط؟

- لم يكن إلا خلاء ورمال. حتى المبنى الذي كنا فيه دخلناه بعد أن  
أغمروا عيوننا فلم نره ظاهراً على السطح عند خروجنا.

- إذن كان تحت الأرض؟

- أجل.

- لم أكن أعرف أنك قوية هكذا يا شهيرة.

- جنوية يا تانت.

ضحكتنا من جديد ونظرت شهيرة في الموبايل وقالت:

- تأخر الزملاء.

- نحن في المنزل. يأتون براحتهم. سأتركك وأعد شيئاً للعشاء.  
أنت منعمة. واضح على وجهك علامات السهر. ادخلي غرفة الضيوف  
ونامي قليلاً حتى يأتوا.

مشت شهيرة على مهل حتى غرفة الضيوف التي نامت فيها من  
قبل. لم تكن بالفعل لديها رغبة أو قوة لتدخل إلى الإنترنت. كانت  
نحتاج إلى نوم سيطول إن لم يحضر الزملاء ويوقظوها.

ما إن تمددت على السرير بملابس المنزل التي أعارتها لها ماما  
كريمة ودخلت تحت اللحاف حتى نامت. أين كانت حقاً وكيف  
عادت؟ سؤال لم تستطع أن تجيب نفسها عنه. لقد سحبها النوم  
المتربص منذ حُطفت. هي الآن تنزلق في منحدر ناعم من البلاط



لا يبدو له نهاية. لكنها تصل إلى نهايته وتضطدم قدماها بجدار عازٍ من الحديد وتقف تنظر حولها ثائرة. حول المنحدر من الجانبين أرض واسعة من النجيل الأخضر تحيط بها بنايات قديمة تشبه البنايات الأوربية. لكنها بنايات صغيرة مثل التي في بلدها والتي كانت يوماً مدارس وملاجئ ومراكز للحكم وللأمن وللتنجيد والمزارعين الكبار. هذه التي استولت عليها الإدارات الحكومية في العهد الجديد بعد أن انتهى النظام الملكي ورحل الملك الجميل الذي تحمل من بياضه وحمرة خديه الكثير. إنه يقف أمامها الآن يقدم لها مضرب تنس وتري شبكة أقيمت على الأرض وصار هو في ناحية وهي في ناحية يلعبان. هي تضحك وهو يتسم حين هزته في اللعب تقدم منها يضافحها ويقول لا تحزني يا شهيرة ستكونين ملكة حين يعز في البلاد الملوك. وإذا بها خلفه فوق فرس قوي وهو يجري بهما بقوة وهي تمسك بوسطه بكل قوتها حتى إذا توقف الفرس وصهل رأت نفسها فوقه وحدها والملك على فرس آخر يشير إليها أن تجري جواره وتحاول أن تبقيه فيجريان بالفرسين ولا يبدو في الأفق نهاية لطريق جريهما ثم رأت نفسها تغير وحدها وقد اختفى الحصان من تحتها وصار لها جناحان متصلان بذراعيها ترتفع بهما في الفضاء سابقة الملك الجميل ومن فرط السرعة لم تعد تعرف هل يجريان إلى الأمام أم عادا إلى الخلف من جديد. لكنها صارت وحدها أمام جدار حديدي بدأت خطوط مياه رفيعة تسقط منه وهي أسفل ترفع ناظريها إليه ثم اشتدت خطوط المياه وصارت تنزل عليها باردة وهي تأوه. آح. آح.

أح. ثم صارت ثيابها تبلل بسرعة وهي لا تزال ترفع وجهها إلى أعلى الجدار والماء ينسكب على وجهها وتمسحه براحة يدها لكنه يزداد ونشف الملابس التي تغيرت وصارت قميص نوم خفيف عن جسدنا الذي يبرز بين المياه التي فجأة احمر لونها واختفى الجناحان وظهرت أعلى الجدار الحديدي وجوه وحوش تلمظ بها فصرخت ووجدت نفسها جالسة فوق السرير تنظر حولها في فرع.

دخلت ماما كريمة في اللحظة نفسها تقريبًا وسألت في خوف:

- مالك يا شهيرة؟

ولم تنتظر الجواب، جلست جوارها وأخذتها في صدرها تربت ظهرها وشهيرة تبكي غير مصدقة وتقول: «حلم جميل. جميل جدًا. انتهى بكابوس. كابوس فظيع يا نانت. فظيع».

ثم هدأت شهيرة وأدركت كل شيء حولها وسألت ماما كريمة:

- هل حضر الزملاء؟

قالت ماما كريمة:

- صباحك فل. حضروا وأقاموا اجتماعهم ولم يشاءوا الإبقاء عليك وانصرفوا.

- معقول يا نانت. لماذا؟

- أقول لك صباحك فل. نحن في صباح يوم جديد.

\*\*\*

نحن في ديسمبر. يقترب العام من نهايته. ويقترب الخامس والعشرون من يناير الذي لا تصور الحكومة ولا الحاكم أبو العساكر ولا رجاله أنه يمكن أن يمود. علينا أن نحشد بقوة لهذا اليوم.

كانت هذه هي الرسالة المتبادلة بين شباب الثورة الذين بدورهم اعتبروا أن ما جرى في يناير الماضي لم يكن ثورة لكن بروفة على الثورة. المهم الآن أن يفقد أبو العساكر قدراته وإلا سيلقي بهم إن استطاع إلى العصور الوسطى.

امتلات صفحات الفيس بوك بالدعوة إلى الثورة من جديد. وامتلات صفحات تويتر. صارت الرسائل تظهر بين أجهزة المحمول. كان لئور هان فكرة الحصول على أرقام تليفونات كل من يحملون الموبايل في لاوند. تتعدد شركات الاتصالات لكن هذا أمر سهل. وإلا كيف تحصل بعض الشركات الخاصة للخدمات على أرقام الناس تتصل بهم تعرض عليهم خدماتها التي هي غالباً طرق جديدة للنصب. لا بد أن لهذه الشركات سبل اتصال طبيعية بشركات المحمول. لا بد أنها تدفع لهم مقابل هذه الخدمة من الشركات. أو ربما تستطيع هذه الشركات اختراق حسابات شركات المحمول. هم على أي حال لا يمكن أن تتعاون معهم شركات المحمول فلا شركة خدمات يملكونها. لكن يمكنهم اختراق مواقع شركات المحمول.

وهكذا انتصف ليل الخميس الأول من ديسمبر وكثير ممن يحملون موبايل في مصر وصلته رسالة تقول:

«لا تنسَ 25 يناير. أرسل الرسالة لمن تعرف».

شباب سهران على المقاهي في الأحياء الشعبية وفي الكافريات  
في الأحياء الراقية وفي كافريات الفنادق الكبرى ورجال انتهوا  
من نكاح زوجاتهم فدق الموبايل فضحكوا وضحكت الزوجات  
من إعلان الانتهاء المفاجئ هذا. يقول الزوج: «دي رسالة بتقول  
لا تنسَ 25 يناير».

وتسحب الزوجة هاتفها المحمول المفلق فتفتح له الرسالة.  
موعد غريب. يقول الكثيرون. أكثرهم يضحك وبعضهم يندحش  
محدثاً نفسه: «هولة فيه 25 يناير ثاني؟». وفي الملاهي الليلية لم  
يسمع صوت وصول الرسائل من صخب الرقص والموسيقى، لكن  
فيات الليل سمعها ومن في انتظار دورهن للمجلوس جوار الزائن  
فمصصن شفاههن ومددنها وقالت الكثيرات منهن في نفسها:  
«بارب تولع ذا احنا بندفع للبوليس أكثر مما نأخذ»، وعلى الفور  
ظهرت كاتبات أسفين يا ريس لتعلن أن في لاوند مؤامرة كبيرة دبرها  
أصحاب شركات المحمول من رجال الأعمال على الرئيس والقائد  
المقاتل أبو الصاكر ونظامه.

«يعني إيه رسالة لكل مواطن. يعني فيه مؤامرة على الدولة.

«يعني إيه رسالة لكل مواطن. يعني شركات المحمول  
بتحضر لثورة على الحكم.

«يعني إيه -رسالة- لكل -مواطن-. يعني ابتزاز شركات المحمول  
لخفض الضرائب عليها رغم أنها ما بتدفعش ضرائب.

«يعني إيه -رسالة- لكل -مواطن-. يعني المؤامرة جاية جاية  
ولا بد من تأميم شركات المحمول.

«يعني إيه -رسالة- لكل -مواطن-. حتى الشركة اللي تبع الحكم  
بتضحك عليه.

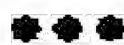
«يعني إيه -رسالة- لكل -مواطن-. يعني ما فيش أمن ولا امان  
ولازم أبو العساكر يشوف حل مع العساكر بتوعه.

«يعني إيه -رسالة- لكل -مواطن-. يعني اختراق لحياتك الشخصية  
وفي أي وقت حتى وانت نايم مع مراتك.

«يعني إيه -رسالة- لكل -مواطن-. يعني يا ريس لازم تقبض على  
كل الشطاء وعلى كل أعضاء النسيحة والهدى. ما فيش هزار.

لكن أحمد خشبة جلس في حجرته يضحك وهو يقرأ هذا الذي  
كتبته كاتب الدفاع عن الحاكم ووجد نفسه يكتب على صفحته في  
الفيس بوك:

«اخترنا متصف ليل الخميس حتى تعرفوا أن الشعب وهو دفيان  
ومتكلف تحت الغطاء فاتح موبايلاته ومتظننا ولا دقا ولا جنس عطله  
عن الأمل يا أولاد التيت!»



في الصباح كان مدير «مُز» ووزير «مَم» يأخذان طريقهما إلى اجتماع عاجل مع أبو العساكر. لقد طلبا هما الاجتماع به بينما هو لم يفكر في ذلك ولم يهتم بأهمية هذه المسائل.

وصلا إلى مكتبه قبل وصوله. جلسا يحتيان القهوة في صمت. كل منهما يتظر أن يبدأ الآخر بالحديث. ورغم أن وزير «مَم» لم يلتق مباشرة بمدير «مُز» منذ عودته من فيبوتشا فلم يفكر أن يهته بسلامة العودة. كلاهما يعرف ما يفعله الآخر. كلاهما يرى الآخر يريد أن يبقه إلى الحكم. لا أحد منهما يفكر في سني عمره وهل ستكون لديه القدرة على حكم بلاد مثلاً لاوند. لم لا يحكما وأبو العساكر تجاوز الثمانين ومستمر في حكمه. لكن كان لا بد أن يتحدث أحدهما. أخذ رئيس «مُز» المبادرة وسأله:

- ما أخبار سعد حسني؟

ارتبك وزير «مَم». يعرف أن الآخر يقصد زيارته لقبرها. مثله لا تخفى عليه خافية. أجاب:

- ما المسؤول بأعلم من السائل. أتم خطفتم البنات اللاتي يشبهنها ولم تصلوا إليها.

هز مدير «مُز» رأسه وقال:

- لم أكن أنصور أنني أصدق هذه الخرافات. لكنني وجدت كل مَنْ حولي يصدقونها. قلت إذن هي حبة ولا بد من الوصول إليها.



قال وزير «مَم» ساخراً:

- وهل وصلت؟ أقصد هل وصلت إلى أي شيء عنها؟

- لم أصل إلى أي شيء كما لم تصل أنت إلى أي شيء من حديثك معها في المقابر.

سكت وزير «مَم» معتبراً أن ذلك نهاية الحديث ودخل أحد الضباط يشير إليهما بالدخول إلى مكتب السيد الحاكم.

ما إن جلسا أمامه على الناحيتين حتى قال:

- شوفوا بآه. أنا غير مستعد لأي حديث عن سعاد حسني.

كاد يقول أنا فقط من اتحدث عنها لكنه صمت. تبادلوا النظر وقال وزير «مَم» مسرعاً في محاولة ليقبض مدير «مُز»:

- يا فخامة الحاكم لا يوجد شيء أصلاً اسمه سعاد حسني. لكن يوجد شيء اسمه دعوة للثورة تتشرب برعة رهيبة بين الشباب والشعب كله أيضاً.

قال أبو العساكر ساخراً:

- وبعدين؟!

قال مدير «مُز»:

- ليس لدينا ترف الانتظار يا مولاي.



- لا تقبضوا على أحد. خليهم يلعبوا، وفي بناير لو عملوا مثلما فعلوا من قبل فالقتل هو أقل ما تفعله يا وزير «مم». يعني تأكلهم قبل أن ياكلوك!

ورقف الحاكم قائلاً:

- أنا مضطر أنهي اللقاء. عندي جلة ماساج. مع السلامة.

خرجوا صامنين. عند باب القصر الخارجي وقبل أن يتجه كلاهما إلى سيارته في حديقة القصر وقفا. قال وزير «مم»:

- وصلتي رسالة الآن تقول إن هناك محامين يعدون شكوى ضدك إلى النائب العام تتهمك بختطف البنات.

هز مدير «مُز» رأسه وقال:

- أعرف. وأعرف من وراءها. لا تقلق.

وقال في نفسه: «أفدت كل ما أفعله أنت وسعاد حسني. لقد أعدت إليها قدرتها على تحويل الشباب إلى قطة. لم يفعل ذلك أحد غيرك. ستكون نهايتك على يدي».



جلس الشيخ شمعان رئيس جماعة «النصيحة والهدى» مع الطبيب العالمي وحدهما في منزله. كان واضحاً عليهما الأكم والتوتر والذهشة الممزوجة بالحيرة.

- لقد طلبت أن ألتقي بك وحدك هنا حتى لا يكون الاجتماع رسميًا.

قال الشيخ شمعون ذلك فقال الطيب العالمي:

- أعرف وأقدر ما أنت فيه. ما جرى لا يدهشني فلم أتوقع خبيرًا من هذا الشخص.

- كان عندك حق يا دكتور والله. كنت أكثرنا ذكاء. المهم الآن ماذا أفعل؟ ماذا أقول للأعضاء؟

فكر الطيب العالمي قليلًا ثم قال:

- قل الحقيقة. لقد غادرنا ألف خان إلى بلاده لأننا لم نعد في حاجة إليه.

- لكنه غادرنا لسبب آخر. لقد بدأ فعلاً يفقد قدراته السحرية بعد أن انقطع عن طعام وطنه. لقد أخذ قرينه معه أيضًا.

قال الطيب العالمي:

- في داهية. الناس تسافر وتعيش في كل الدنيا وتأكل من طعام البلاد الأجنبية ولا تفقد قدراتها. هو شخص نصاب منذ البداية. كان هذا رأيي وثبتت صحته.

- إذن سأقول ما تنصح به.

سكت الطيب العالمي لحظات يفكر ثم قال:

- حتى الآن يفرج وزير «مَم» عن شبابنا، هناك انقسام في الحكم.  
الأفضل أن لا نشارك في أي مظاهرات حتى تنتهي المعركة بين النظام  
وشباب بنابر ونستعد لقطف الثمرة إلى الأبد. اتبع نصيحتي هذه المرة.  
قل من الآن نحن أهل نصيحة وهدى لا أهل سياسة، وانسى ألف خان  
هذا. لقد كانت تجربة وخابت.

في ليلة رأس السنة جلس أهل لاوند في بيوتهم مبكرًا. كان الشتاء لا ينقطع عن سواحلها وكان مطر خفيف في عاصمتها لاونده، وقرر شعب لاوند أن ينسى كل شيء إلا أن يحتفل. كان أعضاء جماعة «النصيحة والهدى» وأهل السلف كعادتهم قد أعلنوا أن الاحتفال برأس السنة الميلادية من تقاليد الكفار. كانت أصوات جماعة «النصيحة والهدى» خافتة بينما كانت أصوات أهل السلف عالية شغلت كل المساجد. لم يفكر واحد من هؤلاء المسلمين أن يتذكر شيئًا من آلام المسيح، وكانت مدينة ماهيتاب الساحلية الكبيرة فاروس قد شهدت وجوهاً مكشورة خارجة من المساجد وجوهاً مكشورة لكثير من الباعة وسائقي المركبات تعلن أن تاريخ احتفال هذه المدينة هو تاريخ الكفر. كانت ماهيتاب قد قررت الاحتفال في لاونده مع نورهان ومصطفى وأحمد خشبة في منزل نزار. قالت ماهيتاب إنها أرادت أن لا ترى وجهًا مكشورًا في الطريق. ولا ين جيران أسرتها التي ما زالت تحتفظ بتلك التقاليد. راحت تحدثهم عن مدينتها زمان وسهر الناس في ملاهيها على الكورنيش وساعة الصفر حين يتصف الليل ويلقي كل واحد من شرفة منزله ما يريد أن يتخلص منه مودعًا

العام الفانت مبشراً بالعام الجديد. زجاجات فارغة تكون الأكثر إلقاءً وغيرها من الأشياء القابلة للكسر مثل القلل في الأحياء الشعبية. عادة متوارثة ربما منذ العصر اليوناني القديم. وداع يعلن عدم عودة ما مرّ من مرارة في العام الفانت وتبشير بأيام قد تكون أجمل أو يتمنون أن تكون أجمل. في الساعة العاشرة دق الباب وخرج نزار ليرى من المظارق ويعلن في فرح أنها شهيرة ومعها شيماء التي كانت مخطوفة من قبل في الجبل. كان فرحهم بهما غامراً فرفعوا الكنوس صارخين بالعودة. «الليلة عيد. شهيرة وشيماء معاً في لاوند» قالت شيماء لا يئسني أحد عن أي شيء في حياتي. دعوني أفرح معكم. كانت ماما كريمة متيمة دائماً يلقى قلبها بالفرح وتضئ لو يلقى كيويدها سهامه في قلب نزار بحب شهيرة. شهيرة أو غيرها لكنها تميل أكثر لحب شهيرة. النوثان على خديها رسولاً محبة. ورغم أنها رأت ذلك من قبل في وجوه فتيات كثيرات لكن وجه شهيرة مختلف. قالت شهيرة ضاحكة:

- أخبرني شيماء برغبتها في الحضور ووافقتها وانفقنا أن نتقابل في القطار، لكنني نمت في البيت أكثر من كل يوم وكان القطار قد سبقني فعرفت أن شيماء ستصل وحدها. كنت في الساعة السادسة أقف فوق السطح مترددة. لقد أخبرتكم بحضور شيماء درني وأخبرتها بعنوان نزار لكن فجأة اتسع الكون وصار لا أحد حولي. انخفضت البيوت والأشجار والمزارع الممتدة مع الأرض. وجدت نفسي أبكي كيف

فاتني السفر لكنني سمعت صوتي مثل مواء القطط من جديد. آه وربما صدقوني.

انطلقوا يضحكون مما ظنوه خيالاً وقال أحمد خشبة:

- طبعاً أنتِ تعودتِ منذ قبض عليكِ مدير «مُز».

ضحكوا لكنها قالت:

- لا تريدون أن تصدقوني لكن ها هي شيماء معكم. هل أنتِ معكِ يا شيماء؟

قالت شيماء «لا» وهي تضحك، فقالت شهيرة:

- إذن قل لي لهم كيف وجدتي.

قالت شيماء:

- بصراحة أنا في غابة الدخنة والارتباك. ما إن دخلت من باب العمارة وفتحت باب الأسانير حتى وجدت قطعة جميلة تدخل معي. أصابني الرعب فسمعتها تقول لا تخافي أنا شهيرة. تجمدت في مكاني وإذا بها تحول إلى شهيرة وهي تقول لي لا تفقدي وعيك أرجوك.

ضحكوا جميعاً وقال مصطفى:

- كل الأساطير صارت واقعاً في زمن أبو العاكر.

وقال نزار:

- علينا أن نصدق أنفسنا. على الأقل نحن أصدق من أبي العاكر  
ورجاله.

قالت شهيرة:

- وجدت نفسي أقفز من فوق السطح إلى الأرض. بيتنا من دورين  
وكان يمكن أن أموت لكن الذي حدث أنني لم امت وصرت أجري  
على شريط الككة الحديد أسرع من أي قطار.

قال أحمد خشة:

- حتى هذه السرعة لا تأتي بك في ساعتين يا شهيرة. أكيد باينة هنا  
منذ أمس وتضحكي علينا مع شيماء.

قالت شهيرة وهي تهز رأسها في سعادة:

- ما إن جريت قليلاً بين الفلنكات حتى ظهر الحصان المجنح  
الذي رأيناه يوم أفاقنا هديل الشامية. سعاد حني كما يقولون، وهو  
يحملها ويطير بها بين الحب. هذا ما حدث بالضبط.

هنا سكتوا وبدأ أنهم يصدقونها. أخذتها ما هيئاب في حضنها  
رقبلتها وكذلك فعلت نورهان التي قالت: «خايقة عليك يا شهيرة»

كانت شهيرة قد شردت عنهم قليلاً ثم قالت باسمه:

- لقد اختفى الحصان المجنح من تحتي وصار لي جناحان أطيرو  
بهما نكن ما إن اقتربت من البيت حتى صرت قطة.



نظروا إليها في خوف وحيرة. ما الذي جرى لشهيرة منذ اختطافها؟  
ثم قال نزار:

- كلنا خائفين على شهيرة لكن فلتترك الحديث في أي شيء يتعلّق  
بأحوال البلاد ولتقولوا لي ماذا تحبون أن تسمعوا من موسيقى؟  
قالت شيما:

- نفسي أسمع فريق الأبا وموسيقى السبعينيات. بابا كان يحبها  
أوي وما زال يسمعها في البيت. يقول دايماً كانت الدنيا حلوة.  
- موسيقى السبعينيات تحتاج أن ترقصوا يا أولاد. انصروا الباص  
وافرحوا.

هكذا هتفت ماما كريمة.

لكن كل هذا الفرح لم يكن ممكناً أن يكتمل. في منتصف الليل  
جاء خبر انفجار كنية الصالحين في المدينة الساحلية قاروس مدينة  
ماهيتاب. الكنية نفسها التي تم تفجيرها العام السابق بعد أن تم  
ترميمها هذا العام.

جلسوا يتابعون الفضائيات وهي تبيع وقائع الانفجار ومشاهد نفل  
القتلى والجرحى من داخل وخارج الكنية وهتف أحمد خشبة:

- عملوها أولاد الكلب من تاني. أغبياء بتصورون أنهم سيدخلون  
بالبلد كمعادتهم في منحنى الفتنة الطائفية لتأجيل الثورة. لم يتعظوا من  
درس العام السابق.

وقفت شهيرة وقد ظهر على وجهها الغضب وهتفت وهي ترفع  
يديها أمامها للسماء: أقسم بالله العظيم لن يثينا شيء عن الثورة  
يا لاوند وعن إقصاء أبي العساكر ومدير «مُز» ووزير «مَم» وكل رئيس  
لشيء يعمل مع هذا الظالم.

لم يعد في الليلة ما يكفي من الفرح. ظل الطمام الذي أحضرته  
ماما كريمة وجهازته على منضدة السفرة الكبيرة وانفرد كل منهم بنفسه  
ودخل إلى صفحات الإنترنت. قالت شيماء غاضبة: «الثورة جاية  
جاية» هاتجاجة الليلة يا لاوند.

#الثورة\_جاية\_جاية. يا بو العساكر وبكرة تشوف العساكر لما  
تقلع هدومها.

#الثورة\_جاية\_جاية. أطلق كلابك في الشوارع وبكرة تاكلهم  
القطط.

#الثورة\_جاية\_جاية. مش حنق في المسيحين. إيد واحدة على  
كل ظالم يا ولاد التيت.

#الثورة\_جاية\_جاية. كلها 3 أسابيع وحتشوف المسلمين  
والمسيحين في الشوارع مع بعض ضدك يا بو العساكر.

#الثورة\_جاية\_جاية. عاش الهلال مع الصليب. عاش الهلال مع  
الصليب.

#الثورة\_جاية\_جاية. مش جديد علينا ألعابكم القفرة. تاريخكم معروف وما حدش حيصدقكم.

#الثورة\_جاية\_جاية. بكرة تلفقوا التهمة لواحد غلبان وتفلر، لكن برضه مش حسيكم. حفضخكم.

#الثورة\_جاية\_جاية. الدم ماشي من فاروس ييلف شوارع لاوند واسألوا الناس في البيوت إزاي دخل عليها من تحت العتب.

#الثورة\_جاية\_جاية. كنا بتحول لقطط علشان نهرب من سجونكم. حتحول لقطط علشان ندخل بيوتكم وناكلكم.

#الثورة\_جاية\_جاية. كل البنات حبقى سعاد حسني وكل الشاب حبقى كينج كونج. بكرة نشوف با بو العاكر.

#الثورة\_جاية\_جاية. شفتم آخرتكم يا بتوع النصيحة والهدى ويا بتوع الدقرن. وزير «مَم» قتل أهلنا.

#الثورة\_جاية\_جاية. مشاهد الدم في الكنية وخارجها لا تحتمل يا ناس. صرت البكاء طالع للسما. أكيد ربنا مش حبيب حقنا.

#الثورة\_جاية\_جاية. يا يسوع لا تغضب منا. سنخرج من سلامنا إلى الدم. لا سلام مع وزير «مَم». لا سلام مع أبو العاكر.

#الثورة\_جاية\_جاية. دم ولادك يا لاوند مش حشربه الأرض حيفضل لحد ما نقضي على الظالم. حتطلع به أشجار الرمان.

#الثورة\_جاية\_جاية. كل البيانات اللي حتقولها الدولة كذب  
ومش حنصدق إلا ما نشوف أبو العساكر ورجاله في قصص الاتهام.

#الثورة\_جاية\_جاية. رينا قال لمريم وهزي إليك بجذع النخلة  
ناقط عليك رهبا جيئا. ابن مريم يتصلب من جديد.

#الثورة\_جاية\_جاية. فليكن العام الجديد بداية لدنيا جديدة. إلى  
الثورة. إلى الثورة. إلى الثورة.

#الثورة\_جاية\_جاية. بتعيدوا تفجير نفس الكنية.

#الثورة\_جاية\_جاية. مش مكفيكم السلفي الغلبان اللي قبضتم  
عليه السنة اللي فاتت وقتلتوه من التعذيب حتهموا مين السنة دي؟



لا يعرفون كيف مضت الليلة وكل متوحد مع جهاز اللاب توب  
أو التابلت أو الموبايل. لقد رأوا أنفسهم معًا حول منضدة السفرة في  
الصباح وقد جهزت ماما كريمة لهم الإفطار ليتناولوه في صمت ثم  
بتخرفوا إلى أعمالهم أو بلادهم. بينما كان وزير «مم» يفتل تحت  
الشد بعد ليلة قضاها مع هالة أورجازم غير معني بما جرى. وعندما  
خرج من غرفته الرية إلى مكتبه دخل عليه العقيد مؤثر منسائلاً:

- ماذا سنفعل فيما حدث أمس؟

أجاب:

- لا علاقة لنا بما حدث لذلك لم أهتم. جهاز آخر هو من فعل ذلك.

وقف العقيد مؤثر حائزاً ثم قال:

- لكن يا أفندم الدينا كلها تقول إن العملية قام بها رجال الوزارة.

مطّ وزير «مم» شفتيه وقال:

- أدخل الإفطار للأسنانة هالة ورينا يعمل ما فيه الخير.

مشى العقيد مؤثر من أمامه ووقف وزير «مم» يقول لنفسه: «عرف ريس «مُز» علاقتي بسعاد حني فقرر أن يفسدها. كان يريد أن نميد الانتخابات ونغير نتيجتها ليتحقق للناس أن هذا عام جديد وها هو يعيد نفس العام. سيخربها ولن أسمح له بذلك. لقد وعدت سعاد حني بالخبر ولا يمكن أن أفعل غير ذلك أبداً».

لكنه كان ينم ابتسامة الكاذب الذي ربح الرهان ولم يدرك ذلك أحد.

جنس نزار في حجرته وأمامه اللاب توب على مكبه يتابع ما يكمبه  
 الشبب عن 25 يناير القادم بعد عشرة أيام. كان مطر كبير في الخارج.  
 انتقل إلى صفحة ماهيناب فقرأ فيها: «قابلت اليوم السيدة إكرام. لقد  
 أفرجوا عنها. قابلتها في مطعم إسبرطة. قمت أضافتها فأخذتني في  
 حضنها تقبلني لكنها لم تتكلم. كلما حدثتها لم تتكلم. كان معها  
 زوجها الذي قال لي لقد فقدت النطق في حبها الانفرادي الذي  
 هال بها. لقد أفرجوا عنها حين وجدوها قد حدث لها ذلك. خافوا أن  
 تصل إلى المحكمة ويظهر ذلك أمام القاضي ويعرف أن حبها هو  
 البب. سألتها هل عذبوها فهزت رأسها بالإيجاب لكنها لم تستطع  
 أن تقول كيف حدث ذلك. قال لي زوجها إن ضابطاً كان يفتح فمها  
 ويكوي لسانها بسيجارته المشتعلة. لسانها كما ترين متورم وعليه  
 أدوية الحروق. لم أكن لا حظت ذلك. قلت له لا تترك حقها ولن  
 نتركه. أخذته إلى المحامي الثوري عصام القهوجي ويتولى الآن دفع  
 قضية على وزارة الأمن والأمان ووزيرها. شفتهم يا شعب ماذا يفعلون  
 بالنساء الأظهار؟»

وجد أن خمسة شير للبرست قد حدثت في الترو. الثورة قادمة بقوة يا نزار. ابتسم سعيدًا بشعر بالثقة تملأ صدره. هل يحب ما هيتاب ولا يدري. لقد أحس أمس بميل كبير لشهيرة التي سافرت لكنه يشعر أن باب الحب لا يزال موصدًا بعد الفقد الذي تعرض له. ما الذي يمكن أن يفتح باب الحب الآن. ربما الثورة تغير من كل شيء. وراى صورة وجه شهيرة تتحرك أمامه في الفرقة. فتح صفحتها على تويتر. لم يجدها قد فعلت ما اتفقوا عليه. الهاشتاج الخاص بسعاد حسني. مضت أيام ولم تبدأ. لقد قرروا أن تبدأ هي باعتبارها شاهدة على ما جرى. لكنه وجد على صفحة شهيرة فيلمًا قصيرًا من اليوتيوب عنوانه انظرو إلى هذه الفتاة المجهولة ماذا تفعل أمام مبنى «حماية الدولة». أخذ يتابع الفيلم. رأى فتاة صغيرة الحجم تبدو لا تزيد على السادسة عشر. لا بد أنها أكبر من ذلك. كانت تقف أمام وزارة الأمن والأمان وتهتف:

«مش حتمدر مش حتمدر

إحنا نقدر إحنا نقدر»

«حبستونا وقتلتونا وسرقتونا

وقاعدین علی قلب اللى جابونا»

ادعشه أن الجنود والضباط يقفون بعيدًا لا يتحركون إليها ولا يحاولون الاعتداء أو القبض عليها «لقد استمرت الفتاة وقتًا طويلاً



نهتف ولا رد فعل من الشرطة. هل يكون ما تردد من أن وزير الأمن والأمان لديه تعليمات من سعاد حسني أن لا يقبض على أحد صحيحًا حقًا؟ ألا يمكن أن تكون هذه خرافة جديدة من الخرافات التي تنتشر في البلاد. لكنها تسب رجاله مباشرة. ألا يخشى وزير الأمن والأمان على نفسه من أبي العساكر. أو حتى من رجاله! لقد انتهى الفيلم القصير والفتاة تهتف فقام هو بدوره بعمل «شير» للفيلم الذي رأى أن عشرين ألفاً «شبروه» على صفحاتهم.

لم يتبه نزار أن الفيلم تم تصويره وتحميله على اليوتيوب في الوقت الذي جرى فيه منذ ساعة أو أقل. كان وزير الأمن والأمان «مم» في مكتبه يعرف ماذا تفعل الفتاة وكلما فكر في إصدار أمر بالقبض عليها وجد سعاد حسني تنظر إليه من فضاء الغرفة. صار يمشي بين جدرانها والعقيد مؤثر يقف في حيرة ويقول:

- يا افتدم حضر تك أمرت أن لا يتم القبض على أحد حتى 25 يناير لكن البنت تقف أمام الوزارة وتشتتا. لا بد أن نقبض عليها.  
هنا انفجر فيه الوزير قائلاً:

- ابعت هات لي هالة أورجازم. دي بلدة ما فيش فيها قابلة ولا رجا وأنا لم أعد قادرًا عليها.

خرج العقيد مؤثر حائرًا. ما إن جلس إلى مكتبه حتى تحدث هامسًا في الموبايل. أخبر مدير «مُر» بما يحدث فقال له:

- هذا المجنون لا بد أن يخرج من الوزارة.

وقرر أن يقوم بشيء لم يفعله من قبل. أن يطلق الثعبانين من يديه ليلا يمشيان في الطرقات ليصلا إلى مقر الوزارة ويدخلانها ويختفيا وزير الأمن والأمان. وقف بضحك في غرفة نومه الملحقة بمكتبه السري في الصحراء. هل يمكن أن يفعل ذلك؟ لم لا؟ لم لا يحاول؟ إذا خذله الثعبانان سيمودان ولن يخر شيئا. وإذا داست عليهما السيارات لن يتأثرا، بل ويمكن أن يصعدا فوق العمارات. إنه على ثقة أنهما يصلان إلى عشرات الكيلو مترات ما دام لم يسحبهما إلى يديه.

راح ينظر إلى يديه وقد خرج من كل من إصبعيه الأوسطين ثعبان رفيع. فتح لهما باب الغرفة ومشى معهما في الصالة وفتح لهما الباب الخارجي إلى الفضاء في الصحراء. كان هناك عدد من الحراس ما إن رآوا ذلك حتى انتفضوا وشرعوا أسلحتهم الآلية لكنه قال لهم اتركوا الثعبانين إنهما يتبعاني. كان زهول الحرس كبيرا جدًا حتى أن بعضهم انتفخت أوداجه وكادت عيونهم أن تخرج من مآقيها. راح الثعبانان يتحركان ويطولان وهو يقف أمام الباب يضحك وأمامه تمتد الصحراء إلى ما لا نهاية. هل سيرف الثعبانان طريقهما. لقد عرفا ما في نفه وسيفدان ما أراده منهما!

- أحضروا لي مقعدًا. سأجلس وسط البرد أمام الباب.

بسرعة أحضروا له مقعدًا من الجلد وجلس عليه في بذلة العسكرية ينظر إلى يديه ويضحك. كان الثعبانان قد طالا كثيرًا بينما

ظل هو يضحك كثيرًا أيضًا. لا أحد يعترض طريقهما حتى الآن. لم يشعر بأي ألم خفيف يصل منهما إليه.. عيونهما نائمة وتعرفان طريقهما ونسان كل شعبان يبقه أمامه يشم له الطريق.

كان الجو باردًا والظلام نزل على الدنيا، وكأنما اتفاق بينه وبين مكان لا وند هاد أكثر الناس إلى بيوتهم مبكرًا هروبًا من المطر أو البرد. كان المطر أمامه هو الذي يجلس محتمًا بسقف الشرفة العليا للمبنى الصغير والظلام يكاد يخفي عنه الشعبان بعد مسافة عدة أمتار قليلة، لكنه كان يشعر بحركتهما ويتشم ويكاد يضحك فحركاتهما تصل إليه دغدغة في أطراف يديه وتصل إلى ذراعيه والحرمان يحيط به مندهشين من ابتسامته وضحكه مرات قليلة سريعة.

- كم الساعة الآن؟

- العاشرة مساءً يا سيدي.

- إذن مضت ساعة.

قال ذلك وهو يتشم سعيدًا. لقد صارت الدغدغة في أطراف يديه أقوى لكنه اتبه فجأة أن ساعة وقت طويل لتصل إلى مكتب وزير الأمن والأمان. أين يكون قد ذهب الشعبان؟ هل ضلّا طريقهما. هل يجذبهما من جديد؟ ارتبك لحظات لكنه قرر أن يتصل بالعقيد مؤثر. طلب تليفونًا محمولًا من أحد الحراس وأمره أن يتصل بالعقيد مؤثر ثم يعطيه له، فهو لا يستطيع أن يطلب أرقامًا والدغدغة في أطرافه لكن

الحارس قال لا رد. التليفون مغلق. هل أرسل إليه رسالة يا أفندم؟  
مط شفته ثم ضمهما إلى أسنانه ولم يرد. فليحدث ما يحدث. أهي  
سيكون قد ذهب الثعبانان؟ ربما راقبت لهما الطرق ويمشيان قلباً  
على كورنيش لا وندة ونهرها العظيم. لن يحرمهما من المتعة. ولم  
يكن يلدي أن أبو العساكر نالم جوار زوجته التي فتحت عينيها مندهش  
وهي تنام على جانبها الأيسر ووجهها إلى وجهه هو بدوره الذي نام  
على جانبه الأيمن. لكنته أيقظته وقالت له ضاحكة:

- ماذا تفعل في ظهري؟

نظر إليها مندهشاً وهو يفتح عينه. لم يتكلم للحظة وقال لها:

- أنتِ ماذا تفعلين في ظهري؟

ضحكت لكنها انتفضت قائلة:

- يا لهوي. يداك إلى جانبك وشيء ما يمشي على ظهري.

بدوره انتفض جانباً. لقد أحس بنفس الشيء يمشي على ظهره  
بينما يرى يديها جوارها. جلسا مسرعين إلى ظهر السرير بظهريهما  
ورأيا أمامهما الثعبانين يقفان أمام السرير رافعين رأسيهما إليهما.

- ما هذا؟

صرخ أبو العساكر وهي تكورت في رعب. رأى الثعبانان يدخلان  
من الباب المفتوح ولانهاية لهما. قال صارخاً:

- مَنْ فتح الباب؟ قلت لك ألف مرة لا تفعلين ذلك ونحن نيام.

لكنها كانت تتكور في رعب أكثر ولا تجيب. تفكر أن خلف الباب أبواباً أخرى وليس باباً واحداً. فجأة صرخ ثعبان منهما مصدراً أزيزاً صمبقاً وانضم جزاء الخلفي الذي لا يرى إلى رأسه أمامهما وصار في مسافة لا تزيد على نصف متر ساقطاً على الأرض. وبين دهشة أبو العاكر الذي تجمد تماماً حدث الشيء نفسه للثعبان الآخر. ودخل إلى الغرفة فجأة قائد الحرس مرعاً في يده ساطور كبير وقال:

- لقد رأيت الثعبانين فقطعتهما.

نظر إليه أبو العاكر بينما فتحت ساء هانم عينيها ثم اندفعت باكية إلى صدره. قال قائد الحرس:

- لا تخافي سيدتي. كنت أمر على الغرف والقصر كله كمادتي وجدت الثعبانين قد دخلا من نافذة المطبخ المفتوحة على الحديقة. لم أصدق نفسي وأنا أرى طولهما لا يتهي في الحديقة ويرتفع فوق السور ليتدلى إلى الخارج. قطعت الثعبانين اللذين أدركت أنهما سيتهيان إلى هنا.

كان الثعبانان على الأرض ممددين لكن رأس كل منهما يتحرك في كل اتجاه فاتجه إليهما قائد الحرس وهشم الرأسين بالساطور وسكنت حركة الثعبانين.



وقف مدير «مزر» منهوًلاً. فالثعبانان يتدليان من يديه لكن لا حركة. لقد أحس بالأكم شديداً في يديه وراح يضمهما إليه فلم ينضما. كانا ينضمان من قبل بمجرد الرغبة في ذلك. مجرد أن يصدر إليهما أمراً برغبته دون كلام. وقف وراح يهز ذراعيه وحركة الثعبانين مثل حركة أي حبل لا روح فيه. لف الثعبانين على يديه فالتفا لكن بدا أنه لا نهاية لهما. أحس أيضاً بجلدهما صار بارداً. لقد فقد كل مظاهر الحياة. انهار جالسا. من قتل الثعبانين وكيف يضمهما قبل أن يكتشف مصدرهما أحد. راح بسرعة يشدهما إلى يديه ثم ذراعيه حتى انهار جالسا متعباً. طلب من حراسه أن يجمعوهما بسرعة فراحوا يجذبونهما بقوة ويدبرونهما على ذراعيه لكن بدا أيضاً أنهم سيحتاجون وقتاً طويلاً. كان أبو العساكر يأتي خلف الثعبانين في سيارة سوداء ومعه قائد حرسه. قال له:

- رئيس «مزر» هو من يطلق الثعابين. المهم أن نلحق به قبل أن يختفي.

سأل قائد الحرس:

- ماذا ستفعل يا سيدي؟

أجاب أبو العساكر:

- ماذا تصور أنني سأفعل به؟

قال قائد الحرس:

- أخفقه بهما.

قال أبو العاكر:

- لا. سألقي به وهما معه إلى العصور القديمة يتعلق بهما في  
الاشجار حتى تأكلهما الوحوش ثم تأكله.



شمس حانية تشرق على بلاد اللاوند. شمس تعلن أن هذه البلاد جميلة وسط الدنيا. ترفع الأنظار إلى بهاء الفضاء على البحر وحول النهر وفي الشوارع البعيدة والأزقة في العشوائيات. راح الناس يتساءلون مندهشين هي «البلد حلوة كده ليه؟»

المدارس أخرجت تلاميذها إلى الأفنية أمام القصور. المصانع أخرجت عمالها أمامها وعلى أسطحها يتطلعون إلى الضوء الباهر. كأنما كانت البلاد في غيم لا يقطع آلاف السنين ثم انجاب عنها. كل من في المقاهي وقفوا أمامها على الأرصفة يتطلعون إلى السماء. امتلأت الشوارع بالألوان الزاهية لملابس النساء والرجال. على الأسطح صعد من في البيوت يقفون رافعين أذرعهم إلى أعلى يتسمون هواءً عليلًا لم يعرفوه من قبل. طارت الرسائل القصيرة بين الهواتف المحمولة تطلب الصفح ممن أصابهم ضرر من العشاق. تطلب الغفران. استقرت على الشفاء بسمات طفولية حملت عنوبة الملائكة. خلع الرجال والنساء ثيابهم الشتوية وارتدوا أزياء الربيع. خلعت الكثيرات من النساء الحجاب والنقاب وتركن شعرهن في

الطرقات للهواء الحاني. كان الواقفون أمام المقاهي يتطلعون إلى الفضاء في دهشة من رائحة العطور التي تسبح فيه ومن الوجوه النضرة للنساء. فكر أكثر من واحد أن لاوند هادت إلى الخلف خمسين سنة. هكذا كانت النساء في الطرقات وكان الرجال وكان الفضاء والعطور السابحة. من الذي غير الناس والبلاد غير جماعة «النصيحة والهدى» وأهل السلف والنظام الحاكم نفسه لتظل البلاد وأهلها في ظلام؟

مشت السعادة على وجوه المندمسين عريضة وعلى وجوه الآخرين مملوءة بروح الفرح. لم تختف الشمس مع الماء. ظلت حانية مبهرة الضوء. في مثل هذا الوقت من كل يوم في الشتاء يدخل الليل كيئفاً. صار مشهد أضواء الشوارع مثيراً إذ صارت المصابيح كلها فوق الأعمدة صفراء الضوء فبدت مثل عقد من الذهب يطوق كل شارع وميدان. إلى الميدان الكبير مشى شباب لم يأتوه من قبل وفتيات جميلات كأنهن هبطن من السماء وصارت أصوات الموسيقى تأتي من الفضاء.

صارت ظاهرة الشمس خيراً في كل الإذاعات الأجنبية والفضائيات التلفزيونية. ما الذي يحدث في بلاد اللاوند؟ ظاهرة كونية لم تحدث من قبل. الشمس تتعادم عليها لا تفارقها رغم أن الأرض لا تزال تدور. هل صارت الشمس تدور مع الأرض وينفس سرعتها أم توقفت الأرض عن الدوران؟

في الجنوب وقفت شهيرة على سطح منزلها لا تصدق أن الليل لم يدخل على المدينة. في فاروس وقفت ماهيتاب على الشاطئ تتطلع إلى الموج الهادئ وتشعر بهواء البحر العليل وقوس القزح الذي يمتد منذ الصباح بعرض البحر لا يخفي وحولها عدد من الشباب والفتيات في دهشة تترقق دموعهم غير مصدقين. أكثرهم كان قد فقد حبيته أو حبيته والآن يقفون وأيديهم متعانقة كأنها تقسم أن لا يفترقوا أبدًا من جديد. ارتفعت أجراس الكنائس في كل البلاد وارتفع أذان العشاء بأصوات لم يمهدها من قبل من فرط جمالها. «ما الذي يحدث يا نورهان في بلاد اللاوند؟ ما كل هذا الرضا الإلهي الذي يؤخر الليل عنها؟» كانت هذه رسالة ماهيتاب إلى نورهان فجاءها الرد: «أمشي أنا ونزار وأحمد خشبة ومصطفى وسط لاونده في الميدان الكبير وحوله غير مصدقين. ناس غير الناس وأحاديث هامة وعلى الوجوه فرح مني منذ عشرات السنين».

مضت ساعات وبدأ الناس يعودون إلى منازلهم وتخلو الشوارع والميادين والشمس لا تتحرك والهواء العليل لا يتوقف. نام الناس غير مصدقين وبعضهم ضحك وقال أخشى أن أستيقظ في السابعة كالعادة فأجد الليل قد بدأ بدلًا من الصباح. لم يعرفوا ماذا جرى بين أبر العساكر وزوجته التي قالت له هذه معجزة ويُشْرَى من الله بعد أن تخلصت من مدير «مُر». وكان وزير الأمن والأمان «مَم» جالسًا طول الوقت وحده يكرر جملة التي قالها للمعيد مؤثر حين بدأ الليل في

الغياب، هل يمكن أن يفرح الكون كل هذا الفرح بزوال مدير «مُر»؟  
وحين فكر أن يذهب إلى مقبرة سعاد حسني قال له العقيد مؤثر:

- ما يدرينا أن الناس لم تذهب إلى المقابر لتزور موتاهم وسط  
الليل الذي صار نهارًا. فرصة رؤيتك ستكون كبيرة. ثم ألم تعلم بما  
فعله مدير «مُر»؟

- أعرف أنه نكش مقبرتها لكنها مؤكدة خدعته وعادت إليها. أريد  
أن أصلي وأشكرها يا مؤثر.

- صلّ هنا الليلة لها واشكرها يا سيدي حتى نرى ماذا  
سيحدث غداً.

لم يكن في مكتبه سجادة صلاة فأحضر له مؤثر سجادته ووقف  
يصلي وخرج مؤثر من الغرفة. انتهى وزير «مم» ونادى مؤثر قائلاً:

- افتح النوافذ يا مؤثر. دع النور يدخل والهواء الطيب فلا حاجة لنا  
بدفء المكيفات الليلة ولا ضوء المصابيح.

وقالت سناء لأبو العساكر ضاحكة وهي تتمدد جواره على  
السريр:

- أول مرة أناام بالنهار جنبك.

قال لها ضاحكاً أيضاً:

- شكلي رجعت خمسين سنة لورا بعد أن أقيت بالمجنون الذي  
حاول قتلنا إلى العصور الوسطى.

قالت:

- كان عليك أن تلقي به إلى عصور قبل الميلاد لتأكله الوحوش.

قال لها:

- لقد كان ما بقي من الشعبانين طويلًا جدًا وثقيلًا جدًا حين أخطاه به. أنت لم تشاهديه. بعد أن أخطاه بجسم الشعبانين المبتين صار سميًا جدًا وبلغ قطره عشرة أمتار. لم أكن قادرًا أن أرسله إلى زمن أبعد من ذلك. لكن اطمئني لقد أرسلته إلى وسط إفريقيا القريبة منا. سأأكله الأسود والنمور فلهجم الشعبانين لذيد.

ضمته إليها متصورة أنه بالفعل عاد خمسين عامًا إلى الوراء لكن خذلته قرته الجنسية. صرخت فيه:

- وما زلت لا تعيد نفسك حقًا خمسين سنة؟

سكت في ضيق لحظات ثم قال لها:

- ستفقد أبنائنا. ومن يدري قد لا نعود فنكون فقدناهم إلى الأبد. هكذا أراد الله علينا أن نرضى بإرادته.

في الظهيرة أعلن التلفزيون في كل القنوات أن حديثًا لحاكم البلاد بعد قليل فخلت الشوارع أكثر وامتلات المقاهي بمن لم يستطع العودة إلى البيت. سيمعون أبو العساكر اليوم. لا بد أنه سيتحدث عن ظاهرة الشمس الحانية المتعامدة على البلاد فماذا يقول؟

ابني وطني . في هذه الأيام الجميلة أحب أن أشارككم فرحتكم  
بتعامد الشمس فوق البلاد منذ أمس . لقد انزاح الليل عن البلاد وهذه  
إشارة من السماء للخير القادم . لقد أقمت لله إنني لن أترك مروجاً  
واحداً يسيء إلى هذا الشعب العظيم . وأترككم الآن نستمتعون  
بالأشعة الرائعة والهواء الحنون . لا وند طول عمرها بلد المعجزات  
وأهلها خير أهل الأرض .

وصدحت المساجد بأصوات الشيوخ تقول إن لدينا حاكماً رضي  
الله عنه حلت بركته على الدنيا فأضاءتها ولن تظلمها أبداً!



لكن الذي جرى في السماء أن أقبل الليل مبكراً، وأصبح الصباح  
عنى بلد فارقته الشمس إذ امتلات سماؤها بالسحب السود، وبدأ أن  
الشمس لا تجد لها طريقاً تنفذ منه أشعتها . أمضى اللاونديون يومهم  
كله في ظلام يشتد في الأماكن العشوائية التي ترتفع فيها البيوت في  
ازقة ضيقة، وأضاء الناس بيوتهم وشرفاتهم بالكهرباء طول النهار،  
ومشى مع الظلام الذي رشح على الدنيا هواء شديد البرودة، فخلع  
الناس ما ارتدوه من ملابس زاهية وارتدوا ملابس ثقيلة، وصاروا  
يجرون في الطرقات خوفاً من المطر الذي يمكن أن يفاجئهم . على  
الطرق السريعة توقفت العربات تقريباً عن السير فكلها تمشي ببطء  
شديد، وارتفعت صيحات الشجار بين أصحاب السيارات وبين  
قائدي التاكسيات ومن ركب معهم إذ كان أكثرهم يود أخذ طريق آخر،



ولم تُجدِ محاولة فالدي السيارات في إقناعهم أن الطرق كلها شبه  
مدودة، وارتفعت اللعنات على أبو العساكر وظهوره في التلفزيون  
إذا اعتبروا ما جرى نحنًا لازمهم بسية، وحلت لعنات الشباب على  
شيوخ الماجد، وظهر على تويتر هاشتاج جديد.

#مبوطين-ياشيوخ-الوالي. أهى ضلمت.

#مبوطين-ياشيوخ-الوالي. لحد إمتى حفضلوا خدامين  
للمحاكم. نحكم دا والا مش نحكم.

#مبوطين-ياشيوخ-الوالي. دايقا مستعجلين. ما تستنوا تشوفوا  
يمكن تحصل مهية تطلعكم كذايين. يخرّب بيت القلوس.

#مبوطين-ياشيوخ-الوالي. قولوا لنا أي حاجة عن الولد  
السلفي اللي قتلوه السنة اللي فاتت بعد انفجار الكنية وقبضوا عليه  
تاني السنة دي!

#مبوطين-ياشيوخ-الوالي. نفدت من تعاين مدير «مُر» لكن  
مش حتفندوا من تعاين وزير «مَم» ولا أبو العساكر.

#مبوطين-ياشيوخ-الوالي. أبو العساكر دلوقت يعمل تدريبات  
يطلع تعاين من إيديه علشان يخنق بيها اللي يعارضوه.

#مبوطين-ياشيوخ-الوالي. لا وحياتك اللي يعمل التدريبات  
دي وزير «مَم» ما أخذش درس من اللي حصل لصاحبه.



«مبوطين-ياثيوخ-الوالي. حنطلع الشمس يوم 25 يناير ومن  
حينفع الهبل اللي عملتوه ووقفتم به السنين. أهى رجعت غصب  
عنكم.

وانحقيقة أن الحاكم أبو المساكر نشاءم جدًا مما جرى وحلّ في  
البلاد من ظلام بعد خطبته. لم يصدق أن ذلك حدث صدقة. لقد  
أوعز إليه وزير «مم» بهذا الحديث في اجتماعه به مع السر عسكر  
ناظر الحرية الذي صار هو أيضًا مدير «مُز» المؤقت. الحقيقة أن وزير  
«مم» لم يشأ للسر عسكر أن يسبقه في اقتراح شيء طيب على الحاكم.  
لقد خلصه الحاكم من مدير «مُز» ويجب أن يفتق على السر عسكر  
الفرصة. ومن المؤكد أن الشمس ستختفي لكن لن يكون بعدها ظلام  
مثلما كان من قبل. رأى ابتسامة السر عسكر الذي جلس صامتًا معظم  
الوقت. استراب فيها ثم قال في نفسه ما الذي يمكن أن يحدث من  
جراه اقتراحه غير الخير. ثم إنه لم يكن اقتراحًا من بنات أفكاره. كان  
قد اجتمع مع رجاله الكبار اللواء سرّي فايز رئيس حماية الدولة وسعاد  
فايز رئيس قوات مكافحة الشغب وسنقر فايز رئيس المباحث العامة  
وسامح أبو قرش رئيس مكافحة المخدرات وسامي أبو عامود رئيس  
الإعلام وكان هذا هو رأيهم أيضًا. ناقش معهم ما يمكن أن يحدث لو  
انقلب الجو وأظلمت الدنيا بعد حديث الحاكم، وقالوا له لن تكون  
مظلمة أبدًا كما كانت من قبل، ولو حدث وأظلمت ستزداد ثقة الحاكم  
فيه بعد التقارير التي وصلت من كونه طامعًا في الحكم. سيمترك إنسانًا

عاديًا يا سيادة الوزير ليس لديك إمكانيات أخرى من أي نوع. وقال مر ضاحكا: «يارب يعتبرني أهيبل»، واندحش مما قاله رجاله إنه آن الأوان أن يأخذ موقع الحاكم. كيف عرفوا ذلك عنه بينما لا يعرف عنه ذلك إلا العقيد مؤثر. هل يكون قد خانه أم يكونوا هم توصلوا إلى ذلك من مراقبته، وفي كل الأحوال ليس من المحتمل أن يكونوا أبلغوا الحاكم؟ كان لا يعرف أن الحاكم يعرف من تقارير رئيس «مُز» ومما تنقله له زوجته عن طريق عيونها. وربما كان يعرف وأنته الأحداث. إن تركيزه مع سعاد حني جعله لا يترك ما حوله. هذه مصيبة يا سيادة الوزير. قال لنفسه ذلك وهو يبط شفتيه ويهز رأسه.



قال الحاكم أبو العساكر لزوجته:

- هذه أول مرة أشعر باليأس. ما كان لي أن أخطب.
- قلت لك لا تستمع لاقتراحات وزير «مَم».
- أنا طبعا لم أؤمن بكلمة واحدة مما قلت لكن لم أكن أتصور أن النتيجة ستكون هكذا. ظلام دامس لعدة أيام الآن.
- ثم سكت لحظات راحت هي فيها تنظر إليه وسأله في قلق:
- فيم تفكر حقًا؟
- في إجازة طويلة لأنك لن تصدقني إذا قلت لك أفكر في مغادرة هذه البلاد. جدي يأتيني كثيرا في الأحلام.

توقف عن القول إن سعاد حسني تأتيه على ظهر جده لكنها سألت  
وهي تنظر إليه في استهتار:

- أي إجازة؟ أنت في إجازة طول الوقت..

وابتسمت وهي تضيف:

- ثم هل تعرف معنى اسم جدك؟

- أعرف. وبالمناسبة لم يقله لي الأستاذ برقوق بتاعك.

نظرت إليه من جديد في ارتباك هذه المرة فقال:

- اسم غريب لحبوان أسطوري نصفه الأسفل حصان والأعلى

لرجل. أسطورة يونانية لا أعرف كيف وصلت إلى لاوند. ربما كان

جدي الأكبر بحارًا زار اليونان وعاد بالاسم لابنه. لجدي يعني.

قالت ضاحكة:

- أو ناجر قطن!

نظر إليها. حقًا هي تعرف كل شيء عنه ولا تنساه. قالت:

- مهما كان جدك فاتبه. لا معنى لهذا الحنين. وربما إذا ذهبت

إليه لا تعود.

قال ضاحكًا:

- لن أذهب وحدي. سأخذك معي.

هضت:

- هل أنت مجنون؟

- أجل.

- وابنتك الذي يتظر الحكم.

- يتظر حتى أعود.

- ماذا تعني؟

- أعني أنني تعبت وغير قادر على تسليم الحكم لابني في هذه الظروف ولا أستمتع بوقتي ولا بالقدرات التي وهبني إياها الله. إنها قدرات تعيني على التخلص من أعدائي فقط لكنني أظن أعاني في حكم اللاوند واللاونديين. كما أننا كنا قساة مع الشباب جداً. لا يجب أن تفعل بهم أكثر مما فعلنا. إنهم شباب لاوند في النهاية نتركهم ليجربوا الحياة من غيري قليلاً. على يقين أنا أنهم لن يجدوا أفضل مني وسيظهر من بينهم من يطالب بعودتي.. ما رأيك أن نساعدني على ترك البلاد لنعيش في عصر سيدنا آدم؟ حتى لبعض الوقت.

حملت فيه ودعشتها تزداد فقال:

- أجل. وإذا لم نعد. وإذا لم يخرجوا اللدء بعودتي نبداً نسلًا

جديداً من البشر.

ابتسمت ساخرة فقال:

- طبعًا تدهشين مما أقول بعد كل ما فعلته في البلاد والناس.

قالت ساخرة:

- لا. فقط أندم من طينك التي ظهرت فجأة ونصف فلوس البلد  
نم تهريبها خارج البلاد ناهيك عن الماجين والمعتقلين والتعذيب.  
هناك شيء آخر تخفيه علي!

كاد يقول لها عمًا يشعر به. حين غريب إلى زمن سحيق حقًا لكن ليس  
بسبب ما قال. لكنها سعاد حسني التي لا تتركه في الأحلام. يرى ويشعر  
أنها هي التي ستعيد إليه صباه حتى لو أخفته إلى جلد القنطروس. إنه  
ليس مرعبًا كما رآه أول مرة. جد رائع لرجل قوي يتمدد نصفه الأسفل  
ليكون مهرًا رائع الجمال. لو رآه حقيقة ربما عاد مثله خاصة أن سعاد  
حسني لن تتركه. ما يخاليله من إحساس أنه ربما فقد قدرته على إلقاء  
الناس في عصور أخرى. فكر أن يجرب فيها دون أن يخبرها بشيء ليتأكد  
أنه لا يزال على حاله، لكن هل يمكن أن يستدعيها من جديد لتعود به إذا  
خفكه سعاد حسني وإذا خفله جلد القنطروس؟ لقد صارت تحمل شيئًا  
من قدراته التي يشعر بضياها لكن ذلك ليس مضمونًا أبدًا. لم يفعله  
من قبل. حين ألقى بالسر عسكر أنقذه مدير «مُر» وعاد به. لم يلقه بعيدًا  
ولا في زمن بعيد. القنطروس، جده، بعيد جدًا قبل أن يكون هناك زمن.  
لكن أين ذهب حقًا ما خيل إليه في القصر منذ عام حين امتدت من يده

أطراف لا تنتهي وحين هبطت الطيور إلى أرض القصر تلتقط حبوباً لا يعرف مصدرها؟ هل يمكن أن تحمل أطرافه زوجته إلى مكان وزمان بعيدين ثم يجذبها فتعرد بها؟ سيكون ذلك أكثر ضماناً من أن يلعب معها مجرباً قدراته التي يشعر أنها يمكن أن تكون ضاغت. أجل. شيء من الضعف يسري في جسده وشيء من الشك يكاد يزلزل قلميه. إن التقارير الواردة إليه من الأجهزة الاستخباراتية تقول إن الاستعداد للثورة الجديدة يتفوق على ما جرى العام الماضي. الآن مع الشباب قوى خرافية على رأسها الممثلة الممحوقة سعاد حسني التي يمكن أن يكون ظهورها له خدعة كبيرة خاصة أنه لم يكتمل له حلم بها ولم يحتلم! إن اختفاء كينج كونج كل هذا الوقت عن الظهور يعني أنه يستعد لظهور أكبر وأقوى. لقد حدثت عملية اختفاء كبيرة للمقطط من حياة الناس. من الشوارع والبيوت والأسطح والخلاء والمطاعم وكل مكان مما يعني أن من جمعها يمكن أن يطلقها في الوقت المناسب. يعرف أن سعاد حسني تخرج من قبرها كل مساء حين يتتصف الليل تركب مهرها المجنح وتطوف به فوق سماء العاصمة لا وندة لساعات، ثم تنزل وسط المقابر تطلقها كينج كونج قبل أن تصل إلى الأرض ويدخل بها مقبرتها ولا يخرج. ينسم ساخرًا من التقارير التي صارت تعني بالخرافات كأنها حقائق لكن من الذي رشح الخرافات في أذهان الناس إلا هو ورجال النصيحة والهدى. لكن بما أنه هو أيضًا يشاق للمنطروس إذن فالتقارير حقيقية! لقد كان يتصور أنه ومدير «مُر» الخرافتان الوحيدتان،



لكن ظهر له الآن أن الخرافات هي الحقائق. ليكن. لن يرعبه ذلك ولا  
يجب أن يهتز. فليحمل زوجته ويطلق أطرافه وليرى إلى أين تنتهي. هو  
على يقين أنه سيعود بها. أو سيعيد سعاد حسني على فرسها المجنح أو  
سيعود به جده القنطروس  
وقف أمامها قائلاً:

- لقد مضى عام كامل ولم يعد ابنك الذي تقولين لي إنه مستعد  
لتولي الحكم؟

ابنت وقالت:

- لا بد أنه سعيد مع نساء تاهيتا.

- ما رأيك أن نذهب إليه؟

اندهشت وقالت:

- الآن؟ والبلاد على حافة ثورة؟!

- نذهب إليه ونعود بسرعة. نطمئن على أحواله.

تساءلت:

- بالطائرة؟

- لا. على طريقتي. أحملك وأطير معك في الزمان والمكان.

ضحكت وقالت:



- هرمت وخرفت يا مولاي. هل نيت أنك لا نستطيع أن تعبد مر  
تقنهم في الزمان؟ كيف إذن ستعود بنا؟

- صحيح.

قال ذلك شاردًا فقالت ضاحكة:

- هل عرفت ما فعلته مع لانجيري نساء «النصيحة والهدى»؟  
فكرت بعمق كما قلت لي. فكرت بعمق أن يدخل الجراد غرف  
نومهن ويحمل اللانجيري ويطير بعيدًا، وأصبحن فوجدن الجراد في  
حواليهن.

- وكيف عرفت أن ذلك حدث بالفعل؟

- البصاصون بتوعي من النران!

قال مسرورًا:

- إذن صارت لك كرامات!

- أحسن من كراماتك.

هو الذي يعرف أنه تمنى لها أن يحدث ذلك. لكنه قرر أن يفعل ما  
فكر فيه. يقذفها ويعبدها وهو يقف في مكانه. قال:

- إلى هذا الحد؟ طيب خذينا لابتك وبما أنني لن أقذفك سأحتفظ  
بقدرتي أن أعيدك وأعود معك.

فتحت عينيها على اتساعهما يراردها الإغراء وقالت:

- هل أنت متأكد من قدرتك على العودة بنا؟

- متأكد طبعا. لي مرة واحدة دائما كما قلت لك من قبل. ذهاب أو

إياب. ثم إنني لن أتركك من يدي. لا تمنني شيئا آخر.

أخذت نفسا عميقا وأغمضت عينيها مبتسمة وقالت:

- هه. طيب. فلنجرب.

وأمسكت به من وسطه وهو يحاول الابتعاد عنها وهي تضحك

وتقول:

- هل نيت أنك منحني القدرة على أن يحدث ما أفكر

فيه. لن تفلت مني الآن فلا تقاوم. ستعيبننا وأنا متأكدة من ذلك.

سأحملك أنا.

- يا مجنونة أرجعي في كلامك. أنا باهزر.

- سأذهب بك إلى ابنك لا إلى جلدك. لا تخف. ابنك في زماننا.

لكن طالت أطرافها به وانفتح السقف وخرجت منه جميع أطرافها

تحمله أمامها وتحملها خلفه. صرخ:

- يا مجنونة أرجعي في كلامك. أنا الذي كنت سأحملك.

ولم يعد أحدهما يسمع الآخر. لقد انفتح لهما سقف القصر

وصارا بين السماء والأرض، ثم ارتفعا فوق السحب وطارا فوق جبال

وهضاب وأنهار وبراكين وصحاري وشاهدنا زلازل وانهيارات وبحارًا  
تُفرق البرّ وطيورًا تقع من السماء وجليدًا يتجمد وجليدًا يذوب  
وملابسهما تقع من عليهما شيئًا فشيئًا ولا هو قادر على العودة ولا هي  
تذكر من أين جاءت وإلى أين تذهب وسمعت أصوات ديناصورات  
وحشية تملأ الفضاء وهما يتزلزلان إلى الأرض وكلما اقتربا شاهداها  
ترمع وراء بعضهما في فراغ الأرض وبين الغابات التي سقطا بها على  
فرع شجرة متقابلين عارين تمامًا.

قالت باكية تصرخ:

- أنا أخطأت المكان والزمان. فكرت خائفة أن أضل الطريق  
فضلتك. أعدنا بسرعة إلى حيث كنا.

هز رأسه وأصدر صوتًا وحشيًا وقال:

- مَنْ أَنْتِ أيتها المرأة؟ إنسية أم جنية؟

ورأى قنطروس يجري بين الأشجار فهبط إليه صارخًا:

- يا إلهي! هذا جدي. أبي الأول. لقد افقدته كثيرًا ولا بد يبحث  
عني.

وجرى خلف القنطروس يناديه «جَدِّي»، «جَدِّي لا تتركني» ولم  
يعد إليها. كانت سعاد حني، هديل، عارية إلا من ورقة التوت على  
فرع شجرة بعيدة تضحك ونصفق.

أمام شاشات التلفزيون جلس الشعب اللاوندي كله. في البيوت والمقاهي والنوادي. لا أحد في الشوارع ولا أحد في المحلات ولا أحد بعيد عن شاشات التلفزيون. السر عكر ورئيس «مُز» الجديد يقول شيئًا هامًا للشعب. لقد توقع الجميع أنه سيعلن استقالة الحاكم أو هروبه أو إخراجه من الحكم بالقوة قبل أن تنفجر الثورة اليوم الخامس والعشرين من يناير في منتصف النهار. أجل. ما معنى أن يظهر السر عكر في وجود الحاكم؟ لا بد أن الحاكم خرج من الحكم.

في منزل نزار اجتمع مع مصطفى ونور هان وأحمد خشبة وشهيرة وشبماء اللتين جاءتا إلى العاصمة. ماهيتاب ظلت في فاروس وقالت إنها مستعملها نازًا لا يطفئها بحر ها. الطيب محمود محمد محمود ظهر أيضًا عند نزار. لقد تقاربيا كثيرًا في الفترة الأخيرة. في منزل زعيم جماعة النصيحة والهدى اجتمع أعضاء المكتب القيادي. في وزارة الأمن والأمان اجتمع الوزير مع رجاله أمام شاشة التلفزيون أيضًا.

الجميع يتفكرون شيئًا لن يقل عن خلق الحاكم وأكثرهم رعبًا وزير الأمن والأمان الذي لا يصدق أن أحدًا بقادر على أن يخلق الحاكم،

ولو كان ذلك قد حدث فيكون السر عسكر وفي ذلك نهايته أيضاً وترحم على مدير «مُر» السابق الذي كان لا ييغل عليه في بعض الأحيان بالأخبار كما كان أيضاً في بعضها بتشيرها السر عسكر الذي جمع مع قيادته للجيش رئاسته لـ «مُر» لا يعتني به ولا بهنم ولا بد سيكون له رجاله في الحكم. لكن التليفون دق على مكتب وجاءه صوت العقيد مؤثر يقول:

- سيادة السر عسكر ناظر الحرية مع حضرتك يا معالي الوزير.

نظر إلى رجاله الكبار ثم تكلم:

- آلو يا افندم.

- أنا سأتكلم بعد ربع ساعة.

- أعرف يا افندم.

- المهم ما بعد ذلك.

- لا أفهم ما تقصد يا افندم.

- أقصد ما سيحدث بعد أن أتكلم. المهم تكون قواتك على أهبة

الاستعداد لمنع أي مظاهرات أو تجاوزات.

تردد وزير الأمن والأمان لحظة ثم سأل:

- طيب هل يمكن أن أعرف ماذا ستفعل بالضبط ربما أقترح شيئاً

على سيادتكم.

- غير مهم أن تعرف الآن. ستعرف حين أتكلم.

تضايق وزير الأمن والأمان. ظهر الضيق على وجهه إلا أنه ضم شفته وفتح عينيه ثم قال:

- يا أفندم أنا عندي حلول للمظاهرات إذا خرجت ويمكن أن لا تخرج.

- ستخرج. دعنا من حلولك. ستكون أقوى من المرة السابقة وسعاد حسني التي تعتمد عليها مع الثوار وليست معك. نفذ التعليمات وأنت ساكت. مع السلامة.

ترك وزير الأمن سماعة التليفون من يده وبدأ في غضب شديد. صرخ:

- يشتمني. خلاص. إذا خرجت مظاهرات فلا هراة مع الشعب. افعلوا ما تستطيعون من مذابح حتى يتدخل مجلس إدارة العالم وتحتل لاوند دول العالم بقرار من المجلس ويتم تعليقكم جميعًا في المبدان الكبير! يتهى الاجتماع وكل واحد يروح بشوف حيقتل كام ألف لما تخرج الناس إلى الشوارع ومبدًا اقتلوا كل المحبوسين في السجون وأقسام البوليس. لا. انتظروا. الأفضل إطلاق سراحهم ليس بعد المظاهرات لكن بعد أن يتهى بروح أمه من كلمته. وإذا استطعتم تسليح المجرمين بالسلاح الزائد في أقسام البوليس سلحوهم. يا أنا يا هو اللي يشتمني. وسوف أرى سعاد حسني معهم أم معي؟

كان العقيد مؤثر قد دخل حين سمع صرخات الوزير قرآه الوزير  
فصرخ فيه:

- وأنت يا مؤثر شوف لي هالة أوري جازم هنا حالاً. أنا سامع نفسي  
وانتم ولعوا البلد.

لكن انفتحت أبواب صالة الاجتماع وحدها ودخلت منها قوات  
ملثمة رافعة الرشاشات أمامها، ووقف أمامه رئيس «حماية الدولة»  
قائلاً:

- متهى الأسف يا افندم. نحن مضطرون للقبض عليك. انتهى  
دورك يا «عزاد العبد الحبشي». كيف تحملنا وزيراً يحمل هذا الاسم  
كل هذه السنين؟ مكانك هناك في السجن في الأعمال الشاقة. هذا  
إذا ترأف بك الحاكم الجديد ولم يقتلك. كلنا نعرف أنك من وراء  
صفحة «الناشر في السياسة». كلنا يعرف تدبيرك مع سعد حسني.  
وكلنا يعلم أنني الوزير من الآن.



كلما تقدمت الدقائق زاد التوقع وزاد الشوق وزاد الصمت والقلق.  
كانت شاشات الفضائيات جميعاً، الخاصة والحكومية، قد تركت كل  
برامجها وراحت تذيع مشاهد من حياة الحاكم أمير أبو العساكر. صوره  
في طفولته وصباه وشبابه في الكلية العسكرية والحروب التي خاضها  
في لاوند وخارجها وصور لزواجه في طفولتها وصباها وشبابها



و صور لأبنائه. ابنه وبنته وأولادهما الفين هم أحفاد الحاكم وجلساته  
بينه أبنائه وأحفاده. صور له مع الحاكم السابق والأسبق. صور له في  
مقام الحج والعمرة وفي المصانع المختلفة. صور له وهو يخطب في  
الناس يوم ظهر الديناصور في الميدان الكبير. صور له وهو يلعب  
التنس مع زوجته ومع ابنته ومع رؤساء بعض الدول. صور له يوم وفاة  
أبيه وأخيه الأكبر وأخيه الأصغر وأخته الكبيرة وأخته الصغرى وكيف  
صار وحيداً إلا من العائلة التي كوّنها مع زوجته من أم اللاونديين  
كما يحب الإعلاميون أن يسموها. لقاءاته مع المثقفين في معارض  
الكتب ومع رجال الأعمال في المؤتمرات الاقتصادية وطال الوقت  
بالمتظرين رغم أن ذلك كله لم يستغرق عشر دقائق.

ضحك أحمد خشبة وقال: «مش حنخلص من صور أبو العساكر  
وأهله. يا عم اظهر واتكلم وخلصنا».

تساءلت نورهان:

- مَنْ الذي يظهر؟

قال أحمد خشبة:

- المر عسكر ناظر الحرية. واضح أن صاحبنا قلسا

قالت شهيرة:

- يكون مات؟

قال مصطفى:

- مثله لا يموت.

قال نزار:

- الصبر.

ونادى أمه طالباً أن تعد لهم بعض أكواب الشاي، فقالت: «شكلها  
قهوة سادة اليوم» فضحكوا وإذا بالنشيد الوطني يرتفع من الشاشة  
وصور لفرقة عسكرية تعزفه فحط الصمت من جديد إلا في بيت زعيم  
النصيحة والهدى الذي همس لأعضاء المكتب القيادي: «شكلها  
انقلاب عسكري».

تبادلوا النظر في دهشة وحيرة وتوجّس وظهر السر عكراً واقفاً  
أمام الشاشات:

«أيها الإخوة والأخوات. في هذه اللحظات العصية التي تمر بها  
البلاد لا معنى لأي شيء غير الحقيقة. نحن رجال الجيش العسكريين  
لا نؤمن بالخرافات والأساطير لكن الذي حدث في بلاد اللاوند،  
بلادنا الحبيبة، يجعلنا نعتزف أن الخرافات صارت حقيقة ومن ثم  
لا بد من مواجهتكم بهذه الحقائق وأرجو أن تساعدونا على تجاوز  
محتنا. كل ما جرى العام الماضي كان حقيقة وكل ما قاله الحاكم  
كان كذباً. فنحن لم نكن في عام 2010 بل كنا في عام 2011 وبدأنا  
منذ أسابيع عام 2012. كان سبب الرجوع عاماً في التصريح الميلادي

وبالطبع الهجري الذي للأسف نسيته هو أن الحاكم أمير أبو العساكر كان قد نجح بالفعل بقوة خرافية لم تحقق إلا له أن يلقي بكل شباب الثورة إلى عام سابق، وليس أماناً إلا أن نعترف أن من أعادهم إلى الحياة بعد ساعات لم يكن مرور العام لكن كانت الفنانة الراحلة سعاد حسني. أرجوكم لا تضحكوا مما أقول. فلقد ألقى بي أنا شخصياً حاكم البلاد إلى عام 2010 ومدير المحن والأزمات السابق هو الذي أعادني على الفور لأنه كان يعرف مكاني في الصحراء. للأسف لقي هو المصير نفسه لكن لا نعرف إلى أي عام ألقى به الحاكم ولا إلى أي مكان. كل ما جرى بعد ذلك من خرافات كان حقيقة، حتى إن وزير الأمن والأمان وجد لنفسه طريقة للاتصال بالفنانة الراحلة سعاد حسني التي دفنت في بلادنا رغم أنها من مصرابم القرية منا، واتفق معها أن يكون في صف الثورة حتى يمسك الحكم ويقضي على حاكم البلاد. أرجوكم لا تضحكوا. التفاصيل كثيرة والحكايات مرعبة وكنت أعرف أن وزير الأمن والأمان لن يكون في صف الثورة أبداً، بل يريد الحكم لنفسه ثم يقضي بعد ذلك على الثورة وعلى زهرة شباب الوطن بما توفر له من آلات قمع عسكرية جبارة وردت إلى البلاد العام الماضي تعويضاً عما خسرت في يوم 28 يناير عام 2011. لقد حذرت الحاكم العظيم أمير أبو العساكر من خطة هذا الوزير لكن الذي حدث أن الحاكم اختفى أس هو وزوجته من البلاد ولا يعرف أحد أين ذهب. هل لحقا بابنه الذي كان يمهده للوصول إلى الحكم والذي يقضي وقته في جزر تاهيتا منذ عام، أم أخطأ في التقدير وأساء

إلى نفسه وزوجته فخرجا من زماننا إلى زمن بعيد؟ هل سيعود برما للظهور؟ هذا أمر متروك لله سبحانه وتعالى. المهم أن نتأكد أنه لا ثار لي في البلاد. لذلك قمت بالقبض على وزير الأمن والأمان الذي كان يخطط للاستيلاء على الحكم ثم يقوم بالقبض على الملايين من الشباب الثائر. اخترت اليوم الخامس والعشرين من يناير موعد الثورة السابقة لأعلن لكم ذلك، وأبشركم أننا مقبلون على أيام أجمل أرجو أن تساعدوني عليها. وأول المساعدة أن تلتزموا بيوثكم ولا تكررُوا ما فعلتم العام الماضي، وأن تعود البلاد إلى التقويم الصحيح. اليوم هو الخامس والمشرون من يناير عام 2012. انسوا تمامًا أننا في عام 2011. لقد انتهى ذلك العام بما حمل من الثورة. وأرجو أن لا يسيء أحد إلى ما أقوله بفهمه على النحو الخطأ. وأقصد أنني منذ اليوم أعلن حظر التجوال لمدة خمسة أيام كاملة ليل نهار الزموا فيها بيوثكم حتى يمر الثامن والمشرون من يناير بلا مظاهرات ولا فوضى، وفي الثلاثين من هذا الشهر سأقدم إليكم خطة عمل جديدة لبناء وطننا، لا وندام الدنيا وزينة البلاد. ستكون الخطة قائمة على أساس ديموقراطي لم تعرفه البلاد منذ سبعين سنة، وأول مظهره فتح باب الترشيح لحكم البلاد. سأعِدوني أساعدكم ووقفنا الله لما فيه خير البلاد والعباد. على الفور انطلقت الضحكات من منزل نزار ومن آلاف المنازل عبر أنحاء لا وند ينما حط الصمت على أعضاء مكتب النصيحة والهدى الذين قرروا بعد دقائق الالتزام بحظر التجوال ومساعدة السر عكر ناظر الحربية على إنجاز خطته خاصة أنه لم يذكرهم بسوء رغم أنهم

ممن خدع الناس بتغير العام. وعلى الفور ظهر هاشتاغ يدعو للهدوء  
والانتخابات:

#علشان\_نعدي\_الموقف\_الصعب. اهدأوا واسمعوا للحاكم  
الجديد.

#علشان\_نعدي\_الموقف\_الصعب. الانتخابات هي المخرج  
والانتخابات مش بعيد.

#علشان\_نعدي\_الموقف\_الصعب. اللي دعا للانتخابات هو  
الحاكم الصبح. غير كده فوضى وبلدنا مش منحلة.

وبينما يدور الهاشتاج السابق حول هذه العبارات كانت شهيرة  
تقف هي وشيماء ونورهان وقد ظهر لكل منهن فجأة جناحان  
متصلان بذراعيها والجميع ينظرون إليهن غير مصدقين ما يحدث.  
هتفت شهيرة: «هذه علامة النزول إلى الميدان. قلت لكم ذلك فلم  
تصدقوني»، وهتفت نورهان: «لقد أصبحنا جميعًا بيجاسوس فرس  
سعاد حني»، وهتفت شيماء: «نحن النساء سنعيد الثورة من جديد»  
وانفتحت النافذة الكبيرة بينما تتجمد ماما كريمة في وقتها حائرة  
ولا تفارق الدهشة عيون الشباب. فزت شهيرة من النافذة محلقة  
بجناحيها في الفضاء وخلفها نورهان وشيماء. دخل في نفس اللحظة طائر  
صغير يحمل بين منقاريه ورقة تركها على الأرض وعاد مرعًا مقلًا  
إلى السماء. انحنى أحمد خشبة ذاهلاً وتناول الورقة وقرأ بصوت مخنوق:  
«لا تلوموني. أعطيت قدراتي فقط لكل بنات لا وند. لن يعقلهن أحد

أبدًا بعد اليوم.. هديل من الشام، ثم انطلق صوته في فرح: «قلت لكم معنا الميثافيزيقا كلها». ضحكوا وصفقوا بينما كانت ماما كريمة لا تزال متجمدة في مكانها من الذهول. ما الذي يحدث في لاوند وكيف اختلف الزمان إلى هنا الحد؟ هل هو الله الكريم أم الكون سخر للشباب إمكاناته البحرية؟ هل ما تراه حقيقة أم خرافة؟ ودون أن تدري كان هاشاج تاري يدعو الناس إلى الثورة. يدعو الشباب إلى النزول إلى الميادين.

# خرافة\_أم\_حقيقة\_انزل. انبوا ما قال السر عكر. ما اخفاء. أبو العساكر إلا خطة لمرور الأيام وسيظهر يوم 30 يناير.

# خرافة\_أم\_حقيقة\_انزل. مش حنمع لحد من النظام القديم. كل رجال أبو العساكر عاكر.

# خرافة\_أم\_حقيقة\_انزل. شعبنا وعودًا والتيجة دايمًا كل شيء يرجع لما كان عليه.

# خرافة\_أم\_حقيقة\_انزل. هذه فرصتنا لن نعوضها. بلد بلا حاكم ولا وزير أمن وأمان طاب قطافها.

# خرافة\_أم\_حقيقة\_انزل. النصيحة والهدى أعلنوا برعة موافقتهم على حظر التجوال فلا تنسوا أنهم خدعونا بعودة العام إلى الوراء.



... ..  
#خرافة\_أم\_حقيقة\_انزل. بناتنا تطرن الآن في سماء لاوند فهل  
يجلس الرجال في البيوت؟

#خرافة\_أم\_حقيقة\_انزل

#خرافة\_أم\_حقيقة\_انزل

#خرافة\_أم\_حقيقة\_انزل

#خرافة

\_أم

\_حقيقة

\_انزل

انزل

انزل

ان

زل

ا

ن

ز

ل



ا

ن

ز

ل

«انتهت»

لاروشيل - فرنسا

القاهرة: 2015 - 2016

## للمؤلف

### أولاً- الروايات:

- 1- في الصيف السابع والستين.
- 2- ليلة العشق والدم.
- 3- المآفات - ترجمت إلى الإنجليزية.
- 4- الصياد واليمام - حولت إلى فيلم سينمائي بعنوان: صياد اليمام.. بطولة أشرف عبد الباقي.
- 5- بيت الباسمين - ترجمت إلى الفرنسية والإيطالية والإنجليزية.
- 6- البلدة الأخرى - ترجمت إلى الفرنسية والإنجليزية والألمانية.
- 7- قناديل البحر - حولت إلى مسلسل تلفزيوني بطولة آثار الحكيم ومحمود قاييل.
- 8- لا أحد ينام في الإسكندرية - حولت إلى مسلسل تلفزيوني بطولة ماجد المصري ومادلين طبر وسهير المرشدي - ترجمت إلى الفرنسية والإنجليزية والإسبانية.

- 9- طيور العنبر - ترجمت إلى الإنجليزية.
  - 10- برج العنبراء.
  - 11- عتبات البهجة - ترجمت إلى الفرنسية واليونانية.
  - 12- شهد القلعة.
  - 13- في كل أسبوع يوم جمعة - تُرجمت إلى الألمانية.
  - 14- الإسكندرية في غيمة.
  - 15- هنا القاهرة.
  - 16- أدا جيو - تُرجمت إلى الفرنسية والإنجليزية.
- هـ لا أحد ينام في الإسكندرية - طيور العنبر - الإسكندرية في غيمة هي ثلاثة الإسكندرية.
- ثانياً - المجموعات القصصية:
- 1- مشاهد صغيرة حول سور كبير.
  - 2- الشجرة والعصافير.
  - 3- إغلاق النوافذ.
  - 4- فضاءات.
  - 5- سفن قديمة.

6- ليلة أنجيلا.

كلها الآن في مجلد واحد بعنوان: «أشجار الراب».

7- حكايات ساعة الإفطار.

ثالثًا - كتب متنوعة:

1- مذكرات عبد أميركي - ترجمة عن الإنجليزية - تأليف فريدريك دوجلاس.

2- 24 ساعة قبل الحرب - مسرحية.

3- أين تذهب طيور المحيط - أدب رحلات.

4- ما وراء الخراب - مقالات في الدين والآخر والهوية والنهضة والترات.

5- السبت فات والحد فات - مقالات.

6- أيام التحرير - سيرة أيام ثورة يناير.

7- من الذي يصنع الأزمات في مصر - مقالات.

8- ما وراء الكتابة: تجربتي في الإبداع.

رابعًا - الجوائز:

1- الجائزة الأولى في القصة القصيرة على مستوى الجمهورية-

نادي القصة بالإسكندرية 1969.

2- جائزة نجيب محفوظ في الرواية عن البلدة الأخرى -الجامعة الأمريكية، 1996.

3- جائزة الدولة للثقوق في الآداب عام 2004.

4- جائزة الدولة التقليرية في الآداب عام 2007.

5- جائزة ساريس في الرواية لكبار الكتاب عن رواية «في كل أسبوع يوم جمعة» عام 2011.

6- جائزة كتارا عام 2015 عن رواية «أداجيو».

7- جائزة الشيخ زايد في الآداب عام 2016 عن كتاب: «ما وراء الكتابة: تجربتي في الإبداع».

للاصال بالكتاب:

Twitter: @ibmeguid

facebook: Ibrahim Abdel Meguid

E.Mail: ibrahimabdelmeguid@hotmail.com



"أذاع الراديو وتلفزيون الحكومة الرسمي بيانًا يطلب فيه كل من يرى قطعة في الطريق أو يعرف مكانًا للقطط أن يساعد الدولة في صيدها وتسليمها إلى أقرب نقطة بوليس خوفًا من أن تعود القطط إلى حالتها الأولى، وتتحول إلى شباب ماجور من دول أجنبية يُسمون بالشوار، كما أن الأمر فيما بعد يمكن أن يشمل المجرمين الذين كانوا في الأنعام ومقرات الحجز المختلفة وتحولوا بدورهم إلى قطط، ومن ثم فكل قطعة تدخل البيت ستعرف أماكن الأموال والذهب، والدولة غير مسؤولة عن حالات سرقة لن يعرف أحد أصحابها".



ماذا يمكن أن يحدث إذا كان حاكم البلاد التي نسمى هنا "لاوند" لديه قدرات سحرية على إلقاء الناس في أعوام سابقة؟ ماذا يمكن أن يحدث إذا قامت ثورة من الشباب الذين لا يملكون إلا صونهم وحبيهم للوطن؟! وقام بإلقائهم في العام السابق؟

---

رواية جديدة للكاتب الكبير إبراهيم عبد المجيد صاحب "ثلاثية الإسكندرية" و"البلدة الأخرى" و"في كل أسبوع يوم جمعة" و"أداجيو" و"هنا القاهرة" وغيرها من الروايات الشهيرة في مصر وخارجها والتي ترجم أكثرها إلى لغات مختلفة.

الدار المصرية اللبنانية



@Zabeth